

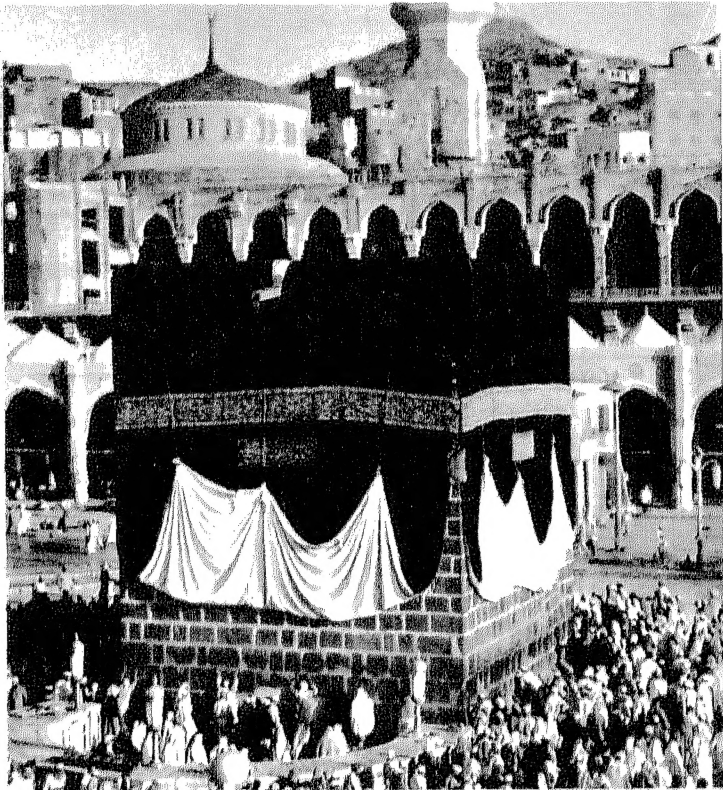
كتاب اليوم

أمينة الصاوي

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

● العدد ٢٨٢ ● مايو ١٩٨٨ ●

الكعبة المشرفة



كتاب اليوم

امتسه

مصطفى أمين وعلى أمين

ثقافة اليوم وكل يوم

رئيس مجلس الإدارة :

طلعت الزهيري

العدد رمضان ١٤٠٨ هـ

٢٨٢ مايو ١٩٨٨ م

آيار

الصحافة ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط

تلكس دولي ٩٢٢١٥ - محلي ٩٢٢٨٢

الاشتراكات

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوي ٦ جنيه مصري

البريد الجوي

دول اتحاد البريد

الغربي والافريقي ١٣ دولار امريكي او ما يعادله

باقي دول العالم واوروبا ٢٠ جنيه مصري

والامريكتين واسيا واسرالبا ١٨ دولار امريكي او ما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات ٣ اش الصحافة

القاهرة ت ٧٤٨٨٤٤ (٥ خطوط)

أسعار

كتاب اليوم

المغرب	٢٠ درهم
لبنان	٥٠٠ ليرة
الأردن	٦٠٠ فلس
العراق	١٥٠٠ فلس
الكويت	٧٠٠ فلس
السعودية	٧ ريالات
السودان	٥٠٠ قرش
تونس	١٤٠٠ مليما
الجزائر	١٧٥٠ سنتيما
سوريا	١٤٠٠ ق س
الجبشة	٦٠٠ سنت
البحرين	٨٥٠ فلس

في الخارج

إيطاليا	٢٠٠٠ ليرة
هولندا	٥ فلورين
باكستان	٣٥ روبية
سويسرا	٤ فرنك
اليونان	١٠٠ دراخمة
العمسا	٤٠ شلن
الدنمارك	١٥ كرونا
السويد	١٥ كرون
الهند	٣٥٠ سنثا
كندا امريكا	٣٠٠ سنت
البرازيل	٤٠٠ كرويزو
بولندا	٣٥٠ زلوتي
نورم انجلوس	٤٠٠ سنت
أستراليا	٤٠٠ سنت

رقم الابداع بدار الكتب والوثائق ٣٦٢٤ / ٨٨

الترقيم الدولي ٧ - ٢٤١ - ١٢٤ - ٩٧٧ - ISBN

أمينه الصاوي

الكعبة المشرفة

● العدد ٢٨٢ ● مايو ١٩٨٨ ●

● المالكيت .. : محمد عفت

● صورة الكعبة : تصوير مصطفى اسماعيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

” إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيْكَةُ مُبَارَكًا
وَهَدَى لِلْعَالَمِينَ • فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ •
مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ • وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا • وَلِلَّهِ
عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا “
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



مُقَدِّمَةٌ

بقلم : الدكتور عبدالحليم محمود

شيخ الأزهر السابق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه وعمل بسنته إلى
يوم الدين .. ويعد ..

فإن في تاريخ العقائد آثاراً جلية كانت محل الاهتمام
والدراسة منذ زمن سالف ، وكانت العناية بها لما لها من منزلة في
حياة الأفراد والأمم – وبخاصة هؤلاء – الذين ينتمون إلى تلك
العقائد على مر الأيام والعصور .
والكعبة المعظمة من هذه الآثار الجليلة – تاريخاً وعقيدة –
فهى أول بيت مبارك وضع للناس ، حفظه الله وأمنه وباركه وجعله
مناراً للهداية .

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى
لِّلْعَالَمِينَ ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ
أَمْنًا ..)

وقد امتن الله سبحانه على أهل هذا البلد بهذا فقال :
(أولم يكن لهم حرماً آمناً يُجْبَىٰ إليه ثمراتُ كلِّ شيءٍ ، رِزْقاً
من لدنَّا ولكنَّ أكثرَهُم لا يَعْلَمُونَ) .

لقد بدأت حرمة هذا البلد منذ زمن قديم ، لاقى عهد آدم
والأنبياء وحسب ، بل منذ خلق الله السموات والأرض وإلى يوم
القيامة ، كما أكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما
أخرجه الإمام مسلم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم :

(إن هذا البلد حرَّمه الله يومَ خلقَ السمواتِ والأرضَ ، فهو
- زامٌ بِحُرْمَةِ الله إلى يومِ القيامة) . وأمر الله رسوله صلى الله عليه
وسلم أن يقول :

(قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا) .

وقد ظهرت علامات هذا الحفظ لبیت الله الكريم على مر
الأيام والعصور فلم تكن قواعده ولم ينمغ أساسه الذي أُسِّس
عليه ، ولم تستطع قوة الغزاة أن تصل إليه قاصدة الهدم
والتخريب ، وما قصة أصحاب القيل منا ببعيد . .

لقد قصده أبرهة الحبشي على رأس جيش جزار تنقلمه
جحافل القوات يتصدرها الأبطال والأفيال لهدمه وصرف الناس
عنه ، وكانت كلمة عبد المطلب في سماع التاريخ .

(أما الإبل فهي لى ، وأما البيت فله رب يحميه)
لقد حمى الله بيته ، وعبرت عن تلك آيات القرآن الكريم في
بلاغة لا تعدُّ لها بلاغة :

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضْلِيلٍ ، وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ
سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) .

وعبر عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن فتح مكة
فقال :

(إن الله حبس عن مكة الفيل ، وسلَّط عليها رسوله
والمؤمنين ، وإنها لم تحل لأحد كان قبل ، وإنما أُحِلَّت لى ساعة من
النهار ، وإنها لن تحل لأحد بعدى) . . .

والبيت الحرام هو هذا البيت الذى إذا ذكر اسمه جاشت
خواطر المؤمنين وزاد حنيتها لزيارته تلبية لدعوة السماء :

(وَأَنذَرْنَا فِي النَّاسِ بِأَتُوكَ رِجَالًا ، وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ
مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) .

والبيت الحرام هو هذا البيت الذى تتضاعف فيه الحسنات
وتكثر فيه فيه الخيرات ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن
بعض ذلك فيقول :

(صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه)

إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه) أو كما قال •

والبيت الحرام هو هذا البيت الذي يؤخذ فيه العبد بنيته – وإن كانت شرا أو إلحادا – ورب العزة يقول :

(وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُزِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) •

هذه بعض المعاني التي تقمها الدراسة حول الكعبة العظيمة : تاريخا وعقيدة ومناسك وشعائر وأهدافا •

وكل ذلك وغيره من هذه الدراسة – دون ماشك – يسهم إسهاما جليلا في ربط المسلم بأشرف مقدساته الإسلامية ، ويحيي في قلبه الحنين والشوق دائما إلى لقاء ربه في بيته المقدس حاجا أو معتمرا ، وفي ركوعه وسجوده ، وفي حركته وسكونه ونومه ويقظته أينما كان وحيثما حل •

وكل ذلك من المعاني الكريمة الخليقة بأن تلقى عناية السيدة الفاضلة – أمينة الصلوى ، لتقديمها للمسلمين خالصة لله ولرسوله وللمؤمنين •

والمؤلفة الفاضلة هي ابنة أستاذنا الفاضل الشيخ مصطفى الصلوى وقد حضرنا عليه إيلم أن كان أستاذا مرموقا بمعهد الزقازيق الأزهرى ، وكان رحمه الله شعلة من النكاء والعلم ، وحركة لا تفتر في العمل على النهوض بالمجتمع

أحاديث ، ومحاضرات ، وانتصارا للظلم ، وتصيحة
لحاكم .

وابنته الفاضلة حينما ألفت هذا الكتاب النفيس إنما تقتبس
من والدها بعض نشاطه :

والله نرجو أن ينفع بها ويكتابها ...
ويا الله التوفيق ...

((دكتور/ عبد الحليم محمود))



تَقْدِيمٌ

كتب كثيرون عن الكعبة المشرفة - زادها الله تكريماً
وتعظيماً - أفراداً بتأليف ، وتضميناً في كتاب ، وليس هذا مجال
تعداد الأسماء والمسميات ، وإنما نود أن نقول هنا : إن الكعبة
هى الكعبة على رغم الأحداث والوقائع التى عاصرتها ، فمن حقها
على من يعتقد بينها ، ثم أوتى حظاً من العلم أن يكتب عنها
ويؤرخ ، لأننا بفضلها أصبحنا أمة تاريخ بعد أن لم يكن لنا
تاريخ .

أما هذا الإسهام من الأخت الفاضلة ، الأنيسة الكاتبة
المحلقة « أمينة الصاوى » فهو مجهود تشكر عليه ، لعله يكون
نواة لتاريخ الكعبة الكبير الذى طواه الزمن ، وغارت فى خضمه
الحوادث ، فما نتبين ملامحها إلا من خلال النُتف التى استطاع
الزَّيْر أن يقيدها فى أصوله ومراجعته .

وطلبت منى الأخت الكريمة « أمينة الصاوى » أن أراجع
مجموعها هذا الذى هضمت وأعيته معلوماته ، ثم سكتها فى

قال لفظ عصرى مفهوم ، هى المبدعة فى هذا الفن إن شأنت ،
وهى البارعة فى الصياغة إذا آرادت ، فالقلم لها طبع ، والخاطر
عندها سائح ، وسهولة التعبير من مميزاتا ، فلزمنى ذلك
الطلب ، وجئت أكتب هذه الكلمة ، بعد أن أجلت باصرتى فى
طيات الكتاب ، وعلقت بما تيسر وسمح به الوقت ، مع علمى بأن
غيرى أجدر منى بالإشادة بما عملت ، وأقدر على الثناء على ما
صنعت ، وعلى التعليق على ما جمعت ، غير أنى ملئت عن تيقنى فى
عدم كتابة المقدمات والتقاريط إلى ما رغبت فيه الأنيبة الفاضلة ،
ففتحتها بى أولى ، ولها منا الشكر والتعظيم .

وكتب نلکم

أبو تراب الظاهرى

عفا الله عنه



مُقَدِّمَةٌ بِاتَمِ الْمُؤَلِّفَةِ

عَينِيَا صَافِحَتُ عَيْنَايَ أَنوَارَهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ انْهَمَرَتِ النُّمُوعُ
مِنْهَا حَارَةً غَزِيرَةً ، وَرَاحَتِ تَغْسِلُ وَجْهِي • وَلَمْ أَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ
مِمَّا تَخَيَّلْتُ أَنَّي سَوْفَ أَقُولُهُ عِنْدَهَا أَوْ أَدْعُو اللَّهَ بِهِ • • هَرَبْتُ مِنْ
الْكَلِمَاتِ وَالِدَعَوَاتِ ، وَعَبَثْتُ حَاقِلَتِ أَنَّ أَجِدَهَا •
وَعِنْدَمَا صَافِحَتُنِي عَيْنَايَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ كَانَ بِي شَوْقٌ مَتَوَهِّجٌ
وَلَهْفَةٌ وَحَنِينٌ فَانْدَفَعْتُ إِلَيْهَا بِفَرَجَةٍ غَامِرَةٍ وَأَنَا أَرِيدُ الْكَلِمَاتِ بِلَا
نِظَامٍ وَلَا تَرْتِيبٍ ، وَكَأَنَّيَ طِفْلٌ أَعَانُوهُ إِلَى صَدْرِ أُمِّهِ بَعْدَ حَرَمَانٍ
طَوِيلٍ •

وَلَمَّا تَكَرَّرَ اللَّقَاءُ وَالْمَصَافِحَةُ وَرَبِطَ الْوُدُّ وَالْأَلْفَةُ بَيْنِي
وَبَيْنَهَا • • أَصْبَحْتُ كَلِمَاتِي عِنْدَهَا مُحَدِّدَةً مَرَكَّزَةً ، وَأَصْبَحْتُ
جُلُوسَاتِي فِي مُوَاجَهَتِهَا تَمْتَدُّ سَاعَاتٍ طَوِيلَةٍ ، وَقَدْ يَتَّصِلُ فِيهَا النَّهَارُ
بِاللَّيْلِ ، وَقَدْ يُقْضَى اللَّيْلُ بِهَا إِلَى الْفَجْرِ • • وَمَا أَعَذَّبَ لِحَفَظَاتِ
الْفَجْرِ عِنْدَهَا •

وكنت في جلساتي إليها أتأملها وأستعيد ما أعرف من أخبارها ، وتمنيت في أكثر من مرة أن أعرف كل شيء عنها . . . عن هذا المكان الطاهر المقدس الذي حجّ إليه الملائكة والأنبياء ، وفرض الله على عباده الحج إليه ، والذي جعله الله مثابة للناس وأمناً . . . فيه يأمن الخائف ، ويطمئن المروء ، وفيه تحقن الدماء المهترئة .

وجعلت همّي أن أجمع الكتب والمراجع عن الكعبة من كل مكان ، ويكل وسيلة ، وعندما حصلت على بغيتي . . : (انقطعت) للقراءة والدراسة والاطلاع والمقارنة ، وانتهيت من ذلك كله ، وذهبت إليها وقد استقرّ في نفسي الكثير عنها ، وازدادت توطد الألفة والصدقة بيني وبينها ، ووجدتني أقف أمام بابها مستندة إلى سياج بئر زمزم وأنا أقول لنفسي : لم يبق إلا أن أدخل إليها ، ودعوت الله أن يمنحني هذا الشرف .

وعندما منّ الله عليّ بالدخول إليها أخذت أرتقى الدرج بأقصى ما أستطيع من السرعة ، وكأنتني أخشى أن يجول بيني وبين الدخول حائل . . وعندما وجئتني أقف على عتبة الباب أعلى الدرج شعرت بأنّ ماضئ كلّ قد انفصل عن حاضري تماماً ، وأنني في لحظة ليست كباقي لحظات العمر التي عرفتتها من قبل . . لحظة وجود جديد . . ميلاد روحي يتم وسط أنوار تتلألأ ، وتكبيرات

وتهليلات • وتقدمت خطوات مأخوذة مبهورة • وصليت في كل ناحية من نواحيها ، ثم اسندت رأسي على أحد العمد وأطرقت ووجدتني أعود بفكري إلى بعيد • • بعيد جداً • • إلى تلك اللحظة الموعظة في جوف الزمن السحيق • • عندما ثبت الله سبحانه وتعالى قواعدها على الأرض لتكون أول بيت وضع للناس متعيّداً ومسجداً • •

ودار شريط الذكريات أمام خيالي يعرض قصة الكعبة العظيمة التي يرويها هذا الكتاب •
أيها القارئ الكريم • •

لست أدعى أنني قد جئت بكل ما كان من الأحداث التي دارت حول الكعبة عبر القرون والعصور • • ولست أدعى أنني قد استطعت بين دفتي هذا الكتاب أن أوجز تاريخها العريض المجيد • • ولكنها محاولة اجتهدت فيها مسندة إلى عشرات المراجع ، وفي مقدمتها جميعاً القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم •

والله أسأل أن أكون قد وفقت في عمل هذا الذي لا أبغي به غير وجه الله تعالى •

والسلام عليكم ورحمة الله • •

« آمينة الصاوي »



بَيِّنَاتُ الْبَيِّنَاتِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام * وكان

عرشه على الماء * لِيُثْبِتَكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ١١ : ٧ » .

(صدق الله العظيم)

كانت الكعبة غطاءً على الماء قبل أن يخلق الله سبحانه

وتعالى السموات والأرض ، ثم دحاها - أى بسطها - ثم ثبت

قواعد الكعبة فى وسطها فكانت سُرَّةَ الأرض وأُمَ القرى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« والأرض بعد ذلك دحاها * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا

وَمَرْعَاهَا » . ٧٩ : ٣٠ ، ٣١ (صدق الله العظيم)

والواقع أن التاريخ يقدم لنا عن الكعبة ما يملأ ألوف

المجلدات والآسفار منذ أن ثبت الله عز وجل قواعدهما على الأرض فى

ذلك العهد السحيق الموهل فى جوف الزمن إلى عهدنا الحالى .

على أن معظم الفترة الأولى من قصة الكعبة قد غاب عن

واعية التاريخ أكثر تفاصيلها - ولكن المعروف والذى تُجَمِّعُ عليه

كل المراجع أنها بنيت قبل آدم عليه السلام ، وإن الملائكة هم

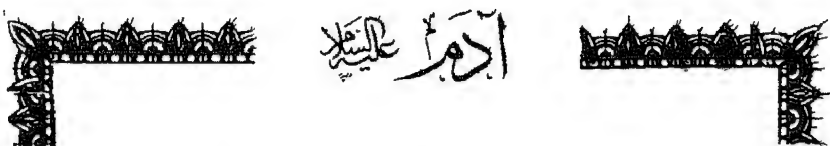
الذين قاموا بتشيد أول بناء لها - وقد شيده تحت مركز العرش

بعد البيت المعمور . ويقول المحققون : إنه إذا ثبتت قصة البناء قبل الخليل عليه السلام فهو بناء تأسيس فقط .
ويقال : إنها كانت مغطاة بياقوتة حمراء رفعت بموت آدم عليه السلام .

وعن علي رضي الله عنه قال : "إن أول خلق هذا البيت آن الله عز وجل قال :

" . . . وإذ قال ربك للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمك ونقدس لك ؟ قال : إني أعلم ما لا تعلمون ٢ : ٣٠ » .
وقال علي رضي الله عنه : "ثم غضب سبحانه وتعالى عليهم فأعرض عنهم ، فطافوا بعرشه سبعة - كما يطوف الناس بالبيت الحرام ، ويقفوا يسترضونه من غضبه سبحانه يقولون : لبيك اللهم لبيك . . . ربنا معذرة إليك . . . نستغفرك ونتوب إليك . . .
فرضي عز وجل عنهم ، وأوحى إليهم (أن ابنوا بيتاً في الأرض يطوف به من عبادي من أغضب عليه فأرضى عنه كما رضيت عنكم)

وكانت هذه هي بداية تلك الهتاف الخالد الذي ربدته ولا تزال ترده الملايين عبر العصور والقرون : (لبيك اللهم لبيك . . .
لبيك لا شريك لك لبيك . . . إن الحمد والنعمة لك والملك)



خلق الله آدم عليه السلام من طين « من صَلَّصَالٍ مِنْ حَمَإٍ
مَسْنُونٍ » ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ فَدَبَّتْ فِيهِ الْحَيَاةُ وَصَارَ بَشَرًا
سَوِيًّا ، ثُمَّ خَلَقَ لَهُ زَوْجَتَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَأَسْكَنَهُ وَإِيَّاهَا الْجَنَّةَ .
وَوَلَّوْحِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى آدَمَ أَنْ أَنْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ فَقَدْ
خَلَقْتُكَ بَشَرًا سَوِيًّا وَفَضَّلْتُكَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَقَرَّرْتُ أَنْ أَسْتَخْلِفَكَ فِي
الْأَرْضِ لَتُعْمَرَهَا وَتُصْلَحَ فِيهَا بِأَمْرِي لَا أَنْ تَفْسُدَ فِيهَا وَتُسْفِكَ
الْأَنْعَامَ ٠٠ وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَّبِعَ إِبْلِيسَ فَهُوَ عَدُوٌّ لَكَ ، وَقَدْ آتَاكَ مِنْ
رَحْمَتِي وَطَرِيقَتِهِ مِنْ جَنَّتِي وَأَنْزَلْتُ بِهِ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ » ٠٠ وَيَا
آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا
تَقْرِبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ٧ : ١٩ « ٠٠٠
” إِنْ لَكَ إِلَّا تَجَوَّعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى ، وَأَنْتَ لَا تَطْمَأُ فِيهَا وَلَا
تَضْحَى ٢٠ : ١٨ ، ١٩ « ٠

وعز على إبليس أن يطرد من رحمة الله ويبعد عن الجنة
ليسكنها آدم وزوجته ، وأن يحرم من نعيمها وما فيها من سعادة
وخير ٠٠ فصمم على أن يثأر لنفسه ٠٠ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْ آدَمَ
وَزَوْجَتِهِ ، فَرَاغَ يَغْرِيهُمَا وَيَغْرِيهُمَا حَتَّى أَكَلَا مِنَ الشَّجَرَةِ

فلما عصى آدم وحواء ربهما وأكلا من الشجرة التى نهاهما
عن الأكل منها قال تعالى : "وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ، فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ
فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ ٣٦ " .

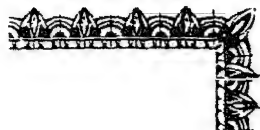
وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : " بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فقال لهما :
ابنيا لى بيتاً ، فحطَّ لهما جبريل فجعل آدم يحفر وحواء تنقل
التراب حتى أجابه الماء ، ونودى من تحته : حسبك يا آدم .. فلما
بنيا أوحى الله سبحانه وتعالى إليه أن يطوف به وقيل له : أنت أول
الناس وهذا أول بيت .. ثم تَنَاسَخَتِ الْقُرُونُ حَتَّى رَفَعَ إِبْرَاهِيمَ
الْقَوَاعِدَ " .

وقال الفخر الرازى : إن آدم عليه السلام لما اهبط إلى
الأرض شكى الوحشة وقال : يارب .. مالى لا أسمع أصوات
الملائكة ولا أحسهم ، فأمره عز وجل ببناء الكعبة والطواف بها .

وقد بنى آدم عليه السلام الكعبة على القواعد المثبتة فى
الأرض وطاف بها ، ومن بعده طاف أولاده ويقى ذلك إلى زمان نوح
عليه السلام .. فقد ظال الإنسان يلوذ بالكعبة ويطوف بها وهو
يريد تلك الهتاف الخالد : (لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك
لبيك .. إن الحمد والنعمة لك والملك) ..



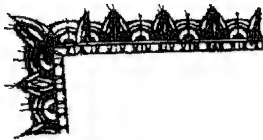
الطُوفَانُ



وكان المفروض أَن تظل الحال كذلك لولا أَن جاءت فترة من الزمن ارتد فيها الإنسان عن الإيمان وغلبت عليه عبادة الأوثان في ظروف غير واضحة الرؤية ، فراح يتخبط في دياجير الجهل والظلام .

وَأَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَن يعيده إلى حظيرة الإيمان فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ نوحًا عليه السلام ينصحه ويرشده ويوجهه إلى ما فيه خيره وصلاح أمره . . . ولكنه أَبَى واستكبر وأَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْكَفْرِ فلم يستجب لدعوة نوح عليه السلام . . . وكانت النهاية تلك الطوفان المتمر الذي لم يُبْقِ على أحد من الكافرين والمشركين حتى وَلَدِ نوح الذي اعتصم بالجبل فلم يَعِصْهُ وغرق مع الغارقين .

وبعد هذا الطوفان اندثر موضع الكعبة وظل مختفياً إلى أَن بعث الله جبريل عليه السلام إلى إبراهيم . وكان الناس في ذلك العهد قد نسوا ربهم . . . ولم يعد الإنسان يتجه إلى الكعبة أو يطوف بها أو يلبى عندها ، وإنما اتجه إلى الأصنام يصنعها من الحجارة أو الخشب بيديه ثم يعبدها من نون الله .



إبراهيم عليه السلام



ولد إبراهيم عليه السلام في مدينة (أُرُ) . . وكانت أمه قد جاءها في المنام من يقول لها : ستضعين نكراً - فإذا وضعتها فسميه (إبراهيم) - ولم يكن زوجها (آزر) موجوداً حين الولادة ، فنكرت مرات في نومها لوالد زوجها (نَحُور) فقال : اسم عظيم . . معناه (أبو القبائل . . أو أبو الأمم) . . وقد رآيت في نومي : أن نوراً خرج من صلب ولدي آزر . فأضاء السماء . . سيكون لوليك هذا شأن عظيم . . سيقترن اسمه بنجوم القبة الزرقاء .

وعاد الأب من سفره وفرح بولده وبالاسم الذي أطلق عليه . وكبر إبراهيم ورأى أباه يسجد للأصنام التي يصنعها فسأله كيف يسجد لما يصنعه بيديه ؟ فحلول الأب أن يقنعه بأنّها رموز للآلهة . . أما الآلهة الأصلية فهي في السماء جالسة على عروشها . . فلم يقتنع إبراهيم . . فقال الأب : صبراً يا بنيّ حتى تكبر ويتسع أفق فهمك وعندئذ سوف تدرك كل شيء .

وكبر إبراهيم . . فأرسله أبوه إلى بيت جده (نَحُور) ليتعلم الحساب واللغة والفلك وعلم النجوم . . وتميز إبراهيم على التلاميذ جميعاً وأظهر ميلاً إلى التعمق في دراسة

التنجيم والآهوت ٠٠ واستطاع بتأملاته الخاصة أن يتعاطف مع الكون الذي يعيش فيه ٠٠ وأن يقيم لنفسه حياة خاصة تقوم على التفكير فيما يراه بمجتمعه من صور رهيبة ٠٠

فهؤلاء الكبار من قومه وأصحاب الرأي والفكر يعبدون آلهة من الخشب والحجر يصنعونها بأيديهم ٠٠ وهؤلاء كهنة المعابد يرتكبون الموبقات ويسمون العاهرات مقصات ٠٠ وهذا ملك البلاد قد تأله على الناس وطالبهم بأن يسجلوا له ، وينالوه بآله الملوك .

وهفت نفس إبراهيم عليه السلام إلى الابتعاد عن هذا المجتمع ، فاتجه إلى الصحراء وراح يقضى فيها الساعات يفكر في صمت ٠٠ كان يقلب وجهه في السماء وهو يقول :

— لا بد لهذا الكون من إله واحد ٠٠ هو الذي خلقه ٠٠ وهو

الذي يسيره .

وتفقدته أبوه يوماً فلم يجده فبحث عنه ثم حمّله كمية من الأصنام وطلب منه أن يبيعهها أمام المعبد ٠٠ وكان أبوه قاسياً معه هذه المرة ، فلم يسمح له بالاعتراض أو الرفض ، فرفض إبراهيم وسار بها إلى المعبد ٠٠ وهناك وقف ينادي :

— أيها الناس معي أصنام لا تضر ولا تنفع ٠٠ أيها الناس من يشتري بضاعة لا تضر ولا تنفع ؟

وسمع الكهنة نداءه وثاروا عليه وعلى أبيه الذي حاول ضربه ، فاندفع إبراهيم يجرى هارباً بما بين يديه حتى وصل إلى شاطئ الفرات فوضع التماثيل إلى جواره وجلس مفكراً ... وفجأة خطر له أن يسخر من هذه الأصنام فأخذها إلى الماء وغمس رؤوسها فيه (وقال) :

– اشربوا .. إنه ماء عذب .. لماذا لا تشربون ؟
ورآه بعضهم فنقل هذا إلى الكهنة الذين زانت ثورتهم عليه .

وعلم أبوه بما كان منه فغضب عليه وأقسم أن يضربه .. فهرب منه إلى سرداب البيت واختفى بين التماثيل الموضوعة هناك .. ومضت الساعات وهو في جلسته يتأملها .. ورأى الحشرات على اختلافها تسعى على وجوه الآلهة تلتق أعينها وتدخل في آذانها ، فقال لنفسه :

– عجباً .. كيف يسجدون لآلهة لا تملك أن تصد عنها حشرات صغيرة حقيرة تقبُّ بها على هذا النحو ؟!
وانطلق إبراهيم إلى الصحراء ثانية وفي نفسه لهفة .. كان يريد أن يعرف من هو الإله الفعلي لهذا الكون .. وساعده هدوء الصحراء وصفاء سمائها على تركيز تفكيره ، وارتفع في السماء كوكب وراح يتلألأ .. فقال إبراهيم بفرح :

— « هذا ربي ... » ؟
ولكن الكوكب لم يلبث أن اختفى وتركه في صحراء تفكيره تائهاً
حائراً .
واستمر إبراهيم يخرج إلى الصحراء يراقب النجوم ليلاً . . .
وكلما رأى كوكباً قال : « هذا ربي » . . . فإذا أقل الكوكب كفر
به وعاد إلى حيرته .

وقيل : إنه كان يسخر بذلك من قومه عبدة الكواكب
ويستعمل معهم في الإرشاد أسلوب التهكم .

وبذل إبراهيم المعبود يوماً وتقدم إلى تمثال الإله مردوخ
وانتزعه من مكانه وألقى به بعيداً . . . فاندفع الناس حوله في فزع
من غضب الآلهة وكانوا أن يفتكوا به ، فوقف أبوه بينهم وبينه
وصرخ فيه :

— أيها المجنون ماذا فعلت ؟ ألا تخاف غضبة الآلهة
عليك ؟

واستمر إبراهيم على كراهيته لأصنامهم حتى كبر وتزوج
من ابنة عمه سارة .

واستيقظت سارة في إحدى الليالي فإذا إبراهيم يصل
فسألته :

— ماذا تفعل يا إبراهيم ؟

— أصلي لله . . .

- آ إِلَهَ غَيْرِ مَرُودِخ ، وَنَانَا ، وَشَمَاش ، وَآلهتنا العظام ؟
- إِلَه لا شريك له في ملكه . . خلق السموات والأرض وما
- بينها وهو القاهر على كل شيء .
- مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا يَا إِبْرَاهِيمَ ؟
- هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَشَرَحَ صَدْرِي لِدِينِهِ
- الْحَقِّ .
- وَمَنْ أَدْرَاكَ أَنَّ رِيكَ هَذَا إِلَى هَذَا الدِّينِ ؟
- فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ فِي إِيمَانٍ عَمِيقٍ :
- إِنَّمَا أَتَّبَعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي . . وَقَدْ بَعَثَنِي رَسُولًا
- لَأَدْعُو النَّاسَ لِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ . . وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا
- هُوَ .
- وَنَظَرَتْ سَارَةُ إِلَيْهِ فِي دَهْشَةٍ . . فَمَا يَقُولُهُ يَخْتَلِفُ عَنْ كُلِّ مَا
- عَرَفْتَهُ مِنَ الْكُهَّانِ وَرِجَالِ الدِّينِ . . وَلَكِنَّهُ يُلْفِ إِلَى الْقَلْبِ مُبَاشَرَةً
- فِيضِيَّةً جَنَابَاتِهِ بَنُورٍ جَمِيلٍ حَبِيبٍ .
- وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ يَدْعُو آبَاهُ وَأُمَّهُ ، وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَسْمَعَا لِنَصِيحَتِهِ
- وَيُؤْمِنَانِ بِدَعْوَتِهِ ، وَإِنَّمَا سَخَرَا مِنْهُ . . وَقَالَ أَبُوهُ :
- لَنْ أَعْبُدَ إِلَّا مَا كَانَ آبَائِي يَعْبُدُونَ .
- قَالَ إِبْرَاهِيمُ
- أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ . . وَحَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ

توكلت وعلى الله فليتوكل المتوكلون

وبدأ إبراهيم يدعو الناس إلى دينه الجديد ، ولقى من قومه
الجحود والنكران . . . فاتهمه البعض بالكتب ، واتهمه البعض
الآخر بالجنون ؟!

وفي يوم العيد دخل الناس إلى المعبد يتقدمهم الملك . . فإذا
بالأصنام كلها مُحطَّمة إِلَّا كَبِيرَهَا . . فعرفوا أَنَّ إبراهيم هو الذى
فعل ذلك . . فقبض عليه وقَدَّم للمحاكمة . . . وصَدَرَ عليه الحكم
بالموت إحراقاً . . وأقاموا بناءً ضخماً أوقدوا فيه النار وآلقوا
إبراهيم إليها وسط احتفال كبير احتشد له الجميع .
ونجا إبراهيم عليه السلام من الموت الذى آراتوه له بفضل
الله سبحانه وتعالى : « قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على
إبراهيم » .

وبعد هذه الحادثة هاجر إبراهيم من مدينة (أور)^(١) مع
زوجته سارة وابن أخيه لوط وأصحابه المؤمنين . . وبخل مدينة
(حاران)^(٢) . . ودعا الناس إلى دينه فلم يستجيبوا . .
وحاربوه حرباً لا هوادة فيها . . ثم قرروا قتله . . فأوحى إلى
إبراهيم أَنْ يخرج بأهله فيضرب في الأرض إلى حيث يشاء الله .

(١) ويقال لها (حور) أيضاً .

(٢) موقعها ما بين الفرات وخابور .

ومضت قافلة الإيمان حتى عبرت نهر الفرات وانسابت في
 بادية الشام حيث دعا الناس إلى دين الله الواحد الأحد . . وحطت
 إلى جواره قافلة مصرية فراح يدعوها أيضاً إلى دينه الجديد . .
 وآمن به الكثير من أهل دمشق ومن أفراد القافلة المصرية .
 ولم تلبث أن قامت الحرب بين إبراهيم والكهنة ، فحاول أن
 يدعوهم إلى السلم بالحكمة والموعظة الحسنة . . فهدوه بالرجم
 والعذاب الآليم . . وصمموا على القتال . فقال لمن معه :
 — أعدوا لهم ما استطعتم من قوة .

وتراءى الجمعان وبدأ الصراع وانفجِع إبراهيم بين الصفوف
 يقاتل في سبيل الله . . وأيد الله الذين آمنوا وألقى في قلوب
 المفسدين الرعب فولوا متبررين . . وباتت دمشق تحت سيطرة
 إبراهيم . . فراح ينشر الدين القويم بين ربوعها . . ويدعو إلى
 عقيدة التوحيد . . ثم أمر إبراهيم رجاله بالاستعداد للرحيل من
 حبيد إلى حيث يشاء الله .

وانطلقت قافلة الإيمان التي بارك الله فيها حتى بلغت وادي
 (شكيم) "١" . فاستراحوا قليلاً ثم انطلقت القافلة إلى الغرب
 حيث وصليت بيت إيل (بيت الله) . . حيث كان

(١) غير اليهود اسمها إلى سوخار ١٠ هـ

الْكَنَعَانِيُّونَ الَّذِينَ أَرْعَجَهُمْ جُودُهُ وَخَافُوا مِنْ مِيلِ النَّاسِ إِلَى دَعْوَتِهِ
فَاسْتَعَانُوا عَلَيْهِ بِفِرْعَوْنَ مِصْرَ الَّذِي أَرْسَلَ جُنُودَهُ فَهَاجَمُوا إِبْرَاهِيمَ
وَقَوْمَهُ وَأَسْرَوْا الْكَثِيرَ مِنْ رِجَالِهِ وَنِسَائِهِ وَبَيْنَهُمْ زَوْجَتَهُ سَارَةَ ٠
وَبِخَلِّ قَائِدِ الْجَيْشِ إِلَى فِرْعَوْنَ - مَلِكِ مِصْرَ - وَسَجَدَ بَيْنَ
يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

- مَوْلَايَ فِرْعَوْنَ الْعَظِيمَ ٠٠ لَقَدْ هَزَمْنَاهُمْ شَرَّ هَزِيمَةٍ ٠٠
وَجِئْنَا بِرِجَالِهِمْ أَسْرَى وَنِسَائِهِمْ سَبَايَا ٠٠ وَفِي النِّسَاءِ وَاحِدَةٌ لَا
يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لِفَرِيقٍ مَوْلَايَ ٠
فَقَالَ الْمَلِكُ :

- عَلَيَّ بِهَا ٠٠ أَسْرَعَ آيَهَا الْقَائِدَ ٠٠ أُرِيدُهَا عَلَى الْفُورِ ٠
وَخَرَجَ الْقَائِدُ مُسْرِعًا لِيَعُودَ بَعْدَ قَلِيلٍ وَخَلْفَهُ سَارَةُ الَّتِي كَانَتْ
هَائِنَةً مُطْمَئِنَّةً ، لَا يَتَوَقَّفُ لِسَانَهَا عَنِ التَّسْبِيحِ وَتُكْرِئُ اللَّهَ ٠٠ وَمَا
كَادَ الْمَلِكُ يَرَى جَمَالَهَا الْبَاهِرَ ، وَحُسْنَهَا الْوَاحِدَ حَتَّى آمَرَ ، بِإِغْدَاقِ
الْهِدَايَا الْقِيَمَةِ عَلَيْهَا وَالْمَلَابِسِ الْغَالِيَةِ وَالْحُلِيِّ الثَّمِينَةِ ٠٠ وَلَكِنْ
سَارَةُ الْعَفِيفَةُ الْمُؤْمِنَةُ رَفَضَتْ كُلَّ هِدَايَا الْمَلِكِ وَعَطَايَاهُ وَصُمِّمَتْ عَلَى
رَفْضِهَا ٠

وَذَهَلَ الْمَلِكُ لِهَذَا التَّصَرُّفِ مِنْهَا ٠٠ وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا يَحَاوِلُ
إِغْرَاءَهَا بِكُلِّ الْوَسَائِلِ ٠٠ وَلَكِنْ عَبَثًا نَهَبَتْ مُحَاوَلَاتِهِ سُدًى ،
فَغَضِبَ وَثَارَ وَصَمَّمَ عَلَى أَنْ يَفْتَقِصِبَهَا بِالْقُوَّةِ ٠٠ وَمَدَّ يَدَهُ يَرِيدُ أَنْ

يمسك بها ولكن يده شلت قبل أن تصل إليها ٠٠ ففزع وامتلأ قلبه
بالرهبة والرعب وعاد إلى حجرته يفكر في الأمر ٠
وفي الليلة التالية ٠٠ دخل الملك إلى حجرة سارة وراح
يحاول من جديد فحدث له ما حدث في الليلة الأولى ٠٠ فازداد فزعه
وخوفه وخرج من الحجرة مسرعاً واستدعى الكهنة وشرح لهم
الموقف وطلب رأيهم فقالوا :

– إنها شيطانة ٠٠ شيطانة خطيرة ٠

فطلب السحرة وسألهم ٠٠ فقالوا :

– إنها ساحرة كبيرة ٠

وحصّنه الكهنة بما يبطل سحر الساحرين

ودخل الملك إلى سارة مطمئناً إلى النتيجة، فإذا هي مستغرقة

في صلاتها ٠٠ فوقف يتأملها حتى انتهت ثم تقدم منها وسألها :

– ما هذا الذي كنت تفعلينه ؟

– الصلاة ٠٠ كنت أصلي الله سبحانه وتعالى ٠

– الله ؟! ومن هو الله ؟

– ربّ السموات والأرض وما بينهما ٠٠ الواحد الأحد ٠٠

الفردي الصمد ٠

فضحك الملك مقهقهاً ٠٠ فهو لا يتصور وجود إله واحد لهذا

الكون ٠٠ وهو يعبد عشرات الآلهة - ومد يده يريد أن يضمها

فشلت يده فصاح متوسلاً :

— إذا كان قولك هذا حقاً .. فادعني إلهك يطلق يدي
فدعت سارة ربها ، فأطلق يده .. وبدلاً من أن يشكرها الملك على
ما فعلت أخفته العزة بالإثم ، ومد يده إليها ثانية يحاول
ضمها .. وهنا شلت يداه الاثنان وتجمد في مكانه لا يستطيع
الحركة .. فصرخ متوسلاً راجياً سارة مستعظفاً إياها أن
تدعو الله مرة أخرى مؤكداً أنه لن يفكر في الإضرار بها بعد ذلك
أبدًا .. وهنا دعت سارة الله ، فأطلق سبحانه يده .. فسأله
الملك مذهولاً :

— من أنت ؟

— امرأة مؤمنة بالله الحق .. وقد أغار جنودك على قومي
وحاربوا زوجي وأسروني .
— ما اسم زوجك ؟
— إبراهيم — عبد الله — ومبعوثه بالبين القيم إلى الناس
جميعاً .

— انهمي .. فأنت حرة ..

وخرج الملك من حجرة سارة وهو يفكر تفكيراً عميقاً في كل
ماحدث بينه وبين هذه المرأة .. واتجه إلى قاعة العرش وجلس بها
لحظات وهو ما يزال مستغرقاً في تلك التفكير العميق .. واستأنز

رئيس وزرائه لإبراهيم وأصحابه وقال : إنهم قد جاءوا يطلبون إطلاق سراح سارة زوجة إبراهيم ، وأنهم على استعداد لنفع وزنها ذهباً . فقال الملك باهتمام ولهفة :

— أدخلهم على الفور .

وبدخل إبراهيم عليه السلام مع رئيس الوزراء وخلفه بعض أصحابه إلى قاعة العرش ، وتقدموا حتى مكان فرعون ، ثم سلّموا بون أن يسجدوا . فهتف بهم رئيس الوزراء :

— اسجدوا للملك

فقال إبراهيم عليه السلام :

— نحن لا نسجد لغير الله سبحانه وتعالى .

فهم رئيس الوزراء بأن يؤثّبهم على ذلك ولكن الملك صاح فيه أن يسكت فسكت . . . وهنا التفت الملك إلى إبراهيم وقومه وقال :

— من فيكم إبراهيم ؟

فقال عليه السلام :

— أنا أيها الملك . . . قد جئت أفتدى امرأتى التى أسرها رجالك . فقام الملك إليه وأخذه بيده ثم آجلسه إلى جواره على مقعد العرش ، ثم قال له :

— لن أقبل فدية فيمن حفظها الله . . . ويكفينى ما رأيت وعلمت من أمرها . . . أنا سعيد بقومك . . . وأنت ومن معك

ضيوف على^{٥٥} فأنزلوا على الرحب والسعة^{٥٥} وأنعموا في قصرى
بأفضل ما فيه من خنمات وخيرات^٥

والتقى إبراهيم عليه السلام بسارة واطمأن على حالها^{٥٥}
وفي اليوم التالى عقد الملك له جلسة حضرها الكهنة وكبار رجال
الدولة تحدث فيها إبراهيم عن الدين الذى يدعو له^{٥٥} ثم دار بينه
وبين الكهنة حوار طويل قام بعده الملك وهو حائر لا يرى من أمره
شيئاً^{٥٥}

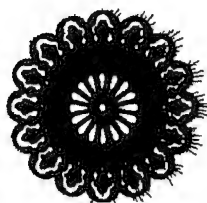
لقد استقر كلام إبراهيم في نفسه وأدخل إليها شعاع جديد
من نور قوى لم يعرف مثله من قبل^٥

واستمر إبراهيم عليه السلام بمصر يدعو الناس إلى
الوحدانية ، وكان لطيف العبارة قوى الحجة ، يستميل القلوب
والعقول معاً إلى ما يقول^{٥٥} فأقبل عليه الناس وأقبل الكهنة وقد
اجتنبهم دينه القويم^{٥٥} ولكن حب الكهنة للاحتفاظ بالسيطرة على
البلاد وعلى الملوك أنفسهم وقف بينهم وبين اعتناقه^{٥٥} وبقي
إبراهيم عليه السلام ماشاء الله له أن يبقى في مصر ، وزار جميع
المعابد في جميع البلاد ، والتقى بكبار الكهنة ورجال الدين
وناقشهم وناقشوه ، ثم استأنن الملك في الرحيل وقد تأكد عنده أن
وادي النيل لا يصلح في هذه الفترة لاحتضان الدعوة التى يدعو
بها ، وإن يتيح الفرصة لرسالته كى تنتشر بسهولة بسبب سيطرة

الكهان على الملوك وكبار الموظفين وتحكمهم تحكماً كاملاً في جميع
مرافق الدولة وشؤونها رغم أن في عقيدة المصريين بعض ما في عقيدة
التوحيد التي يدعو لها .

ولما علم الملك برغبته في الرحيل حمّله الكثير من الهدايا
والعطايا . . . كما سمح لهاجر أن تذهب مع سارة . . . وكانت
هاجر قد صالقت سارة أثناء محنتها بين يدي الملك ، وكانت عوناً
لها في تلك المحنة . . . كما كانت سارة قد تعلقّت بها وأحبّتها
خاصة بعد أن حبستها عن الدين الذي يدعو له زوجها . . . فانشرح
قلب هاجر لهذا الدين وآمنت به .

وتحرك إبراهيم بسارة وهاجر ومن حضر معه وبعض من
آمن به من المصريين عائداً إلى أرض كنعان .





هَاجَرُ الْعَرَبِ



هى الأميرة هَاجَرُ ٠٠ سيدة القطرين ٠٠ وأميرة منف ١٠
 وزوجة مليكها ٠٠ وكانت قد آمنت بآلهة قومها المتعددة ٠٠ تلك
 الآلهة التى قال عنها الكهان : إنها تحمى المصريين وتدافع عنهم
 وتحارب من أجْلهم ٠٠ بل تقاتل بالسلاح فى صفوفهم ٠٠ فلما
 حدث وهاجم الهكسوس زوجها وخرج لحربهم لم تتخيل أبداً أن
 الهكسوس ينتصرون على زوجها ويقتلونه شر قتلة ٠٠ فلما حدث
 هذا راحت تسأل نفسها : لماذا آمنت بهذه الآلهة التى لا تستطيع
 أن تفعل شيئاً لمن آمن بها ؟
 ولما لم تجد عند نفسها الجواب آخذت توجه السؤال إلى
 الكهان واحداً بعد واحد ٠٠ وعجز الكهان عن تقديم الإجابة
 المقنعة ، فكفرت بتلك الآلهة التى لا تضر ولا تنفع ، والتى تعدت
 أسماؤها وتنوعت وظائفها ، والتى فسد كل شيء فى النولة
 بسببها ٠

وبدأت هَاجَرُ تفكر تفكيراً جديداً ٠٠
 وهاجم الهكسوس قصرها ٠٠ وهرب كل من فيه من الأهل

(١) منف — هو اسم مدينة فرعون بمصر ، لم ينكرها ياقوت ام ٠

والخدم والحشم ٠٠ أما هي فقد بقيت في مكانها ٠٠ ويدخل الجنود إلى غرفتها وعرفوا - من التاج الموضوع فوق رأسها - أنها أميرة القصر فحملوها إلى قائد الجيش الذي حملها بدوره إلى الملك .
وما إن مثلت هاجر بين يدي الملك حتى آهانها وأذلها وعيرها بجبن زوجها ، ثم أمر بنزع التاج عنها وضمها في قصره إلى الحريم كبقاى الجوارى ٠٠ وامتلكت هاجر لما فرض عليها ولم تعباً بال الحال الجديدة التى أصبحت فيها ٠٠ فقد كانت مشغولة بذلك التفكير الجديد الذى طرأ عليها ٠٠

وللمرة الثانية وقف عقلها حائراً لا يستطيع الوصول إلى الإجابة المقنعة .

وجاءت سارة إلى القصر وزاملتها هاجر ٠٠ ورأتها دائماً الصلاة والذكر والتسبيح ٠٠ وأحست هاجر بنفسها تنجذب إلى سارة فسألتها وتحدثت سارة عن دين إبراهيم ٠٠ وكانت هاجر تستمع بكل حواسها إلى كلمات سارة ٠٠ وشعرت بهذه الكلمات المضيئة تستقر في أعماق نفسها ٠٠ وشرح الله قلبها لهذا الدين ٠٠ فمخلت فيه ، وآمنت به ، واستقرت روحها الحائرة على شاطئه الأمين .

وتعلمت من سارة كيف تصلى وكيف تسبح وكيف تذكر الله

سبحانه وتعالى ٠٠ وتعلقت كل منهما بالأخرى فلم تستطع فراقها ٠

وعندما جاء الخبر بقرب سفر سارة ابتهلت هاجر إلى الله ألا يفرق بينها وبين سارة ، وأن يجعلها ترحل معها إلى حيث تذهب ٠٠ واستجاب الله عز وجل إلى دعائها فأمر الملك بلئن تكون في صحبة سارة عند سفرها ٠

إِسْمَاعِيلُ

واستقر إبراهيم مع سارة وهاجر بأرض كنعان وسط الطائفة التي آمنت به ٠٠ وعاشوا حياة رضية هائلة لا يعجز صفوها إلا حنين إبراهيم إلى الولد ٠٠ تلك الحنين الجارف الذي أقض مضجعه وجعله يقضى الليالي والأيام حزينا مفكرا ٠٠ وكانت سارة تتألم هي الأخرى لهذا الحرمان وتدعو الله أثناء الليل وأطراف النهار : أن يمنّ عليها بولد تقرّبه عين زوجها ٠٠ ولكن الله سبحانه وتعالى لم يستجب لدعواتها. لحكمة خفيت عليها ٠ ومرت السنوات والحال كذلك ٠٠ وذات يوم دخلت سارة على زوجها صومعته التي يتعبد فيها وقالت :

— يعز عليَّ أَن أراك حزينا على الولد الذي حرمته مني
يا نبي الله .

— إنها إرادة الله يا ابنة العم . . . علينا أَن نخضع دائما لما
أراد الله سبحانه .

وانصرفت سارة دامعة العين حزينة كاسفة البال
واستأنف عليه السلام ما كان فيه . . . كان يصلي ويبتهل إلى الله
عز وجل أَن يمن عليه برضاه وَأَن يتقبل صلاته . . . وشعر أَبُو
الأنبياء بما كان يشعر به كلما اقترب الوحي منه . . . واستقرَّ في
أُذنيه الكريمتين صوت يقول :

— ارفع عينيك إلى المشرق والمغرب فسوف يعطيك الله هذه
الأرض ويورثها نريثَكَ وسوف يجعل في نريثك النبوة والكتاب
وفرَّح إبراهيم بوعد الله سبحانه ، ولكنه كان يتساعَل بينه
وبين نفسه — كيف تكون له نرية وهذه زوجته عقيم لا تلد ؟ وانتهى
من صلاته ، فترك صومعته واتَّجه إلى سَارَة وقال لها :

— سيهب الله لي من الصالحين . . . سيكون لي الولد الذي
أشتهيته يا ابنة العم . وفرحت سارة أَيضًا . . . ولكنها لم تلبث أَن
وجعت . . . فقد تنكرت أَنها قد وصلت من العمر ما يجعلها قادرة
على تحقيق رغبة زوجها وَمَنَحِه الولد الذي يريده . . . ولكنها تنكرت

أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ۝ ۝ فَتَنَزَّلْتُ — كَمَا تَقُولُ بَعْضُ
الرَّوَايَاتِ — أَنَّ تُرْضَعَ أَلْفَ طِفْلٍ يَوْمًا أَنْ تَضَعَ طِفْلَهَا ۝

ومضت السنوات دون أن يمنحها الله الولد ۝ فراحَت تفكر
في تزويج إبراهيم بأُخْرَى تَنْجِبُ لَهُ ذَلِكَ الْوَلَدَ ۝ ۝ وَعَزَّ عَلَيْهَا أَنْ
تَفْعَلَ ۝ ۝ وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ شَقَّ عَلَيْهَا أَنْ لَا تَفْعَلَ ۝ ۝ وَلَمْ تَلْبِثْ أَنْ
سَقَطَتْ فَرِيْسَةُ صِرَاعٍ جَبَّارٍ أَسْلَمَهَا إِلَى حَالَةٍ مَرْضِيَّةٍ عَجَزَ الطَّبُّ عَنْ
عِلَاجِهَا ۝ ۝ وَقَامَتْ هَاجِرٌ أَثْنَاءَهَا بِكُلِّ مَا يَلْزِمُهَا مِنْ عَنَايَةِ
وَرَعَايَةِ ۝

وفكرت سارة وهي في فراش مرضيها في هَاجَرَ هَذِهِ الْمُؤْمِنَةِ
الصَّالِحَةِ ۝ ۝ وَقَالَتْ لِنَفْسِهَا :

— لِمَ لَا تَكُونُ هَاجِرٌ هِيَ الزَّوْجَةُ الَّتِي تَمْنَحُ إِبْرَاهِيمَ الْوَلَدَ
وَتَمْنَحُ الْأُسْرَةَ كُلَّهَا السَّعَادَةَ ؟ لِمَ لَا تَكُونُ هِيَ الْمَوْعُودَةَ ۝ ۝ وَقَدْ
أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَشْرَفَهَا وَيَكْرِمَهَا فَيَرْطِبَ بَيْنَ بِلَادِهَا وَبَيْنَنَا
الْأَسْبَابُ ؟

وقامت سارة من فراش مرضيها وسارت حتى وصلت مكان
هاجر فوجدتها تصلي في إِيْمَانٍ وَخُضُوعٍ فَجَلَسَتْ تَتَأَمَّلُهَا فِي
صَلَاتِهَا وَتَسْتَرْجِعُ قِصَّتَهَا مِنَ الْبَدَايَةِ ۝ ۝ وَهَنَا وَضَحَتْ لَهَا
الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ السَّامِيَّةُ الَّتِي جَعَلَتْهَا تُؤَسِّرُ وَتُنْقَلُ إِلَى مِصْرَ حَيْثُ
تَتَعَرَّفُ بِهَا هُنَاكَ وَتَتَعَلَّقُ بِهَا ثُمَّ تَحْضُرُ مَعَهَا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ حَيْثُ

تعيش معها ومع زوجها إبراهيم .

ولم تنتظر سارة حتى تُكَمِّلَ هَاجِرُ صلاتها ، وإنما أخذت

طريقها إلى صومعة إبراهيم ، ثم قالت له :

– لقد فكرت في الأمر واستقرى التفكير عند رأى أرجو أن

تأخذ به ؟ فرفع إبراهيم عليه السلام رأسه ونظر إليها متسانلاً ،

بينما استطربت هي تقول :

– والرأى الذى استقر عليه تفكيرى هو أن تتزوج هَاجِرَ

الوفية الكريمة المؤمنة ، فقد تنجب لنا الولد الذى يحقق وعد الله

سبحانه ، ويدخل البهجة على قلوبنا ، ويضيء جَنَاتِ حياتنا

المقفرة المحرومة من الخُصْبِ والِإِتْجَابِ .

وحاول إبراهيم عليه السلام أن يعترض عليها مبيناً لها أن

هذا الفعل قد يسيء إليها في المستقبل أو يكون سبباً في شقائها ،

ولكنها صممت ، فاستجاب إبراهيم وبخل بهَاجِرَ .

وحملت هاجر ، ففرح إبراهيم وفرحت الفئة المؤمنة به .

وأخذت هاجر تصلى لله شكراً وتقول :

– رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ .. رَبِّ

اجعله من الصالحين ؟

ونامت هاجر ليلاتها قريرة العين ، سعيدة بفضل الله الذى

اختارها لتنجب نرية لنيبه وخليله إبراهيم . ورأت في نومها من

يقول لها :

— يَا هَاجِرُ ، قد سمع الله ضراعتك ، وسوف يَهَبُ لك ولداً
نَكَرَافَسَمِيهِ : إِسْمَاعِيلَ — آي المسموع من الله — لَأنَّ الله سمع
صلاتك وابتهالك ، وسوف يباركه ، ويكثر نسله تَكْثِيراً ٠

كان هذا حال هاجر ٠٠ أما سارة فقد كان لها حال
آخر ٠٠ نعم لقد استيقظت الغيرة في قلبها كَأَقْوَى ما تكون
الغيرة ٠٠ وكانت — المسكينة — تجتهد في كبتها والقضاءِ عليها ،
ولكنها لم تفلح ٠٠ فذهبت إلى زوجها وقالت له :

— لقد نبغت إليك بهاجر ، فلما حملت تَرَقَّعَتْ عَلَيَّ وتعال

فَلَجَّابِهَا إِبْرَاهِيمَ : هي صاحبك تفعلين بها ما تشائين ٠
وداع عليه السلام يَنْكَرُهَا بما كان من تحذيره لها ونصحه
وما كان من إصرارها وتصميمها ٠٠ ولكنها لم تهدأ ولم تستقر
وظلت على غيرتها وشقاقها بهذه الغيرة ٠

وجاءَت اللحظة الحاسمة ، ووضعت هاجرُ إِسْمَاعِيلَ ،
واستقبل إبراهيم — عليه السلام — البُشْرَى سعيداً وداع يصلي لله
شكراً وحمداً ٠٠

ثم انبفع إلى الطفل وحمله بين نراعيه وهو يقول :

— رَبِّ إِنِّي أُعِيدُهُ بِكَ وَنُرِّيَّتَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ٠

وَأَوْحَى اللهُ إِلَى نَبِيِّهِ وَخَلِيلِهِ :

— قد سمعت لك في إسماعيل إني أباركه وأبارك نريته ، يلد
اثنتي عشر أسباطاً أُمماً ، وأَجْعَلُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً ؟

فقال إبراهيم عليه السلام :

— الحمد لله الذي فضّلنا على كثير من المؤمنين •

ثم خرّ ساجداً لله عز وجل •

وهكذا أسعد ميلاد إسماعيل عليه السلام إبراهيم عليه
السلام وقرّت به عينه — بينما أشعل مولده نيران الغيرة أكثر وأكثر
في نفس سارة العاقِر — وامتد لهيب هذه الغيرة يَأْكُلُ قلبها في
ضراوة ما بعدها ضراوة •

وداح إبراهيم عليه السلام يحاول مع سارة علّها تعود إلى
حالتها الطبيعية ، ولكن عبثاً كان يحاول ، فقد ازداد التّياغها
وتعاستها وأصبحت تصرخ ألماً كلما سمعت بكاء الطفل أو
ضحكه •• ولم يعد أمام إبراهيم إلا أن يبعد هاجراً وابنها عن
البيت حتى لا تراه سارة أو تسمع صوتهما ••

واستخار إبراهيم ربه ، فأوحى إليه أن يركب دابته
ويصطحب الطفل وأمه ويسير حيثما توجّهه العناية الإلهية ••

ونفذ إبراهيم ما أمر به على الفور ، وسار بهما يضرب في القِيَاقِ
والقِفَارِ •

ومنذ تلك اللحظة المباركة الميمونة بدأت مرحلة أخرى من
 مراحل قصة الكعبة المعظمة - أول بيتٍ وُضِعَ للناس - .
 وهناك عند مكة توقف إبراهيم عليه السلام عن السير ،
 ومكة حينذاك مكان قفر لا حياة فيه ولا ماء ، ولا يكاد يُلمَّ به سوى
 نفرٍ من البهو الرَّحَل يتنقلون هنا وهناك وراء الماء والمرعى .
 وتقدم إبراهيم عليه السلام حتى وصل إلى رَبْوَةٍ حمراء كانت
 قائمة هناك وفوقها أطلال مُهْتَمَّةٌ . تقدم حتى وصل الرَّبْوَةَ .
 وهناك ترك هَاجَرَ وإسماعيلَ واتجه يريد العودة من حيث جاء -
 فَهَلَّتْ هَاجَرٌ وهى تراه يُبِيرُ عَنْقَ دابته عانداً ، وأمسكت بلجامِ
 الدابة وصاحت :

- لن نتركنا في هذا المكان البَلَقِ الذى لا حياة فيه ولا ماء ،
 ولا يقصده إنسان ، ولا يَقْطُنُهُ غَيْرُ الْوَحُوشِ وَالْأَفَاعِي وَالْهُوَامِ ؟!
 فلم يُجِبها إبراهيم عليه السلام بكلمة واحدة . فنظرت إليه
 تَسْتَرْجِمُهُ ، ولكنه انطلق صامتاً دامع العينين . فصرخت من
 مكانها :

- آلهُ أَمَرَكَ بهذا ؟!

فَجَابَهَا إبراهيم عليه السلام :
 - نعم .

فَقَالَتْ هَاجَرٌ - فى استسلام المؤمنة الصالحة الإيمان - :

— إِنْ ۞ فَاللَّهُ لَا يُضَيِّعُنَا ۞

ومضى إبراهيم مسافة قصيرة ثم رفع وجهه إلى السماء

وقال :

”رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ
الْحَرَمِ * رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي
إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۞ ٢٧ : ١٤ “

وانطلق على طريق العودة إلى أرض كنعان (١) وقد امتلأت

نفسه بالحزن والآلم والخوف على فلذة كبده الذي لم تكده عيناه

تكتحلان برؤيته حتى حُرِمَ مِنْهُ واضْطُرَّ إلى تركه وأُمِّه بالعراء ۞

ولكن إيمان إبراهيم عليه السلام كان أقوى من كل هذا وكانت

حكيمته أكبر ، فصبر واحتمل ۞

لقد أحس إبراهيم عليه السلام أن وراء هذا التوجيه الإلهي

ما وراءه من الخير للبشرية كلها ، فمضى مستسلماً قانعاً بما سوف

يكون ۞

أَمَّا هَاجِرٌ ۞ فقد جلست تداعب طفلها بيدها بينما

كان عقلها يفكر ۞ ۞ ۞ لقد شاعت الإرادة العليا أن تكون وابنتها

وحيدتين لاحتول لهما ولا قوة وسط هذه الصحراء الجرداء المقفرة

(١) هي الأرض المقدسة ، وكنعان هو ابن حام جد القبائل ١٠ هـ

المَخَاطة بالِجبالِ السُّوداءِ المَخِيفَةِ والمرْتَقعاتِ الغبراءِ الرهيبة ٠٠
وسمعتُ هَاجِرَ صَوْتًا مِنْ أَعْمَاقِ نَفْسِها يُؤكِّدُ لَها أَنَّ العِنايةَ
الإِلَهيةَ ترعاها وابْنُها وتُحيطُهما بِسِياجِ رَحْمَتِها ٠
وانْتَهى اليَوْمُ الأوَّلُ وجاءَ اللَّيلُ وأَعقَبه فَجْرُ يَوْمٍ جَديدٍ ٠٠ ثم
تَعاقبتِ الأَيامُ واللَّيالي ، وَنَفِدَ الزادُ ومِن بَعْدِهِ نَفِدَ المَء ٠٠ فَصَبِرْتُ
هِيَ واحْتَمَلْتُ ٠٠ لَكنَ الطِفْلُ لَمْ يَسْتَطِعِ الصَّبْرَ ٠٠
بَكَى الطِفْلُ مِنَ الجُوعِ ، ثُمَّ بَكَى مِنَ العَطَشِ ومَعَ مَرُورِ
السَّاعاتِ تَضاعَفَ آلامُهُ مِنَ الجُوعِ والعَطَشِ فَازدادَ بَكاؤُهُ ٠٠
وَحاولَتْ هَاجِرٌ أَنْ تَجِدَ لَبنَها ونَفْسِها مَخْرَجًا فَسَعَتْ نَحْوَ أَقْرَبِ
الجِبالِ وَأَناهاها مِنَ الأَرْضِ ٠٠ سَعَتْ عَلَها تَربى أَحَدًا أَوْ تَعَثِّرَ عَلى
أَثَرِ ماءٍ أَوْ حَياةٍ ٠
وَحَيَّلَ إِلِياها أَنَّ لُجَّةَ ماءٍ عِنْدَ المَرْوَةِ ^(١) ، فَاسْرَعَتْ إِلِياها
حَتى إِذا وَصَلتِ المَكانَ لَمْ تَجِدْ شَيتًا فَبَعثَتْ إِلى الصَّفَا فَإِذا بِالطِفْلِ
يَصْرخُ فى أَلَمٍ مُؤْلِمٍ ٠

فانْدَفَعَتْ مَرَّةً أُخْرى إِلى قَمَةِ الصِّفا وَأَعانتِ النَظْرَ وَخَيَّلَ
إِلِياها لِلْمَرَّةِ الثَّانِيةِ أَنَّها تَربى المَءَ عِنْدَ المَرْوَةِ ٠٠ نَعَمْ ، لَقَدْ أَذهَلْها

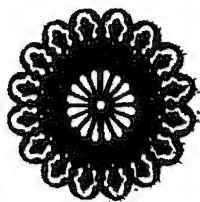
(١) جَبَلٌ يَعلِفُ عَلى الصِّفا ، والصِّفا مَرْتَفَعٌ مِنَ جَبَلِ ابْنِ قَبيسَ بَينَهما عَرَضُ
الوَادِى ، والصِّفا والمَرْوَةُ بَينَ البَطحاءِ والمَسْجِدِ الحَرَامِ ٠ ١ هـ ٠

الموقف وما تعانيه عن الحقيقة التي لستها بنفسها منذ قليل ..
 حقيقة السراب .. وهكذا سَعَتْ هَاجِرُ سبعة أشواط في حالة
 لاشعورية باكية القلب دامعة العين .. ولا مَمَّ لها إِلَّا أَنْ تَنْقُذَ
 طفلها من الموت عطشاً .

وَأَعْيَاها السَّعْيُ ونال منها التعب والجهد ، فسقطت على
 الأرض إلى جوار الطفل وقد آيقت بالهلاك لها وله ..
 ولكن رحمة الله كانت منها ومن ولدها جِدًّا قَرِيبَةً -
 نعم .. لقد تَفَجَّرَتِ المياهُ فُجَاءَةً من جوف الأرض وكَوْنَتْ
 بِحِيرَةً صغيرة تَحْتَ قَدَمَيِ الطفل .
 ونظرت هَاجِرُ إِلَى مَصْتَرِ الصَّوْتِ الذي وصل إلى سمعها ..
 صوتِ المياهِ المتفجرةِ وَرَأَتْ الماءَ .. ولكنها لم تصدق أَنَّهَا وَلَا
 عَيْنُهَا .. وَهتفتُ متسائلة :

— رِياه .. ماذا أَرَى .. مِيَاهًا أَمْ سَرَابًا ؟
 فَمَدَّتْ يَدَهَا إِلَى الماءِ وَتَأَكَّدَتْ مِنْهُ فَاسْرَعَتْ فِي قَرْحِ تَبَلُّغِ
 شَفَتَيِ الْوَلَدِ ثُمَّ أَخَذَتْ تَسْقِيهِ حَتَّى ارْتَوَى وَهَدَأَتْ نَفْسَهُ فَشَرِبَتْ
 هِيَ الْآخَرَى .. ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَتْ :
 — أَحْمَدُكَ وَأَشْكُرُ فَضْلَكَ يَا إِلَهِي .. حَقًّا إِنَّكَ لَنْ
 تُضَيِّعَنَا .

وبعد أَن شَكَرْتَ هَاجَرُ رَبَّهَا الْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، الرَّحِيمَ
 بعباده ٠٠ اتجهت إلى المياه التي كانت لاتزال تتفجر - وقالت
 وهى تحاول جَمْعَهَا :
 - زُمِّي ٠٠ زُمِّي ٠٠
 أَى تَجْمَعِي تَجْمَعِي وَلَا تَضِيعِي فِي الرَّمَالِ ٠٠
 ولم تتسرب المياه في الرمال ، بل تفجرت بقوة أكبر وأكبر .
 وانفجاع أشدَّ وأشدَّ ٠٠ ولا تزال تتفجر حتى يومنا هذا من عَيْنِ
 زَمَزَمَ التي تقع بجوار الكعبة المشرفة وعلى مقربة من جبل الصفا -
 والتي ارتوى منها ويرتوى ملايين الملايين من المسلمين .



نحو حياة جديدة

وعاشت هاجر بولدها إلى جوار زمزم هائلة قرية العين ..
 وزارهما إبراهيم عليه السلام ورأى الصحراء المجيبة قد تحولت
 إلى جنة وارفة الظلال .. فسجد لله شكراً ثم عاد إلى سارة يروي
 لها قصة المعجزة التي تحققت وسط الصحراء القاحلة المقفرة ..
 ومرت على مقربة من المنطقة قافلة لقبيلة كبيرة هي قبيلة
 جرهم^(١) ، فلاحظ رئيس القافلة الذي يعرف المنطقة خير المعرفة
 لكثرة ما مرّ بها في رحلاته .. لاحظ أن شيئاً جديداً قد طرأ فقير
 أحوال المنطقة ، فقال :

— عجباً يا قوم .. إننى أرى طيوراً تحوم في سماء هذا
 المكان وعهدى به بلقاعاً .. لأماء فيه ولانبات !
 فأجاب أحد رجاله :

— الطيور لا تحلق إلا حيث يوجد الماء .. وأغلب الظن أن
 عيناً من العيون قد تفجرت قريباً من هذا المكان ..
 وقررت القافلة إرسال غلامهم يتفحص المكان ويحاول
 معرفة ما حدث .. وانطلق الغلام ، ثم عاد بعد ساعة يقول :

(١) جرهم — نحي من اليمن ١٠ هـ (جمهرة الانساب)

أَبَشِّرُوا بِالْخَيْرِ الْعَمِيمِ يَا آلَ جَرْهَمَ ٠٠ لقد وجدت على مقربة
منكم عينا يتدفق الماء منها بفزارة ٠٠ وقد أخضر المكان حولها
وازدان بالثمار الشهية الزكية الرائحة ٠
فَسأَلَهُ رَئِيسُ الْقَافِلَةِ :

— وهل وجدت عندها أحداً من الناس ؟
— وجدت امرأة وطفلاً الصغير وقد استأننتها في النزول
عجوارها والسقي من ماء العين ؟ فقالت : نعم ، آتَنُ لَكُمْ عَلَى أَنْ
تَكُونُوا خُصِيوفاً مُكْرَمِينَ لِمُقْتَصِبِينَ ٠
فَقَالَ رَئِيسُ الْقَافِلَةِ :

— نحن على إرادتها وطلوع أمرها ٠٠ هيا بنا إليها ٠
وسارت القافلة حتى بلغت مكان زمزم ٠٠ وبم التقاهم مع
هَاجَرَ عَلَى الْبَقَاءِ إِلَى جِوَارِ الْعَيْنِ ٠٠ وَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِ بَقِيَّةِ أَهْلِهِمْ
فَجَاءُوا وَأَقَامُوا الْبُيُوتَ ٠٠ كَمَا جَاءَ الْعَمَالِيقُ «١» أَيْضاً وَأَقَامُوا
الْبُيُوتَ وَامْتَلَأَ الْمَكَانَ بِالسَّكَّانِ «٢» ٠
وإذا بالوادي المفقّر المجنب الموحش يَبْيَضُ بِالْحَيَاةِ وَيَصْبِحُ
جَنَّةً مِنْ جَنَّاتِ الْأَرْضِ ٠

(١) الْعَمَالِيقُ — قوم تفرقوا في البلاد من ولد عمليق بن لاوذ بن إدم بن سام ١ هـ —
(معجم القبائل) ٠
(٢) ثم كانت بها ولاية القعوث بن مر وملوك كتندة وبنو المحض بن جندل ملوك مكة ٠
ولاية مكسيم قبيلة عاد بغيرهم (انظر الشفاء جـ ١ ص ٢٦٢) ٠



إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْفِذَاءُ



وعاد إبراهيم - عليه السلام - إلى ولده وقد بلغ معه مَبْلَغَ السَّعْيِ ليطمئن على حاله وحال أمه وينقل إليهم بشرى وصول ولده الثاني إسحق . . فقد حملت سارة بعد كل ما كان من عُقْمِهَا وَجَبَّ رَحْمِهَا ، وولدت الابن الثاني لإبراهيم . . فهدأت نفسها وزالت عنها الغيرة والحقد وكل ما كانت تحمله في تلك النفس لهاجَرَ وابنها .

وفرحت هاجِرُ بالخير وَهَنَّتْ إبراهيم - عليه السلام - كما فرحت بزوال غيرة سارة وحقدِها ، وتمنت لو أنها وابنها حجاً إلى مكة والتَّامَ شَمْلُ الأُسرة ، ولكن إبراهيم عليه السلام أقامهما أن إقامة إسحق وأمّه في مكة غير ممكنة . . فكما أن لإسماعيل ولدها رسالة هنا فإن لإسحق مهمة أخرى هناك . . ونام إبراهيم تحت تَوَحُّدٍ بجوار بئر زمزم فرأى في نومه أنه ينبح ولده إسماعيل - فَهَبَ من نومه مذعوراً واخذ يفكر في هذه الرؤيا التي تعتبر في مقام الوحي ، لأن رؤيا الأنبياء حق .

وتذكر ما كان القدامى يفعلونه بأبنائهم . . كانوا ينبحون أبكارهم قرياناً للالهة . . وتذكر أيضاً : أن الكتّانين لا زالوا

يَقْدُمُونَ دَمَاءَ أَبْنَائِهِمْ قَرِيبَانًا لِلَّهِمَّ (بَعْلٍ) ١٠ ٠ ٠ وعزاً عليه
 أَن يَذْبَحَ وَلَدَهُ الْحَبِيبَ ، ولكن حبه لتنفيذ أوامر ربه كان أقوى من
 حبه للولد ٠ فقام يبحث عن إسماعيل ، فلما وجدته أمره أَن يأخذ
 سَكِينًا وَحَبَلًا وَأَن يَتَقَدِّمَهُ إِلَى جَبَلٍ (ثَبِيرٍ) ١٠ ٠ فاندفع الولد
 يصعد الجبل كما أمره أبوه ، واندفع إبراهيم عليه السلام خلفه —
 وفي نفسه من الحزن والألم ما فيها ٠ ٠ وبينما هو يسير في طريقه إن
 ظهر له فجأة رجل كبير السن وسأله :

— إِلَى أَيْنَ آيَهَا الشَّيْخُ ؟

— إِلَى حَيْثُ أُرِيدُ ٠

— وَمَاذَا تَرِيدُ ؟

— وَمَا شَأْنُكَ أَنْتَ ؟

— لَقَدْ جِئْتُ لَتَذْبَحَ وَلَدَكَ كَمَا رَأَيْتَ فِي نَوْمِكَ ! ؟

فَدَرَكَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَن هَذَا هُوَ إِبْلِيسُ ، وَأَنَّهُ

يَعْتَرِضُ طَرِيقَهُ لِيَمْنَعَهُ عَنِ تَنْفِيزِ أَمْرِ ربه ٠ ٠ فصاح فيه بغضب

— أَغْرَبَ عَنِّي آيَهَا اللَّعِينُ ٠ ٠ أَغْرَبَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ فَلَن يَمْنَعَنِي

عَنِ تَنْفِيزِ أَمْرِ رَبِّي أَحَدٌ مَّهْمَا كَانَ ٠

(١) بعل — هو صنم كان لقوم اليباس عليه السلام ١٠ هـ ٠ (تاج العروس)

(١) جبل ثبير — هو ثبير منى ، أحد الأثيرة الأربعة ٠ هـ ٠ (معجم ياقوت)

ولم يبتعد إبليس ، بل راح يحاول معه من جديد ٠٠ فالتقط إبراهيم عليه السلام سبع حصيات من الأرض ورجمه بها حتى اختفى ٠

وكما اعترض إبليس طريق إبراهيم عليه السلام اعترض طريق إسماعيل ، وقال :

— هل تدرى ماذا سيفعل بك أبوك ؟

— أبى لا يفعل غير الخير ٠

— إنه يريد أن ينبحك ، لأنه رأى فى نومه أنه يفعل ذلك

ويزعم أن هذا أمر الله إليه

— فليفعل أبى ما أمره الله ٠٠

ولم يقتنع إبليس بقول إسماعيل عليه السلام ، وظل يحاول

إقناعه لكى يهرب من أبيه ، ولكن إسماعيل زجره وطرده ٠٠

فلما لم يبتعد التقط من الأرض سبع حصيات ورجمه بها حتى اختفى ٠

ووجد إبليس اللعين أن الأب والابن قد صمما على التنفيذ ،

وعرف أن محاولته لن تجدى معهما فاندفع إلى هاجر ٠٠ وفى

اعتقاده أن التأثير على المرأة دائما أفعّل وأسهُل من التأثير على

الرجل — واقترب من هاجر وقال لها :

— أتعرفين يا أم إسماعيل أن إبراهيم قد مضى بوليك إلى
الجبل ليذبحه ؟

— لا .. ما أظنه يفعل .. إنه أرحم به وأشد حبا له من أن
يفقده الحياة .

— إنه يقول : إن هذا أمر من الله إليه .

— إذا كان الأمر كذلك فلا حول لنا ولا قوة أمام إرادة
الله وعلينا جميعا أن نستسلم لها ونخضع .

فوقف إبليس ينظر إليها في دهشة .. ويعجب من شدة
إيمانها بالله . ولم يتحرك من المكان حتى التقطت سبع حصيات
من الأرض ثم رجمته بها .

وعلى جبل ثبير قال إبراهيم عليه السلام لولده :

— « إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ : أَنِّي أَنْبَحَكَ .. فَانْظُرْ مَاذَا
تَرَى ؟ » .

فقال إسماعيل في استسلام :

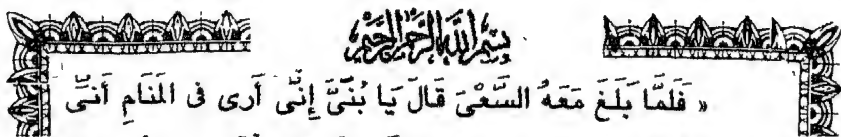
— « يَا أَبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ .. سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ
الصَّابِرِينَ » .

وقف إبراهيم عليه السلام لحظة يفكر في الطريقة التي يذبح
بها ولده دون تردد أو اضطراب ، وكأنما أحس الولد بما في نفسه
فقال له :

— يا أَبَتِ ٠٠ اشْدُدْ وثاقي واشْحَذْ شِفْرَتَكَ فَإِنِ الْمَوْتَ
شَدِيدٌ ٠٠ وَإِنِّي لَأَخْشَى أَنْ أَضْطَرِبَ عِنْدَهُ ٠٠ وَكُبْنَى لَوَجْهِى عَلَى
جَبِينِى وَلَا تُضْجِعْنِى لِشِقْوَى فَإِنِّى ٠٠ أَخْشَى إِنْ نَظَرْتُ فِي وَجْهِى
أَنْ تَأْخُذَكَ الرَّحْمَةُ فَلَا تَنْفُذْ أَمْرَ اللَّهِ فِيَّ ٠٠ وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرُدَّ قَمِيصِى
عَلَى أُمِّى ، فَافْعَلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا أَسْلَى لَهَا عَنِ .
فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ :

— نِعَمَ الْوَلَدُ أَنْتَ يَا إِسْمَاعِيلُ ٠٠ وَنِعَمَ الْعَوْنُ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ
وَتَهَيَّأْ إِبْرَاهِيمُ لِلتَّنْفِيزِ وَمَدَّ يَدَهُ بِالشَّفْرَةِ إِلَى وَلَدِهِ وَلَكِنْ رَحْمَةُ
اللَّهِ أَدْرَكَتِ الْغُلَامَ فِي اللَّحْظَةِ الْمُنَاسِبَةِ ٠٠ رَحْمَةُ اللَّهِ الَّتِي أَدْرَكَتْ
إِسْمَاعِيلَ طِفْلاً وَأَنْقَذَتْهُ مِنَ الْمَوْتِ عَطِشاً بِتَدْقِيقِ زَمْزَمَ ، أَدْرَكَتْهُ وَقَدْ
بَلَغَ السَّعَى مَعَ أَبِيهِ — فَأَنْزَلَتْ كَبِشاً كَبِيراً نَبِيحَهُ إِبْرَاهِيمَ فِدَاءً لِابْنِهِ
إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

حَقًّا إِنَّهُ الْبَلَاءُ الْعَظِيمُ ٠٠ الْأَبُ يُوحَى إِلَيْهِ أَنْ أَنْبَحَ
وَلَدُكَ ٠٠ وَالْوَلَدُ يَمْتَثِلُ صَابِراً وَيُسَاعِدُ أَبَاهُ عَلَى تَنْفِيزِ أَمْرِ
النَّبِيحِ ٠٠ وَحَقًّا إِنَّهَا الْإِرَادَةُ الْإِلَهِيَّةُ الْحَكِيمَةُ الَّتِي شَاءَتْ أَنْ
تَصَوِّرَ إِحْدَى شَعَائِرِ الْحَجِّ تَصْوِيراً حَسِيّاً دَقِيقاً لِيُثْبِتَ فِي أَذْهَانِ
النَّاسِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ ٠٠ فَكَلِمَا أَقْبَلَ الْعِيدَ الْأَكْبَرُ تَحَرَّاهُ الْمُسْلِمُونَ
الضَّحَايَا فِي مَنْى ٠٠ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ ٠٠ نَحْرُوهَا لِلذِّكْرِى الْعَاطِرَةِ
وَالْعِبْرَةِ وَلِلْمَوْعِظَةِ .



« فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي
 أَنْبَأُكَ فَاانْظُرْ مَاذَا تَرَى * قَالَ يَا أَبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَجِدُنِي إِن
 شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ لِلجَيْنِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا
 إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ
 هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ٣٧ : ١٠٢ :

١٠٧ »

(صدق الله العظيم)

زواج إسماعيل عليه السلام

وكبير إسماعيل واستوى رجلاً • وقرأ صُحُفَ أَبِيهِ وَآخَذَ عَنْ
 أُمِّهِ مَا كَانَ قَدْ صَحَّحَ لَهَا أَبُوهُ مِنْ مَعْلُومَاتِ عَنِ الْحَيَاةِ وَالْكُونِ •
 وَمَا كَانَ قَدْ عَلَّمَهَا إِيَّاهُ مِنَ الْقُلُوكِ وَالْحِسَابِ • وَاشْتَرَكَ إِبْرَاهِيمُ
 وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَهَاجَرُ أَيْضًا فِي تَقْلِ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ إِلَى
 جِيرَانِهِمْ مِنَ الْجَرَاهِمَةِ وَالْعَمَالِقَةِ وَغَيْرِهِمْ • • وَآخَذَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ عَنْ جُرْهُمٍ لِقَتَهُمُ الْعَرَبِيَّةَ وَكَذَلِكَ تَعَلَّمَتْ أُمُّهُ • •
 وَاسْتَطَاعَ إِسْمَاعِيلُ أَنْ يَرُوضَ خَيْولَ الْبَرِيَّةِ الْمُتَوَحُّشَةِ وَأَنَّ

يَسْتَأْنِسُهَا - فكان أول من أخضع الخيول وركبها واستعملها في تنقلاته ، وقد سَرى ذلك إلى الشباب من جيرانه .

وكان إبراهيم في كل زيارة يمدّه بصحف جديدة ومعلومات وتوجيهات وإرشادات ويطلب منه أن يعلمها للناس فكان يفعل ذلك . . وكانت أمّه تساعدّه فيما يختص بالنساء . . وقد أقبل الكثيرون على هذه المعلومات فتعلّموها وعملوا بها . . وكانوا ينظرون إلى إسماعيل نظرة الإكبار والإعظام رغم صِغَرِ سِنِّهِ .

ومع ذلك فقد كان إبراهيم عليه السلام يخاف على ولده من آل جَرَّهْمَ وَالْعَمَالِقَةِ . . فهو يعلم أنّهم آحْفَادُ قَوْمِ هُودٍ وقوم صالح عليهما السلام . . أولئك الذين لم يقدرُوا نعمة الله عليهم ولم يتقبلوها بالشكر ، وراحوا يتخبطون في ضلالات الكفر والشرك ، فأخذهم عذاب من الله شديد ، وكانت عاقبتهم من أسوأ العواقب - ولهذا خاف على ولده منهم وفكر طويلاً في أمرهم - وفي النهاية أسلم الأمر كله لله سبحانه وتعالى وراح يدعوه في جوف الليل :

”رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ، فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ، وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ“ ٣٦ ، ٣٥ : ٣٦ .

وفي الوقت الذي كان يفكر فيه إبراهيم عليه السلام هذا التفكير كانت هاجر تفكر تفكيراً آخر ٠٠ كانت تفكر في زواج ولدها ٠٠ وكانت تريد له زوجة صالحة تكون أهلاً لإنتاج الذرية الصالحة التي وعد الله سبحانه بأن يبارك فيها ٠

وقيل أن تصل هاجر إلى المرأة المناسبة لولدها كان إسماعيل قد وافق على العرض الذي تقدم به العماليق إليه ، وهو الزواج من (صدّا) (١) أجمل فتياتهم ، ولم تعترض هاجر على ذلك وتقبلت زواجه من صدّا هذه رغم أنها لم تكن راضية في قرارة نفسها عنها ٠

وانصرفت هاجر إلى العبادة وبدأت صدّا تقوم بنشئون بيتها وزوجها ، ولكنها لم تلبث أن تدمرت وأبدت السخط لانصراف هاجر إلى العبادة ٠٠ بل سخرت منها ومن عبادتها ٠ وأحس إبراهيم عليه السلام أن شيئاً غير عادي قد حدث حيث ترك ولده وزوجته هاجر ، فركب راحلته وانطلق إلى

(١) صدّا - قيل هي عمارة بنت سعد بن أسامة بن أكيل العماليقي ١٠ هـ - (قصص الأنبياء ج ١ ، ص ٢٩٥ لابن كثير) ٠
وفي الروض الأنف اسمها جداء بنت سعد ، وقيل عائكة ٠ ج ١ ص ١٢ ، واعتقد أن (صدّا) محرف من (السيدة) لأنه قيل في اسم زوجته الثانية (السيدة بنت مصاص) واختلعا في المطلقة منها ، والصواب أنها العماليقية ١٠ هـ ٠

الجنوب ٠٠ وما إن وصل إلى مكة حتى أسرع إلى بيت إسماعيل
وطرق الباب ٠٠

وفتحت له صدياً ، فقرأَ عليها السلام فلم ترد ٠٠ وسألته :

— ماذا تريد ؟

— هل من منزل ؟

— لا ٠٠

— وأين إسماعيل ؟

— خرج بيتغى لنا .

— وكيف حالكم ؟

— نحن في أسوأ حال ٠٠ لانكاد نجد القوت الضروري ٠٠

والماء قد غلظ ، فلم يعد يروينا أو يطفىء ظمأنا .

فساءة إن يكون هذا رذها خاصة وأنه يعلم أن الحياة لم

تكن كما ذكرت ٠٠ وإنما كانت رضية هائلة ٠٠ ولم يعجبه أن

تكون هذه المرأة زوجاً لولده الذي يعدّه لحمل الرسالة من بعده ٠٠

فأين هي من سارة التي تحملت ما تحملت في سبيله وسبيل أدائه

لِلرسالة التي اختاره لها الله سبحانه وتعالى ؟ وأين هي من

هاجر المؤمنة الصابرة التي كان قدومها عليه خيراً وبركة ؟

وهمت صدياً إن تغلق الباب ٠٠ فصاح بها :

— إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام ، وقول له يُغَيِّرُ عَتَبَةَ
بأبيه .

فلما عاد إسماعيل من الخارج أتى شيئاً فسأل زوجته :
— هل جاءكم من أحد ؟

— نعم جاءنا شيخٌ مُسِنَّ تَبَدُّو عليه آثار السفر الطويل ،
فسألني عنك فأخبرته . . . وسألني عن عيشتنا ، فشكوت له الجهد
والشدّة ؟

فقال إسماعيل :

— وهل أوصاك بشيء ؟

— نعم . . . أمرني أن أقرأ عليك السلام وأقول لك غَيِّرُ عَتَبَةَ
بأبيك .

فقال إسماعيل :

— ذاك أبي . . . وقد أمرني أن أفارقك . . . الْحَقَى السَّاعَةَ
بأهلك .

وعاد إبراهيم عليه السلام إلى سَارَةِ وإسحق ، والفئة التي
أمنت به في أرض كَنْعَانَ وأقام هناك ما شاء الله له أن يقيم ثم رجع
إلى مكة فوجد إسماعيل متزوجاً من شَامَةَ بنتِ مَهْلَهْلٍ «(١)»
فسألها :

(١) شامة بنت مهلهل — قيل : بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ١٠ هـ : وهي
ثالثة واسمها : رعدة ، وقيل : هي بنت الحارث بن مضاض ١٠ هـ .

- آين إسماعيل ؟
- خرج يبتغى لنا .
- وكيف أنتم . كيف عيشكم ؟
- نحمد الله على ما نحن فيه من خير وسعة ونعمة كبرى .
- ما طعامكم وما شرابكم ؟
- اللحم ، والماء . . ماء زمزم العذب .
- فسرّ قولها هذا وهتف :
- اللهم بارك لهم في اللحم ، والماء . ثم قال لها :
- إذا عاد زوجك فأقرئيه السلام ، وقول له يُثَبِّتْ عَتَبَةَ
- بابه ، فإنها صلاح البيت .
- (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولم يكن لهم يومئذ
- حَبٌّ . . ولو كان لهم لدعا لهم فيه) .
- وعاد إسماعيل عليه السلام فروت له زوجته ما كان ، فقال :
- هذا أبى ، وقد أمرنى أن أحتفظ بك زوجة لى .
- وقد عاشت هذه الزوجة مع إسماعيل وأنجبت له ولده الأول
- نابتاً "١" ، وقيل : إن الزوجة الثانية لإسماعيل كانت فتاة
- مصرية أرسلت أمه في طلبها ، وأنها هى التى أنجبت له نابتاً .

(١) له منها اثنا عشر ولدا أولهم نابت ويعدّه فيذر وأزبل وميشى ومسمع ومانش وبوصا
أرر ويطور ونيش وطيما وقينما ١٠ هـ . (سيرة ابن إسحاق) . وفى ضبط هذه الأسماء
خلاف ، وإسماعيل بنت أيضا ذكرهما الطبرى اسمها : نسمة ١٠ هـ .

بَنَاءُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَبِثَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعِيداً عَنْ مَكَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ عَادَ إِلَيْهَا ، فَوَجَدَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَبْرِي نَبالاً لَهُ تَحْتَ نُوْحَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ زَمَـزَمَ .

فَلَمَّا رَأَاهُ إِسْمَاعِيلُ أَسْرَعَ إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ فِي حَنَانٍ وَقَامَ لَهُ بِوَأَجِبِ الضِّيَافَةِ . وَبَعْدَ أَنْ اسْتَرَا حَ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - نَظَرَ إِلَى وَلَدِهِ مُتَفَحِّصاً ، ثُمَّ قَالَ :

- يَا إِسْمَاعِيلُ إِنْ اللَّهُ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ

- فَاصْنَعْ يَا أَبَتِي مَا أُمَرْتُ بِهِ .

- وَتَعَيَّنِي يَا وَلَدِي ؟

- وَأُعِينِكَ يَا أَبَتِي .

- إِنْ اللَّهُ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هُنَا بَيْتاً .

وَأَشَارَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الرَّبْوَةِ الْحُمْرَاءِ الْمُرْتَفِعَةِ ذَاتِ

الْأَطْلَالِ .

بَيْتُ اللَّهِ الْحُمْرَاءِ

« وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً

وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ٢٢ : ٢٦ »
(صدق الله العظيم)

وعلى الفور بدأ إبراهيم - عليه السلام - ومعه ولده
إسماعيل عليه السلام يزيلان الأطلال ويَطَهِّرَانِ مَكَانَ البيت من
الصخور والأحجار ، وعندما تم لهما ذلك وظهرت القواعدُ
الأساسية للبيت أخذوا معاً في بنائه من جديد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ * رَبَّنَا
تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ
نُرْيَانَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢ :
(صدق الله العظيم) ١٢٧ - ١٢٩ »

وقد أجمع علماء المسلمين على أن المراد بالرسول الذي دَعَا
إبراهيم - عليه السلام - ربه عز وجل أن يبعثه في نريته : هو
محمَّد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - ولذلك يقول رسولنا
الكريم

”أَنَا دَعَوَةُ إِبْرَاهِيمَ وَبَشَارَةُ عِيسَى وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ
حِينَ وَضَعْتَنِي وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ “
وكان إبراهيم - عليه السلام - يبنى ، وإسماعيل - عليه
السلام - يناوله الأحجار ، إلى أَنْ أَقِيمَ الْبِنَاءُ واكتمل فقال
إبراهيم - عليه السلام - لولده :
- إِيَّتَنِي بِحَجَرٍ أَضَعُهُ هُنَا لِيَكُونَ عَلَمًا لِلنَّاسِ مِنْهُ يَبْدَأُونَ

الطواف .

فذهب إسماعيل - عليه السلام - إلى بطن الوادي يبحث
عَنْ حَجَرٍ مُمَيَّزٍ يَضِلُّ لِهَذِهِ الْغَايَةِ وَتَأَخَّرَ فِي الْبَحْثِ ، فَجَاءَ جَبْرِيلُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْحَجَرِ الْأَسْعَدِ ، وَكَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَوْدَعَ
هَذَا الْحَجَرَ جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ (١) فِي مَكَّةَ حِينَ غَرَقَتِ الْأَرْضُ فِي
طُوفَانِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فوضعه جبريل - عليه السلام - في مكانه .
وعاد إسماعيل فرأى الحجر الأسعد فأخذته الدهشة من
شكله وضوئه فقد كان حجراً يَتَلَأَلُ بِنُورٍ وَهَّاجٍ فَأَضَاءَ بِنُورِهِ الْمَكَانَ
مِنْ حَوْلِهِ . قال إسماعيل - عليه السلام - :
- مَا هَذَا يَا أَبَتِي ؟ وَمِنْ جَاءَكَ بِهَذَا الْحَجَرِ ؟

(١) جبل ابن قبيس جبل مشرف على المسجد الحرام ، سمي باسم رجل من مذحج .

أو جرهم . هـ . معجم البلدان لياقوت .

قال إبراهيم عليه السلام :

— جاء به من لم يَكِلْنِي إِلَيْكَ ٠٠ جاء به جبريل — عليه

السلام — يا ولدي ٠

وهكذا بنى إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل — عليهما السلام —
الكعبة المعظمة بأمر من الله سبحانه وتعالى ٠

وكان ارتفاع البناء إلى السماء تسعة أذرع ، وطوله من
الشمال إلى الجنوب مما يلي الناحية الشرقية : اثنين وثلاثين
نراعا ٠ ومن الشمال إلى الجنوب مما يلي الناحية الغربية أحداً
وثلاثين نراعاً ، ومن الشرق إلى الغرب مما يلي الجهة الجنوبية أى
من الحجر الأسعد إلى الركن اليماني عشرين نراعا ، ومن الشرق
إلى الغرب مما يلي الجهة الشمالية أى من جهة حِجْرِ إسماعيل
اثنتين وعشرين نراعا ٠

وجعل للبيت بابَيْنِ ملاصِقَيْنِ للأرض ، أحدهما : جهة
الشرق مما يلي الحَجَرَ الأسعد ، والثانى : من الجهة الغربية مما

يلي الركن اليماني على سَمْتِ الباب الشرقى ، وحفر بداخله بئراً
يَكُونُ كَخَزَانَةٍ لَهُ ، ولم يجعل له سقفاً ، ولا وضع على فَتَحَاتِ
الأبواب أَبْوَاباً ثَقِيلاً وَتَقَعَتْ ٠

وبعد أن انتهى إبراهيم — عليه السلام — من بناء البيت

جاء جبريل عليه السلام فأراه المناسك كلها ، ثم قام إبراهيم عليه السلام على المقام فحمد الله وأثنى عليه سبحانه بما هو أهله ثم قال إبراهيم :

– يا أيُّها الناس إن الله عز وجل بنى بيتاً فحجّوه ٠٠ يا أيُّها الناس اجيبوا ربكم ٠٠ يا أيُّها الناس كتب عليكم الحج ٠ فاجابوه :

– لبيك اللهم لبيك ٠

وقيل : إن إبراهيم عليه السلام أسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجاب من آمن ومن كان قد سبق في علم الله تعالى أنه يحجّ إلى يوم القيامة ٠

والحج الذي أنن به إبراهيم عليه السلام خامس أركان الدين ودعامة من دعائم الإسلام ٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ٣ :

(صدق الله العظيم) ٠ ٩٧ »

وهكذا استقرت مكانة مكة – أمّ القرى – ببناء الكعبة المعظمة ٠ وأصبحت العاصمة الدينية للمسلمين جميعاً ، ورسخ في الناس اليقين أن مكة بلدٌ مكرّم ٠

يقول ابن إسحق :

« كانت مكة لا تُقَرَّبُ فيها ظمًا ولا بغيًا ولا يبغي فيها أحدٌ على أحدٍ إلا أخرجته ، ولا يُريدها ملكٌ يستحلُّ حرمتها إلا هلك مكانه . ويقال : إنها ما سُمِّيَتْ (بَيْكَةً) إلا لأنها كانت تَبْكُ أعناقَ الجبابرةِ . . . أى تكسرُ أعناقهم إذا أخذوا فيها شيئاً » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ٢٢ :

٢٥ » .

(صدق الله العظيم)

هَوَتْ هَاجِرٌ

كانت الكعبة تقف شامخة وسط مكة والحمام يَزَامِلُ الذين يطوفون بها في طوافهم . . وإسماعيل قد جلس في ناحية من الحرم يعلم بعض الناس أصول دينهم . . بينما جلست هَاجِرٌ في ناحية أخرى وحولها زوجة ولدا وأحفادها وهي تقرأ لهم مُحْتَفَ جَدِّهم إبراهيم عليه السلام .

ودخل شاب إلى إسماعيل وقدم منه يقول :

- ٦٤

— إن أحدهم قد صَادَ بعضًا من حَمَامِ الْحَرَمِ .
فَأَرْسَلَ إِسْمَاعِيلُ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ وَاسْتَقْدَمَهُ وَسَأَلَهُ عَنِ الْأَمْرِ
فَأَقْسَمَ الرَّجُلُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ وَأَنْ كُلَّ مَا اصْطَادَهُ كَانَ مِنْ خَارِجِ
الْحَرَمِ .

وحتى ذلك الوقت لم يكن للحرم حدودٌ تَفْصِلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْحِلِّ ، فَتَبَيَّنَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ضَرُورَةِ
إِقَامَةِ حُدُودٍ تَفْصِلُ بَيْنَ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ ، لِيَكُونَ الْحَرَامُ بَيِّنًا وَالْحَلَالُ
بَيِّنًا .

وعلى الفور قام بإقامة هذه الحدود . . . فجعلها من جهة
الطائف على طريق عرفة من بطن نَمْرَةٍ "١" . . . وجعلها من جهة
العزاق ، ومن جهة الْجِعْرَانَةِ "٢" ومن جهة جُدَّة ، ومن طريق
التَّعْنِيمِ "٣" ، ومن طريق التَّيْمَنِ .

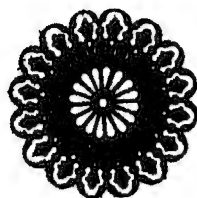
وانتظر أن يزوره أبوه ليعلم رأيه فيما فعل ولكن إبراهيم
عليه السلام تأخر في ذلك بسبب وفاة سارة ثم زواج إسحق من
رفقا بنت بتواثيل . . . فركب قاصداً أباه للتعزية ، وأخاه
للتهنئة .

(١) نَمْرَة — على طرف عرفة بها انصباب الحرم ١٠ هـ .

(٢) الجعرانة — هي بين الطائف ومكة وإلى مكة هي أقرب ١٠ هـ .

(٣) التَّعْنِيمِ — موضع بقرب مكة في الحل ١٠ هـ .

ولما وصل إسماعيل عليه السلام مدينة الخليل علم أن أخاه
 إسحق قد رزق بولدين تَوَامَيْنِ هما : عِصْوَ ، ويعقوب ٠٠ وقد
 احتفل به إبراهيم وإسحق احتفالا كبيرا ٠٠ بل احتفلت به مدينة
 الخليل كلها احتفالا زادها جمالا على جمالها ، ولكن إسماعيل
 أحس الوحشة وشعر أن كل ما في الأرض لا يغنيه عن الوجود إلى
 جوار الكعبة واستلام الحجر الأسود والصلاة في الحرم ٠٠ فودع
 أباه وأخاه وبقية الأهل والناس وانطلق على الطريق يريد مكة ٠٠
 وما إن وصلها حتى بلغه خبرٌ آزعجه ٠٠ ذلك أن أمه كانت على
 فراش الموت تحتضر ٠٠ وأسرع إليها فإذا هى شاخصة ببصرها
 إلى الكعبة تبتهل في صمت والناس من حولها في صمت رهيب كأنما
 على رؤوسهم الطير ٠٠ وما إن وصل إلى فراشها حتى لاحت على
 وجهها ابتسامة خفيفة ثم لَفَظَتْ أَنْفَاسَهَا ، وبكى إسماعيل أمه ،
 وبكى الأحفاد جدتهم ، وبكى الناس جميعاً تلك المرأة المؤمنة
 الصالحة التى اختارها الله أمّاً للعرب جميعاً
 ولَفَنَتْ هاجر فى حِجْرِ إسماعيل ٠



مَوْتُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

سمع إبراهيم عليه السلام بموت هاجر فقرر السفر الى مكة
 وخرج في قافلة ضمت كل من أراد التعزية في موتها وزيارة الكعبة
 المعظمة ، ولما لاح لهم البيت الحرام من بُعد ارتفعت تلبيةات
 إبراهيم ومن معه ، ولما دخلوه استقبلهم إسماعيل ثم مضوا
 جميعاً فاستلموا الحجر الأسود ، ثم طافوا طواف القدوم ثم
 اتجهوا إلى حجر إسماعيل فوقفوا أمام القبر ، ثم قال إبراهيم
 عليه السلام :

— السلام عليك يا أم إسماعيل ٠٠ لقد وجدت ما وعدك الله
 حقاً ، وإنّا بك إن شاء الله لاحقون .

وعاش الخليل إلى جوار الكعبة فترة كان همّ إسماعيل فيها
 البحث عن زوجة صالحة لأبيه ، فقد كان في سنّ وصحة لا
 تسمحان له بالبقاء دون زوجة ترعى صالحه — وتزوج إبراهيم
 عليه السلام من (قنطورة بنت مفطور)^(١) من العرب العاربة
 الذين نزلوا حول بئر زمزم ، فأنجب منها : متّى ومثيسن ،
 ويقيشان ، وزمران ، ونشق ، وسرج .

(١) ويقال : قنطورا بنت يقطن الكنعانية وتزوج بعدها حجون بنت امين فولدت له
 خمسة ا٠ م . كتاب التعريف والاعلام للسهيلى .

وانتشر دين إبراهيم — بواسطة اولاده الأول وهؤلاء الذين
رزق بهم آخيراً — في ربوع الأرض ، وأصبح له في كل بقعة ، من
بقاعها داعية يدعو باسمه إلى عبادة التوحيد .

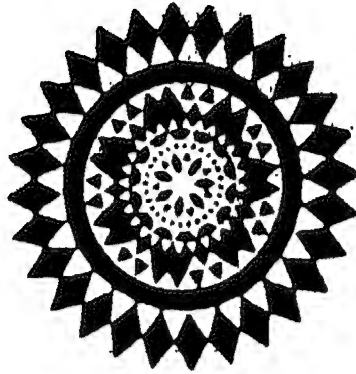
وأحس إبراهيم بعد ذلك بأنه قد أدى الرسالة وعمل ما
استطاع على تبليغ دعوة الواحد الأحد ، فركن إلى الهدوء والراحة
في مدينة (حَبْرُون)^(١) أو مدينة الخليل ، كما كانت تسمى
واستأنن إسماعيل في الخروج لدعوة الناس بعد أن جعل
الولاية على الكعبة وشئونها لولده نابت ، فأنن له ٠٠ وطاف
إسماعيل بالكعبة ، ثم ركب جواده إلى تهامة بلاد العمالة
الجابرة ومنها انطلق إلى اليمن ، ومازال يجوب البلاد داعياً للدين
القيوم مبدئاً بنوره ظلمات الجهل والخرافة التي رانت على عقول
الناس طويلاً حتى أسلم من شرح الله قلبه للإسلام ودخل في ملة
إبراهيم من قُدر له الخير والسعادة ، ثم أخذ طريقه إلى مكة ٠٠

وهناك علم بمرض أبيه فانطلق على جواده إلى (حبرون) ودخلها
وقد استسلم إبراهيم عليه السلام إلى مرض الموت وكان في كل
لحظة يفتح عينيه ويسأل من حوله : هل وصل إسماعيل ؟ ثم
جاءته البشري بوصوله ودخل إليه إسماعيل في لهفة وقال :

١ (١) اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم عليه السلام ببیت المقدس ١٠ هـ

— كيف حالك اليوم يا آبتاه ؟
فابتسم إبراهيم — عليه السلام — في ارتياح وقال :
— أصبحت اليوم بارئاً بحمد الله تعالى يا بُنَيَّ .
ثم جمع أولاده وأحفاده وقال لهم :
— « يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ »
ثم أسلم الروح إلى خالقها .

٢ : ١٢٢



مَوْتِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَانَ الْهَتَافُ الْخَالِدُ : - (لبيك اللهم لبيك ٠٠ لبيك لأشريك

لك لبيك،، لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك ٠٠ لأشريك
لك ٠٠) - كان هذا الهتاف الخالد يرتفع من حناجر الألوف من
حجاج بيت الله الحرام فتهتز له جنبات مكة ٠٠ وترتجف له
القلوب الخاشعة المؤمنة ٠٠

وكان نائبٌ يقوم على رعاية الحجاج ويقدم لهم كل ما
يحتاجون إليه من طعام وشراب - بمساعدة من معه من الأهل
والصحاب والعمال ٠٠ عندما أسرع إليه أحد العمال يعلن : أن
المرض قد تضاعف على أبيه - تلك المرض الذي أقعده عن تأدية
مناسك الحج ٠٠ فترك ما هو فيه وأسرع إلى أبيه ليطمئن على حاله
ويرى ما إذا كانت تلك الحال تسمح له بمرافقة الحجاج إلى عرفات
أم لا تسمح بذلك ؟ . .

ودخل نائبٌ على أبيه فوجد إخوته جميعاً قد جلسوا إلى
جواره - فأتجه إلى أبيه وانحنى على فراشه في حنان وحب ، ثم
سأله عن حاله ، فقال إسماعيل عليه السلام :
- اذهبوا ٠٠ حُجُّوا قَبْلَ أَنْ لَا تَحُجُّوا .

وخرج نابتٌ بإخوته الأحد عشر واتجهوا إلى عَرَقاتٍ وفي نفسه ما فيها من الأسى والألم لمرض أبيه ٠٠ تلك الفارس العملاق الذى لم يقعه شيء فى يوم من الأيام عن العمل فى سبيل الله وفى سبيل نشر دعوته ٠٠ وعندما وقف على عرفة انطلق لسانه بالدعاء للوالد الحبيب ٠٠ ولم يتوقف لسانه عن ذلك الدعاء ، حتى أتم مناسك الحج جميعها وعاد بالناس إلى الحرم فطافوا بالكعبة سبعاً ، ثم تركهم وتلف إلى أبيه فما كاد إسماعيل يراه ومن خلفه إخوته حتى صاح :

— انفضوني إلى جوار أمى

ثم لفظ أنفاسه الأخيرة ٠٠ فانكفأ الأبناء الاثنا عشر على صدر أبيهم العظيم بكونه ٠٠ وينرفون الدمع حاراً غزيراً ٠ وفجأة رفع نابتٌ رأسه وأشار إلى إخوته أن يتوقفوا عن البكاء وأن يستعدوا لحمل الرسالة التى بدأها جدُّهم إبراهيم — عليه السلام — واستمر فى القيام بها أبوه إسماعيل — عليه السلام — وأصبح لزاماً عليهم أن يحملوها من بعد أبيهم ويعملوا على نشرها بين الناس وتنفيذ تعاليمها

فاستمع الأخوة وتراجعوا جميعاً ، ثم توقفوا عن البكاء — وبدأ كل منهم يستعد للقيام بالدور الذى أعدَّ له ٠

وظل نابت على طريق أبيه وجده - عليه السلام - وظلت

ولاية الكعبة له .

وكانت قبيلة جُرْهُم قد تكاثرت في شمال مكة حتى ملأت

الفجاجَ وجعلتها تضيق على أصحابها الأصليين أبناء إسماعيل -

وكان على رأسها مُضَاضُ بن عمرو الجُرهمي ، وهو رجل قوى

الشكيمة عنيف التصرفات تعتبر كلمته بين قومه القانون غير

المسجل ، ولا يجرو أحد - مهما كان - على مخالفته .

وكان العمالق قد غطوا جنوب مكة ، وكان على رأسهم

السَّمِيدَعُ^(١) ، وكان رجلاً طموحاً عصبياً المزاج يحقد على جُرْهُم

لصلة النسب بينها وبين إسماعيل وأولاده . . وكان يتحين الفرص

للاقتصاص عليهم والفتك بهم .

وقد حرص نابت على بقاء الوثام بين القبيلتين لئلا تسفك

الدماء في البيت الحرام الذي جعل آمناً للناس ومثابة وحرم فيه

القتل والقتال .

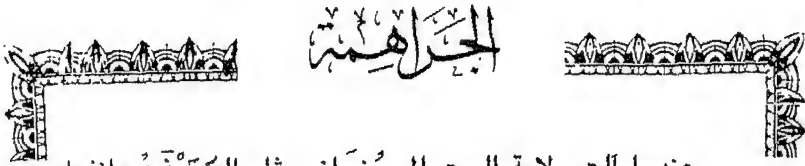
وظل الأمر هكذا حتى وافته المنية فأوصى بالولاية لأخيه

قَيْنَرَ ، ولكن قَيْنَرَ كان شيخاً ضعيفاً لم يقو على أمور الولاية

فاستأثر بها مُضَاضُ بن عمرو والجُرهمي .

(١) السَّمِيدَعُ - بالذال المهملة ، وبالذال المعجمة ، وصرح بعض اللغويين : أن

إعجازه بخطيباً من تاج العرب .



عندما آلت ولاية البيت إلى مُضَاضٍ ثار السَّمِيدُ عَ وانفعل
بالغضب وراح يترقب الفرص لانتزاع الولاية منه ، ولما طال به
الزمن دون أن تتاح له هذه الفرصة أخذ ينافسه منافسة النَّدِّ
للنِّدِّ . .

فلما بدأ مُضَاضٌ يَعْشُرُ^(١) التجارة التي يدخل أصحابها
من الشمال لينفق منها على البيت وحجابه صَمَمَ السَّمِيدُ عَ على أن
يَعْشُرَ التجارة ممن يدخل مكة من جنوبها . . ولم يكتف بذلك بل
راح يبيث الدعاوات السيئة عنه وعن الجراهمة بصفة عامة .

وبلغت آنباء هذه الدعاوات سَمَعَ مُضَاضٍ ، فصمَّ على أن
يقابلها بما هو أقوى . . وراح الدعاة من الجانبين يملأون جَوَّ
الوادي المقدس بحكاياتٍ مختلفة ، وروايات صنعها خيالهم .

وكانت الغلبة لِدَعَاوِي مُضَاضٍ ، إذ استطاع أصحابه أن
يقروا في نفوس معظم الناس أن نسب الجراهمة يرجع إلى مَلَكٍ من
الملائكة يقال له (عَرَعَرُ) هبط إلى الأرض من السماء فنزعت عنه

(١) يعشر - أى يأخذ عشر أموالهم . . هـ .

روحانية الملائكة ، وجعل في بعض خلق ابن آدم ..
وقد نجحت هذه الأسطورة فصدقها الناس وانتشرت بينهم
انتشار الريح ، وهكذا فتحت جرمهم للشيطان باباً واسعاً يدخل
منه إلى القلوب التي إمنت بالله الواحد الأحد .
وحاول السَّمِيدُ أَنْ يقضى على هذه الأسطورة ، واجتهد
رجاله في سبيل ذلك ، ولما لم يتحقق لهم ذلك قرروا شن الحرب على
الجراهمة .. وقاموا يعدون الجياد ويتأهبون لخوض المعركة بكل
ما لديهم من سلاح وعتاد فسُمِّي المكان (أَجْيَاد)^(١) .

وعلم مُضَاضٌ - في جباله بشمال مكة - باستعداد
السَّمِيدِ .. فخرج وأصحابه والسلاح في أيديهم يقفون قعقة
تجاوب في أرجاء مكة فسميت جباله (جبال قُعَيْقَان)^(٢) .

والتقى الفريقان ودار قتال عنيف سفكت فيه الدماء وسالت
على أرض أم القرى التي حرم الله فيها القتل والقتال - ثم التقى
مُضَاضٌ والسَّمِيدُ في صراع رهيب سقط خلاله السَّمِيدُ قتيلاً وقر

(١) أجيد - موضع بمكة بين الصفا وقيل في سبب تسميته . ان تبعاً لربط خيله فيه .
وقيل : كانت به خيل إسماعيل - عليه السلام - وقيل : إن مُضَاضاً ضرب في ذلك الموضع
أجيداً مائة رجل - ١٠٠ هـ -
(٢) جبال قُعَيْقَان - اسم جبل بمكة ، سمي لقعقة الأسلحة فيه بين قطوراء
وجرمهم - ١٠ هـ -

أصحابه هاربيين فسيطر مُضاضٌ وحده على مكة شِمالا وجنوبا
ووقف على الجبل يخطب في الناس ويقول :

وَنَحْنُ قَتَلْنَا سَيِّدَ الْحَيِّ عَنُوةً
فَأَصْبَحَ فِيهَا وَهْوَ حَيْرَانُ مُوجِعُ
وَمَا كَانَ يَبْغِي أَنْ يَكُونَ سِوَاؤُنَا
بِهَذَا مَلِكًا حَتَّى أَتَانَا السَّمِيدُ
فَذَاقَ وَيَالَا حِينَ جَاوَلَ مُلْكَنَا
وَعَالَجَ مِنَّا غُصَّةً تَجَرَّعُ
فَنَحْنُ عَمَرْنَا الْبَيْتَ كُنَّا وَلَاتَهُ
نُدَافِعُ عَنْهُ مَنْ أَتَانَا وَتُدْفَعُ
وَمَنْ كَانَ يَبْغِي أَنْ يَلِي ذَاكَ عِرْنَا
وَلَمْ يَكُ حَتَّى قَبْلَنَا ثُمَّ يَمْنَعُ
وَكُنَّا مُلُوكًا فِي الدَّهْرِ الَّتِي مَضَتْ
وَرِثْنَا مُلُوكًا لَا تُرَامُ فَتَوَضَّعُ
وَنَزَلَتْ جُرْهُمُ مِنْ أَعَالَى الْجِبَالِ وَرَاحَتْ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ

تَنشِدُ :

لَا هُمْ « ١ » إِنَّ جُرْهُمًا عِبَانُكَ
الْقَوْمُ طَرَفٌ وَهُمْ قِلَانُكَ

(١) لاهم - أى اللهم .

ورأى بنو إسماعيل الذين أَحْجَمُوا عن الاشتراك في القتال
 لحساب أحد الطرفين - رأوا أَن المشاحنات لن تنتهى بين الطرفين
 وَأَن الفتنة تظل برأسها فمشوا بالصلح بين جُرْهم والسَّمِيدِ عَيْنٍ
 واستجاب الطرفان للصلح . وقام مُضَاضٌ فَتَحَرَ وطبخ وَأَطعم كلَّ
 من حضر ذلك الصلح - وهكذا استقرت الأمور لمُضَاضٍ ، وانتهى
 أول قتال دمويٍّ وقع في الوادى المقدس .

ولما خلا الجو لجُرْهم بغوا وطغوا وأَكَلُوا أموال الكعبة
 واستأثروا بما يُهدى وفَرَضُوا الإِتاوات على الحجاج والمُعتمرين
 والقوافل التجارية التى تمر بمنطقة مكة . . وأقامت جُرْهم تَحَوُّ
 ثلاثمائة سنةٍ لا يَنازعها في ولاية البيت أحد .

وقد أَصاب الكعبة خلال هذه الفترة تصدُّعٌ وانْهيارٌ لبعض
 جدرانها بسبب السيول . . فقامت جُرْهم بإصلاحها وترميم
 الجدران التى تصدعت منها وزادت في ارتفاع بنائها .

ومَدَّ الله الجَراهمَةَ في طغيانهم يَعمَهُونَ فترة من الزمن
 أَحْدَثُوا خلالها في الكعبة أَحْدَاثًا عَظَمًا . . فقد أَقاموا الأَصْنَامَ
 من حولها . . أَصْنَامًا صنَعوها بِأَيْدِيهِم من الحجارة
 والخشب . . وكان أولٌ من جلب هذه الأَصْنَامَ إلى الكعبة -
 وحرض الناس على أَن يعبدوها ويجعلوها واسطة بينهم وبين

الله - هو عمرو بن لُحَيٍّ جَدُّ خَزَاعَةَ الْأَعْلَى «١» . . . وقد وافقت
جُرْهُمُ عَلَى ذَلِكَ وَاتَّخَذَتْ لِنَفْسِهَا أَصْنَامًا تَعْبُدُهَا وَضَعَتْهَا فِي جَوْفِ
الْكَعْبَةِ وَتَبِعَتْهَا الْقِبَائِلُ . . . فَصَارَ لِكُلِّ مِنْهَا صَنَمٌ تَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى رَبِّ
النَّاسِ .

وقد أجمعت المراجع والمصادر جميعها على ارتكابهم
الفواحش والموبقات على مقربة من الكعبة المعظمة .
وقالت عائشة أُمُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

(مَا لَنَا نَسْمَعُ أَنَّ إِسَافًا ، وَنَائِلَةَ «٢» كَانَا رَجُلًا وَامْرَأَةً مِنْ
جُرْهُمٍ أَحَدِنَا فِي الْكَعْبَةِ ، فَمَسَخَهُمَا اللَّهُ حَجَرَيْنِ ، لَاعْتَدَائِهِمَا عَلَى
حَرَمَةِ الْكَعْبَةِ) .

وَكَثُرَتِ السَّرِقَاتُ دَاخِلَ الْبَيْتِ وَلَمْ يَعِدِ النَّاسُ بِأَمْنٍ عَلَى
أَمْوَالِهِمْ إِذَا دَخَلُوهُ ، بَلْ إِنْ بَعْضُ أَهْلِ جُرْهُمٍ كَانَ يَسْرِقُ أَمْوَالَ
الْكَعْبَةِ ذَاتِهَا .

وقيل : إِنْ سَارِقًا مِنْ جُرْهُمٍ دَخَلَ الْبَيْتَ الَّتِي فِيهَا كُنُوزُ
الْكَعْبَةِ وَحَمَلَ مِنْهَا مَا اسْتَطَاعَ حَمْلَهُ وَأَرَادَ الْهَرَبَ بِهَا . . . وَهَذَا
سَقَطَ فَوْقَهُ حَجَرٌ ضَخْمٌ فَحَبَسَهُ دَاخِلَ الْبَيْتِ ، فَصَاحَ مُسْتَغِيثًا

(١) انظر خبر بحثه عنها في جدة في تاريخها للانصارى في المقدمة ١٠ هـ .

(٢) هما : إساف بن يعلى ، ونائلة بنت زيد - ٤ هـ . الأصنام للكلبى ص ٧٧

— أدركونى ٠٠ أغيثونى ٠٠ النجدة يا قوم ؟
 والتف حوله بعض من كانوا يطوفون بالكعبة وحاولوا رَفَعَ
 الْحَجَرَ الضخم عن صدر الرجل ولكن الحجرَ أبى أَنْ يَتَزَحَّزَحَ وظلَّ
 جاثماً فوق صدر الرجل وهنا سألَه آحدُهم :

— ما هى قِصَّتُك أَيُّها الرجل ٠٠ لا شك أنك قد ارتكبت
 جُرْماً بالكعبة ، أو أَحَدَتَتْ فعلاً ظالماً ؟
 فَأَجَابَ اللَّصُّ بِاِكْيَا :

— نعم ، لقد دخلت بقصد السَّرِقَةِ من مال الكعبة وكنوزها
 فسقط علىّ هذا الحجر ، فَحُبِسْتُ على هذا النَّحْوِ ٠٠٠

وَأَخَذَ اللَّصُّ يستعطف الرجال أَنْ ينقذوه ويعلن توبته مؤكداً
 أَنَّهُ لن يعود إلى ما فعل ثانية .

وهنا استطاع الرجال زحزحةَ الْحَجَرِ عن فتحةِ البئر
 وإِخْرَاجَ الرجل سالماً .

ورغم هذا فقد تكررت محاولات الجُرْهُمِيِّينَ لسرقة أموال
 الكعبة وكنوزها ٠٠ وهنا بعث الله سبحانه وتعالى حَيَّةً ضخمة لها
 رَأْسٌ كَرَأْسِ الْجَدْيِ بيضاء البطن سوداء المَتْنِ فكانت فى البئر
 خمسمائة عام ، انقطعت فيها السَّرِقَاتُ تماماً .

وظلت جُرْهُمُ سَادِرَةٌ فِي غِيَّهَا إِلَى أَنْ سَلَّطَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عَلَيْهَا خُزَاعَةً^(١) فَحَارِبَتْهَا وَانْتَصَرَتْ عَلَيْهَا ، وَأَخْرَجَتْ جَبَابِرَتَهَا
مِنْ مَكَّةَ أَذْلَةً صَاغِرِينَ .

— وَفِي هَذَا يَقُولُ شَاعِرُهُمْ .

وَقَائِلَةٌ وَالْدَّمْعُ سَكَبَ مُبَادِرُ
وَقَدْ شَرَقَتْ بِالْدَّمْعِ مِنْهَا الْمَاجِرُ :
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَّوَيْنِ^(٢) إِلَى الصِّفَا
أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْتَمِرَّ بِمَكَّةَ سَامِرُ

فَقُلْتُ لَهَا وَالْقَلْبُ مَنْسَى كَأَنَّمَا
يَلْجَلِجُهُ بَيْنَ الْجَنَاحَيْنِ طَائِرُ :
بَلَى ، نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَآزَالَنَا
صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُنُودُ الْعَوَاتِرُ
وَكُنَّا وَلَاةَ الْبَيْتِ مِنْ نَابِتٍ أَتَى
نَطُوفَ بَذَاكَ الْبَيْتِ وَالْخَيْرُ ظَاهِرُ
فَأَخْرَجَنَا مِنْهَا الْمَلِيكُ بِقُدْرَةٍ .
كَذَلِكَ بِالْأَحْوَالِ تَجْرِي الْمَقَادِرُ .

(١) مَنْ وَلَدَ عَمْرُو بْنُ لَحَى . ١ هـ . الْقَصْدُ وَالْأَمَمُ لَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ .

(٢) الْحَجَّوَيْنِ — مُرْتَفِعٌ بِأَعْلَى مَكَّةَ عِنْدَهُ مَدَافِنُ أَهْلِهَا . ١ هـ .

فَسَحَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ تَبْكِي لِبَلَدَةٍ
بِهَا حَرَمٌ بَادٍ وَفِيهَا الْمَشَاعِرُ

خُزَاعَةُ

وَلَيْتَ خُزَاعَةُ الْبَيْتِ وَأَهْلُ مَكَّةَ غَارِقُونَ فِي وَثْنِهَا
وَالنَّاسُ قَدْ انْحَرَفُوا عَنْ طَرِيقِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، وَاجْتَهَدُوا
فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي تَكْدَسُ دَاخِلَ الْكَعْبَةِ وَخَارِجَهَا ، بَلْ
وَأَصْبَحَتْ لَهَا كَعَبَاتُ خَاصَّةٌ بِهَا ٠٠ فَكَانَ لِمَنَاةَ بَيْتٌ ٠٠
وَاللُّعْزَى بَيْتٌ ٠٠ وَفَسَدَ الْإِعْتِقَادُ بَيْنَ النَّاسِ ، إِلَّا فِئَةً مِنْهُمْ ظَلَمُوا
يَتَمَلَّقُونَ بِالسَّمَاءِ وَيَسْتَبْخُونَ اللَّهَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ ٠٠ وَعَقَمَتِ نِسَاءُ
مَكَّةَ فَلَمْ تَعُدْ تُنْجِبُ رِجَالًا يَسْتَطِيعُونَ إِنْقَادَ هَؤُلَاءِ الْمَلْحِدِينَ مِنْ
إِلْحَادِهِمْ ، وَكَثُرَ فِيهَا الْعَرَّافُونَ وَالْمَنْجَمُونَ وَالْكَهَّانُ الَّذِينَ يَبِيعُونَ
لِلنَّاسِ بَرَكَاتِ الْأَلْهَةِ ٠٠ وَبَدَأَتْ حَضَارَتُهَا تَنْهَارُ رُويْدًا رُويْدًا ١١
وَكَانَ فِيهِ رِجَالٌ مِنْ مَالِكِ زَعِيمٌ قَرِيشٌ يُهْرَعُ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَحْكُمَ
بَيْنَهُمْ فِيمَا شَجَرَ مِنْ خِلَافَاتٍ ، وَيُلْجَأُونَ إِلَيْهِ لِيُشِيرَ عَلَيْهِمْ
وَيُوجِّهَهُمُ التَّوْجِيهَ الصَّحِيحَ ٠٠ وَكَانَتْ خُزَاعَةُ تَنْظُرُ إِلَى قَهْرٍ وَمِنْ
مَعَهُ مِنْ آلِ قَرِيشٍ نَظَرَةٌ تَوْجَسُ وَخِيفَةٌ ٠٠ جَقًّا إِنْ وَلَايَةِ الْبَيْتِ فِي
خُزَاعَةٍ وَلَكِنْ قَرِيشًا صَاحِبَةً الْحَقِّ الْأَوَّلِ فِي وَلَايَةِ الْبَيْتِ تَزْدَادُ عَدَدًا
وَمَا لَا وَشَرَفًا فِي كُلِّ يَوْمٍ ٠

وكانت خزاعةٌ تتوقع أن تنقُصَ عليها قريش في يوم من الأيام
وتنتزع هذه الولاية وزاد من خوفها أن بعض القرشيين قد هجروا
أعمالهم وانقطعوا في الحرم لتدريس الدين الصحيح .. دين
إبراهيم الحنيف .

فما إن جاء تبعُ الأول "١" يريد هدم الكعبة وتخريبها حتى
احتالت خزاعةٌ على قريش فجعلتها في مقدمة الجيش الذي خرج
لقتاله .

وكانت النتيجة أن هُزم تبعٌ وعادَ مهزوماً مدحوراً .
ومن بعده جاء تبعُ الثاني فتصدى له نفس الجيش وكانت
الهزيمة من نصيبه أيضاً .. وسقط في هذه المعركة قيسُ حفيدُ فهرٍ
قتيلاً .

ومن بعده جاء تبعُ الثالث .. ويسمى تبعاً الحميري .
وكان نفر من هذيلٍ يحقدون عليه ويتمنون زوال ملكه .. فقال له
كبيرهم :

— أيها الملك .. هل ندلك على بيت مال داثر أغفلته الملوكُ
من قبلك ؟

— إذا كانت الملوكُ قد أغفلته .. فما حاجتى أنا إليه ؟

(١) التبابعة : هم ملوك اليمن ، ولا يسمى بهذا اللقب إلا إذا كانت له حمير
وحضرموت ١٠ هـ . تاريخ الحضارة .

— لو عرفت ما فيه أيها الملك ٠٠ ووقفت على حقيقة كنوزه
وَنَحَفَه ٠٠ لما قلت هذا القول ٠٠ هذا البيت فيه من اللؤلؤ
والزُّبُرْجَدِ والياقوت والذهب والفضة وفيه من التحف والهدايا ٠٠
مالا يستطيع حمله مئات من الرجال الأشداء الأقوياء ٠
وَيَنْبَهَرُ الملك بما يسمع من الهُدَى فيطلب المزيد من
الإيضاح ٠ فيقول الهُدَى "١" :

— إنه بيت بمكة يعظمه العرب جميعاً ويقفون إليه وينحرون
عنده ٠٠ ويعتبرونه وَيَحْجُونَهُ ٠ وأنت أولى أن يكون ذلك البيت وشرّفه
ونكره لك ٠٠ والرأى عندى أيها الملك أن تسير إليه فتُخْرِبه ثم تبني
عندك بيتاً كبيراً مماثلاً يتحول إليه حجاج العرب جميعاً وتتحول
إليه بالتالى الأموال والهدايا والكنوز التى يحملونها ٠
ويقتنع تبع الحِمَيْرِ بهذا الرأى ويخرج على رأس جيش

ضخم يريد تخريب الكعبة وهدمها ٠٠ ولايكاد يقترب من مكة حتى
تَهَبَّ عليه وعلى جنوده عاصفة هوجاء من تلك العواصف الحاملة
للرمال فتُحوِّلُ بياض النهار إلى سواد وتجعله والجنود يدورون
حول أنفسهم فى دوّامات عنيفة رهيبة !!

ويذهل تبع ويأمر بإحضار الأخبار ليسألهم عن سر هذا

(١) الهُدَى — نسبة إلى أبي حى من مضر ، والهذلى أصوب من الهذيل ١٠ هـ ٨٢

التغير المفاجيء في الجو والغريب على المنطقة ، فيقول كبيرهم :
 - لقد جئت آيها الملك تريد التخريب والتدمير لبيت لم يقو
 أحدٌ من قَبْلُ على مَسِّه بسوءٍ . وهذه غَضَبَةُ السماءِ أرسلتها إلى
 الأرض في صورة هذه العاصفة الهوجاء .

ولا يقتنع الملك بهذا القول وينتظر حتى تهدأ العاصفة تماماً
 ثم يعاود السير بجنوده نحو مكة . .

ولا يكاد يتقدم أميالا حتى يصاب بمرض ثَقِيل غريب
 لا يستطيع أطباؤه له علاجاً . فقد تَقَيَّحَ رَأْسُهُ وانبعث منه صديدٌ له
 رائحة شديدة الكراهية جعلت الجميع يَنْفِرُونَ منه حتى
 الأطباءُ . . فيستقدم الأخبار مرة أخرى ويسألهم الإِنقاذ ؟ فيقول
 له كبيرهم نفس القول ويضيف :

- لقد أراد الهَنَلِيُّونَ هلاكك آيها الملك وهاك جنودك . .
 فنحن لانعلم بيتاً لله اتخذهُ في الأرض لنفسه غير الكعبة التي
 نصحوك بهنمها - ولئن فعلت لَتَهْلَكَنَّ وَلَيَهْلِكَنَّ مَنْ مَعَكَ جميعاً .

وهنا يتراجع الملك عن عزمه نهائياً ويطلب من الأخبار مزيداً
 من النصيح فيشيرون عليه أن يلتوف بالبيت ويعظمه ويكرمه ويَحِلِّقَ
 رأسه عنده وَيَذِلَّ حتى يخرج منه . . فيوافق الملك على الفور ويأمر
 بقطع أَيْدِي وَأَرْجُلِ الهَنَلِيِّينَ وضرب أعناقهم .

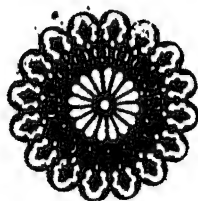
ويذهب الملكُ تبع الحميري إلى البيت فيطوف بالكعبة معظماً
لها وينحر عندها ويحلق رأسه ثم يقيم بمكة ستة أيام ينحر فيها
للناس ويسقيهم العسل ثم يُحْضِرُ أَفْخَرَ الثياب ويقوم بعمل كسوة
للكعبة منها ٠٠ كما يقوم بوضع أبواب لها بمفاتيح تَفْتَحُ وتُغْلَقُ
حَسَبَ الْحَاجَةِ .

وأكثر من هذا فإنه يَضَعُ شِعْراً في الكعبة يقول فيه "١" :
وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ

مَلَأَ مَنَظَرًا وَبُرُودًا
وَنَحَرْنَا بِالشَّعْبِ "٢" سِتَّةَ أَلْفٍ

فَنَسَرَى النَّاسَ نَحْوَهُنَّ وَرُودًا
ثُمَّ سَرِنَا عَنْهُ نَوْمٌ سَهِيلاً "٣"

فَرَقَعْنَا لِوَاعِنَا مَعْقُودًا



(١) انظر السلوك والتبر المسبوك للمقريزي ١٠ هـ .
(٢) هما شعبان في مكة وشعب بنى عامر وشعب على ولم يذكرهما ياقوت ١٠ هـ
(٣) نخم هند طلوعه ينقضى الصيف عند العرب وتنضج الفواكه ١٠ هـ .

الصِّراعُ بَيْنَ خِزَاعَةٍ وَقَرِيْشٍ

كانت خِزَاعَةٌ تريد من وضع قريش في الصف الأول من جيشها الذاهب لقتال التَّيَّابِعةَ أَنْ تقضى عليها أو على معظم رجالها ٠٠ ولكن فآلها خاب ٠٠ وبدلاً من أن يهلك القريشيون في هذه الحرب انتصروا وكسبوا المجد والشهرة بين العرب وأصبح لهم الشرف الرفيع يتحدث عنه وعنهم كما تحدثوا من قبل عن أبيهم مالكٍ وجدهم النُّضْرِ بن كنانة ٠

وكان جدهم قد اجتهد حتى جمعهم وَلَمْ شملهم ووجد صفوفهم وأعادهم مرة أخرى إلى بيت الله الحرام الذي كانوا قد تركوه تحت ضغوط قبيلة جُرهم ٠٠ وقد أطلق عليه العرب منذ ذلك الحين كلمة قريش : نسبة إلى (تَقْرِيشُهُمْ) ٠٠ أى تَجْمِيعُهُمْ ٠ وكان مالكٌ أبوهم هو الذي تَجَرَّأَ على مواجهة (سَابُورَ) ذى الأكتاف - الذى كان ذكره يَبْتُ الرعب بين العرب جميعاً - وقد ذهب إليه ليناقدشه في عنوانه للعرب وقال له بعد أن أخذ منه الأمان لنفسه :

— جئت أسألك ٠٠ لماذا تضطهد العرب ؟

فقال له سَابُورُ :

— وَلِمَ لَا أَفْعَلُ ؟ وَقَدْ أَنْبَأَنِي الْمَنْجَمُونَ أَنَّهُ سَيُظْهِرُ فِي الْعَرَبِ

رَجُلٌ يَزُولُ عَلَى يَدَيْهِ مُلْكُ فَارَسَ وَيُمَحِّي دِينَهَا •

فَقَالَ مَالِكُ :

— الْمَنْجَمُونَ لَا يَصْدُقُونَ دَائِمًا •

فَعَادَ سَابُورٌ يَقُولُ :

— وَنُبُوءَةُ سَاسَانَ « ١ » ؟

فَقَالَ مَالِكُ :

— وَمَاذَا تَقُولُ نُبُوءَةُ سَاسَانَ ؟

فَأَجَابَ سَابُورٌ :

— تَقُولُ : إِنْ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ سَيَأْخُذُ سُرِيرَ مُلْكِ فَارَسَ

وَيَصْبِحُ الرَّؤَسَاءُ مَرُؤُسِينَ لَهُ • • وَيُضَعُ مَكَانَ تَمَاثِيلِ الْأَلْهَةِ

وَمَوَاقِدِ النَّارِ الْمُقَدَّسَةِ بَيْتًا مَعْمُورًا بِأَلْصُورِ وَبِلَا تَمَاثِيلِ •

فَسَأَلَهُ مَالِكُ :

— إِذَا كَانُوا صَادِقِينَ • • فَلْيَقُولُوا مِنْ آيَةِ قَبِيلَةِ ذَلِكَ

الرَّجُلِ ؟

فَقَالَ سَابُورٌ عَلَى الْفُورِ :

— لَوْ عَرَفْتُ فِي آيَةِ قَبِيلَةٍ سَيُظْهِرُ لَأَقْنَيْتُكَ تِلْكَ الْقَبِيلَةَ وَحَقَنْتُ

دِمَاءَ الْعَرَبِ أَجْمَعِينَ •

(١) سَاسَانَ — بِاسْمِ جَدِّ مُلُوكِ الْأَكَّاسَةِ ، وَلَمْ يَنْكُرْهُ الْفَرِيزَوَابَادِيُّ ١٠ هـ —

قال مالك :

— لو أَن ذلكَ مُقدَّرٌ— وسوف يقع ٠٠ فهل يمنع سفكك لدماء العرب وقوعه ؟

ونظر سابورٍ إلى مالكٍ نظرة تقدير ٠٠ فقد قال قولاً بسيطاً
ولكنه كان حكيماً ٠٠ ثم قال :

— لقد أوقفت القتل والتعذيب عن العرب ٠

ولو تكشف الغيب في هذه اللحظة لِسَابُورَ لَعَلِمَ أَن هذا
العربيّ الذي يخشى ظهوره بين العرب والذي تنبأ له المنجّمون بأنه
سَيَدُّكَ عَرَشَ فارسٍ ويطفيءُ النيران المقدسة ويحطم الأصنام ٠٠
ليس إلاّ مُحَمَّدَ بْنَ عبد الله بْنِ عبد المطلب الهاشمي الذي ينتهي
نسبه إلى مالك القرشي الواقف أمامه ٠

مضت السنوات وخزاعة تُتَاجَرُ في الدين ٠٠ وكانت مكة
تموج بالخُرَافات والضلالات ٠٠ والناس يتخبطون في دياجير
الظلم والظلام ٠٠ وكانت الفئة المؤمنة وعلى رأسها كعبُ بن لؤي
ابن قهر بن مالك بن النَضْرِ تحاول إنقاذ الناس من هذا التخبُّط
والعودة بهم إلى حظيرة الدين الحق ٠٠ دين الله الواحد الأحد وعِبْثاً
راحت محاولاتهم ٠٠ فقد استمرت خزاعة على غيرِها واستمر
الناس على ضلالهم ، بل إن الطين زاد بِلَّةً ٠٠ وانحدر الناس إلى
هاوية الكفر والشرك ووصل بهم الحال أَن طافوا بالكعبة عَرَايَا

نساءً ورجالاً وارتفعت أصواتهم تهرّب بهتافٍ غريب شاذ لقنّه لهم
الكهنة وتجار الدين ، هو :
(لبيك اللهم لبيك ٠٠ لبيك لاشريك لك لبيك ٠٠ إلّا شريك هو
لك ٠٠ تملّكه وما ملّك) ٠

وسمع كعب بن لؤى هذا الهتاف فتثار وصاح :
- (لا إله إلا أنت سبحانك ٠٠ لبيك اللهم لبيك ٠٠ لبيك
لاشريك لك لبيك ٠٠ إن الحمد والنعمة لك والملك ٠٠ لاشريك
لك) ٠

ولكن صوته ضاع وسط الهدير المرتفع للألوف المؤلفة التي
كانت تردّد الهتاف الأول تماماً كما ضاعت جهوده وجهود الفئة
المؤمنة عندما حاولوا وضع الناس على الصراط المستقيم والعودة
بهم إلى حظيرة الدين الحق ٠٠ وقرر كعب أن يجمع الناس في
الكعبة ليخطب فيهم ويعرفهم بخطئهم وفساد مفاهيمهم ٠٠ ولكن
أحداً لم يجتمع له إلّا الفئة التي آمنت به من قريش ٠٠ فقام فيهم
بخطيباً وقال :

- (أيها الناس ٠٠ أما بعد ٠٠ فاسمعوا وأفهموا وتعلموا
واعلموا ٠٠ ليلٌ داغٌ ونهارٌ ضاحٍ ٠٠ والأرضُ مهأدةٌ ٠٠ والسماءُ
بناءٌ ٠٠ والجبالُ أوتادٌ ٠٠ والنجومُ أعلامٌ ٠٠ والأولون
كالآخرين ٠٠ فصلّوا أرحامكم ٠٠ واحفظوا أصهاركم وتأمّروا

أَمْوَالِكُمْ ۚ فَمَا رَأَيْتُمْ مِنْ هَالِكٍ رَجَعَ ؟ أَوْ مَيِّتٍ انْتَشَرَ ؟ وَالنَّارُ
أَمَامَكُمْ وَالظَّنُّ غَيْرُ مَا تَقُولُونَ ۚ أَيُّهَا النَّاسُ زَيَّنُوا حَرَمَكُمْ

وَعَظَّمُوهُ فَسَوْفَ يَأْتِي لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ ۚ وَسَوْفَ يَخْرُجُ مِنْهُ نَبِيٌّ
كَرِيمٌ ۚ أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ كُنْتُ فِيهَا ذَا سَمْعٍ وَبَصَرٍ وَيَدٍ وَرِجْلٍ لَتَنْصَبْتُ
فِيهَا تَنْصَبَ الْجَمَلِ ۚ وَلَا رَقْلَتُ فِيهَا إِرْقَالَ الْفَحْلِ) ۚ

وظل يدعو الناس إلى الله في هَوَادَّةٍ وَلِيٍّ ۚ ولكنهم لم
يستجيبوا له ولم يفكر أحدٌهم في العمل بقوله !!

ومات كعبٌ وَأَصْبَحَ ابْنُهُ مَرَّةٌ سَيِّدَ سَادَاتِ قُرَيْشٍ مِنْ بَعْدِهِ
وَلَمْ يَسْتَطِعْ مَرَّةٌ أَيْضاً أَنْ يَصْنَعَ شَيْئاً وَبَدَأَ الْقُرَشِيُّونَ يَهَاجِرُونَ
مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْبِلَادِ الَّتِي اسْتَقْرَبَهَا أَجْدَادُهُمْ وَظَلَّتْ الْحَيَاةَ الدِّينِيَّةَ فِي
أُمِّ الْقُرَى عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ فُسَادٍ ۚ

ومرت الأَيَّامُ واكتملت شهوراً وَأَصْبَحَتْ الشُّهُورُ سِنَوَاتٍ
وَتَعَاقَبَتِ السَّنَوَاتُ وَمَاتَ مَرَّةٌ وَتَرَكَمَ وَلَدَهُ كِلَابٌ قُرَيْشِيٌّ مِنْ بَعْدِهِ
وَحَاوَلَ هُوَ أَيْضاً أَنْ يَصْنَعَ شَيْئاً ۚ وَلَكِنْ خُرَاعَةٌ اسْتَطَاعَتْ أَنْ
تَطْرُدَهُ إِلَى خَارِجِ مَكَّةَ حَيْثُ عَاشَ مَعَ أَوْلَادِهِ وَأَوْلَادِ إِخْوَتِهِ يَحْفَرُ
الْأَبَارَ وَيُرْعَى الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ ۚ

ومات كِلَابٌ وَتَرَكَ وَلَدِيهِ : زَيْدًا ، وَزُهْرَةَ مَعَ أُنْهَمَا فَاطِمَةَ
بِنْتِ سَعْدٍ ۚ وَكَانَ زَيْدٌ فَطِيماً ، وَزُهْرَةُ قَدْ بَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ ۚ ۚ

قِصَى

وتمضى بنا قافلة الزمان فنصل إلى مرحلة أخرى من قصة
الكعبة المعظمة ، حيث نراها في عهد قِصَى بْنِ مُرَّةَ بْنِ كِلَابٍ بْنِ
كعب بْنِ لُؤَى بْنِ غالب بْنِ فِهْرٍ بْنِ مالك بْنِ النَضْرِ بْنِ كِنَانَةَ الَّذِي هُوَ
قُرَيْشٌ سَلِيلُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلام وصريحٌ ولده .
شب قِصَى غريباً لا يُعرف إلا أَنَّهُ ابن ربيعة زوج أُمِّه حتى
جاء يوم اختلف فيه مع رجل من قضاة فسبه الرجل وعيَّره قائلاً :
- أنت لست منا . . وإنما أنت فينا مُلْصَقٌ .
فغضب قِصَى وسأله : ماذا يعنى بهذا القول ؟
فقال الرجل :

- لا تسألنى وإنما اسأل من جاءت بك إلى أرضنا ؟
فهم قِصَى أَن يضرب الرجل ، ولكنه كظم غيظه وتراجع عن
ضربه ، ثم دخل إلى أُمِّه يسألها :
- قال لى القضاة : إننى لست منهم وإنما أنا مُلْصَقٌ
فيهم . . أريد أَن أعرف الحقيقة ؟
قالت الأم :

- لقد صدق والله يا بُنَى . . لست منهم . . ولكن رَهْطَكَ

خيرٌ من رهطه .. وآباءك أشرف من آبائه .. أنت من قريش ..
جدك إسماعيلٌ عليه السلام .. وأخوك زهرة .. وبنو عمك
بمكة .. وهم جيران بيت الله الحرام .

– ابن من أنا إذن يا أمّاه ؟

– ابن كلاب بن مرة بن كعب .

فسألها :

– وفيم إقامتي هنا إذن ؟ سألحق بقومي .

فقالَتْ لِه أمّه :

– أنت وشأنك يا ولدي .. لقد بلغت مبلغ الرجال .. ومن
حَقَّكَ أَنْ توجه نفسك الوجهة التي ترضاها .. فإن شئت بقيت
معنا على الرحب والسعة ، أنا أمك وربيعة أبوك .. وإن شئت
رحلت عنا ولحقت بأهلك في مكة ؟

– سألحق بقومي يا أمّاه .. نعم ، سبأعود إلى أهلي وأرضي ..

الطبيبة الطاهرة المباركة ، سبأعود إلى جوار الكعبة المعظمة التي
بناها أجدادي بإمر الله سبحانه وتعالى ..

فقالَتْ أمّة :

– آجلُ الذهاب يا ولدي حتى يدخل غلينا الشهر الحرام .

فتخرج مع حاجّ العرب .. فإني أخاف عليك

فلبث قُصِيَ حتى دخل الشهر الحرام ٠٠ ثم خرج في حاجٍ
قُضَاعَةً وهو يتلطف على لقاء أخيه زُهْرَةَ الذي سمع أنه من سادات
قريش وأبناء عمه وأهله جميعاً ٠

والتقى بهم فرحبوا به أشد الترحيب وفرحوا به غاية
الفرح ٠٠ واستشعر هو بينهم العزة والكرامة ٠٠ وكان أول ما
أثار اهتمامه : أن قريشاً خسر الناس وأكرمهم لم تكن لها ولاية
البيت ، وإنما كانت لِحِزَاةٍ ٠٠ وأن الإجارة للناس بالحج لم تكن
قريش أيضاً ٠٠ وإنما كانت في أبناء الغوث بن مرة بن أد بن
طابخة بن إلياس ٠

وسأل عن السبب وعرف ما كان من خِزَاعَةٍ مع قريش ٠٠
وما كان من جُرْهُم قبلها ٠٠ وعرف قصة أبناء الغوث وأن أمهم
كانت عقيماً فنذرت إن هي ولدت ذكراً أن تجعله من خدام
الكعبة ٠٠ فلما منَّ الله عليها بالغوث وهبته للكعبة خادماً وسادناً
الْبِسْتَه ثوباً من الصُوفِ فقيل له ولأولاده من بعده (صُوفَةٌ) "١"
وَسَبَّ الغوثُ فتولى الإفاضة بالناس من عرفة ٠٠ وكان إذا دفع
بالناس يقول :

لَا هَمَّ إِنِّي تَابِعُ تِبَاعَهُ "٢" . إِنْ كَانَ إِثْمٌ فَعَلِ قُضَاعَةً

(١) صوفة : أبوحي من مضر ، والصوفة كل من ولي شيئاً من عمل البيت ١٠ هـ .

(٢) التباعة ما يترتب على الفعل من الخير والشر ، واستعماله في الشر أكثر كالتبعة .

إ هـ ، هـ ، لا هم « يسبق تفسيرها بهامش صفحة ٦٢ الماضية .

وكان الغوث يَحْصُ قضاةً بذلك ، لأنها كانت تستحل

القتال في الأشهر الحرم .

وخرج قصيُّ يؤدي فريضة الحج لأول مرة ٠٠ فرأى من
تصرَّف أولاد الغوث (الصَّوْفَةِ) ما جعله يسخط عليهم ٠٠ ويرى
أن قريشاً أحقَّ بذلك الشرف منهم ٠٠ وانتهت أيام الحج وأقام
بمكة ٠٠ وراح يطوف بالبيت الحرام ٠٠ وكان كلما وقف أمام
الكعبة سأل نفسه :

— لماذا لا تكون ولاية البيت لقريش ؟

وكان قصيُّ حكيماً متزناً التفكير ٠٠ فصبر حتى اكتملت
قواه وعظم شرفه واتجهت الناس في مكة بقلوبها إليه ٠٠ فتزوج من
(حُيَيٍّ)^(١) ابنة سيد خزاعة ، وهكذا تمت المصاهرة بين سليل
قريش وأشرف سادات خزاعة ، ورزق من حُيَيٍّ بعد الدار وعبد
مناف وعبد العزَّى وعبد ٠٠ وانتشر ولده وكثر ماله واستطاع أن
يحصل على ثقة وحب حمَّته^(٢) والد زوجته الذي كان بيده مفتاح
الكعبة ٠٠ يفتحها وحده ، فإذا مرض أعطى المفتاح لابنته حُيَيٍّ
أو بعض ولدها .

فلما حضرت الوفاة والد حُيَيٍّ أسلم مفتاح الكعبة إلى

(١) حُيَيٍّ — علي وزين سعدى ، وهى بنت حليل — بضم أوله — الخزاعي ١٠ هـ .

(٢) الحمء وفيه لغات : أبوزوج المرأة وأبو امرأة الرجل أو أخوها أو عمها ١٠ هـ .

قُصِيَ ٠٠ ولكن خزاعة ثارت لذلك وانتزعت المفتاح عنوة منه وأبى
قُصِيَ هذا منهم وجمع سادات قومه من قريش ومن بنى كنانة
وقال :

— نحن أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة ٠٠ فقريش سليلة
إسماعيل بن إبراهيم ، وصريح ولده ٠

ودعاهم إلى إخراج خزاعة وحلفائها بنى بكر ٠ وقد استعان
بأخيه من أمه (رزاح) بن ربيعة ٠٠ فجاء رزاح بقضاعة
لنصرة أخيه ٠

ونشب الحرب طاحنة بين قريش ومن حالفها وبين خزاعة
وبكر ، ودار القتال في منى ، وسقط الكثيرون قتلى وجرحى من
الطرفين ٠٠ ثم تدخلت القبائل العربية الأخرى بين الطرفين
وعظم عليهم سفك الدماء في الحرم ، وتم التفاهم على أن يفصل
في النزاع — يَعْمَرُ بْنُ عَوْفٍ — وكان سيداً شريفاً مهاباً مسموع
الكلمة من الجميع ٠٠ فقال لهم :

— موعدكم فناء الكعبة غداً ٠٠ على أن تعدوا القتلى من
الفريقين ٠

واجتمع الناس بالكعبة وأقبل يَعْمَرُ بْنُ عَوْفٍ ثم وقف ليعلن
حكمه ، فأنصت الجميع ، وتكلم يَعْمَرُ فقال :

— أَلَا إِنِّي قَدْ شَدَخْتُ ^١ « ما كان بينكم من دم تحت قدمي هاتين . . ولا تباعة لأحد على أحد في دم . وإني قد حكمت لقصى بحِجَابَةِ البيت مع ولاية أمر مكة دون خِزَاعَةِ لما جَعَلَ لَهُ حُلِيل ^٢ »
سيدّ خِزَاعَةَ السابق . وَأَنْ يُخْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَكَ . وَأَنْ لَا تَخْرُجَ خِزَاعَةُ مِنْ مَسَاكِنِهَا .

وهكذا استقرت شئون البيت في يد قصى — أَوْ بِالْأَصَحِّ ولاية الكعبة إلى آبَاءِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ حَرَمُوا مِنْهَا طَوِيلًا ، وَهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا .

واهتم قصى بشئون الكعبة اهتماماً كبيراً فقام بتنظيمها كما قام باستحداث وظائف جديدة ومسئوليات دينية محدّدة فجعل الحِجَابَةَ مَنْصِبًا شَرِيفًا يَتَوَلَّاهُ هُوَ بِنَفْسِهِ وَجَعَلَ مِفَاتِيحَ الكعبة في يده . وَجَعَلَ نَفْسَهُ الْمُسْتَوَّلَ عَنْ كُلِّ مَا فِي الكعبة مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْهَدَايَا وَجَعَلَ الرِّفَادَةَ تَلَى الحِجَابَةَ وَوَضَعَهَا أَيْضًا فِي يَدِهِ وَنَظَّمَ شُئُونَ السَّقَايَةِ وَاسْتَحْدَثَ مَنْصِبًا آخَرَ هُوَ اللِّوَاءُ لَتَنْضَمَّ تَحْتَهُ الْقِبَائِلُ إِذَا مَا دَعَا الدَّاعِيَ إِلَى الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ .

وَكَانَتْ كَلِمَةُ قصى فِي قَوْمِهِ — مَدَى حَيَاتِهِ — هِيَ الْكَلِمَةُ

(١) شَدَخْتُ — أَيْ أَبْطَلْتُ ١٠ هـ .

(٢) حُلِيل — هُوَ حُلَيْلُ بْنُ حَبِشَةَ بْنِ سُلُولٍ ١٠ هـ .

العليا ، خاصة بعد أن شَيَّدَ دارَ النَّدْوَةِ "١" وجعل بابها يفضى إلى بيت الله الحرام مباشرة وكان يجلس فيها فيصرف أمور الناس ويحل مشاكلهم - الخاصة والعامة - يساعده في ذلك ولده عبد مناف الذى حاز - عن هذا الطريق - شرفاً كبيراً وعرف بين الناس بعلو المكانة وصدق الكلمة .

ولما كَبُرَ قَصَى وعلت به السن عزَّ عليه ألا يدرك ولده الْبَكْرُ عَبْدُ الدار ما بلغه ولده الثانى عَبْدُ مناف من شرف وعزة فاستدعاه وقال له :

- يا عبد الدار . . لقد استطاع أخوك عبد مناف أن يحقق لنفسه وأولاده ما لم تستطع أنت أن تحقق لنفسك وأولادك . وأنه ليعزُّ علىَّ أن أراك وأنا أترك الدنيا على هذا الحال !

- إلامرَّ الله ثم لك يا أبت فافعل ما تشاء وإن شاء الله تجدنى راضياً بكل ما يكون منك ويرضيك .

- والله لألحِقَنَّك بالقوم - وإن كانوا قد شَرُفُوا عليك ولأَحْبِبُّنَّكَ بِذُرْوَةِ الشرف حتى لا يدخل أحد الكعبة حتى تكون أنت الذى يفتحها لهم . ولا يَعْقِدُ لقریش لحَرْبِها إلا أنت بيدك . ولا

(١) الندوة المشاورة وسميت دار الندوة بمكة لأنه كان إذا حدث بهم أمر ندوا إليها فاجتمعوا للمشاورة ويقال لها . دار الدعوة ، ودار المفاخرة ، وهى من المسجد الحرام

يشرب رجل بمكة إلا من سقايتك • ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش أمراً من أمورِها إلا في دارك •
 - هذا فضل أنت جدير به أيها الأب العظيم •

وتنازل قصي لولده عبد الدار عن كل ما كان بيده من أمر قومه ، وقبيل عبد مناف ما قضى به أبوه ، فقد كان قصي لا يخالف ولا يردد عليه شيء صنعه •

ومات قصي فتسلم عبد الدار كل المسئوليات الوظيفية بالكعبة وجلس مكان والده بدار الندوة ، وقام بكل ما كان يقوم به قصي للناس •

وظلت قريش على هذا الوضع سنوات وسنوات ثم اجتمع بنو عبد مناف وفكروا تفكيراً جديداً •• فقال عبد شمس :
 - نحن أولى من أبتاء عبد الدار بكل ما بين أيديهم ؟ فوافقه نوفل وأيده قائلًا :
 - ذلك لشرقنا عليهم وفضلنا فيهم •• ولو أنهم يدعون أنهم أصحاب الشرف والفضل وحدهم •

فقال عبد شمس :

- لابد أن ننتزع منهم كل ما منحهم إياه جدنا قصي ، ولو أدى الأمر إلى انتزاعها بالقوة •

ورفض بنو عبد الدار التنازل عن شيء مما أعطاه لهم قصي

وانضم بنو أسد وبنو زهرة وبنو تميم وبنو الحرث إلى بني عبد مناف - بينما انضم إلى بني عبد الدار : بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جُمح وبنو عدى .

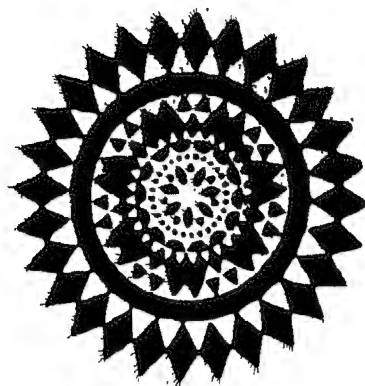
وظلت عامر بن لؤي ، ومحارب بن فهر : على الجياد . .
وعقد كل طرف على أمرهم حلفاً وثيقاً بينهم . وأخرجت نساء بني عبد مناف جفنة مملوءة بالطيب فوضعت بجوار الكعبة ثم غمس الجميع أيديهم فيها ومسحوا الكعبة فسموا المطيبين .
وعقد بنو عبد الدار حلفهم عند الكعبة وأخرجوا جفنة دم وغمسوا فيها أيديهم ومسحوا الكعبة - فسموا : لعقة الدماء .

وأوشك القتال أن يشتعل ولكن عبد المطلب اعترض طريق المقاتلين وكان مهاباً مسموع الكلمة للطرفين وصاح بهم :
— مهلا أيها الرجال . . مهلا يا بني عبد مناف . . مهلا

يا بني عبد الدار ، فلندع الحرب والقتال ولنتفاهم بالحسنى ، فهذا أفضل لنا جميعاً . . سيكون لبني عبد الدار : الحجابة ، واللواء ، والندوة ، ويكون لنا : السقاية ، والزفافة ، والقيادة .
فصاح بنو عبد مناف معترضين ولكنه استطاع أن يقنعهم

وقال :

ـ لقد كانت : السقاية ، والرفادة ، والقيادة ، مسئوليات
ضخمة طالما اعتزبها الذين تولوها منذ القدم اعتزازاً وعاد الزمن
ثم أنشد يقول :
بَيْتٌ بَنَاهُ لَنَا قَدَمًا وَأَوَّلُنَا وَأَوَّرَتْهُ طَوَالَ الدَّهْرِ أَخْرَانَا !



مأساة أبرهة الأشمر

وتمضى بنا قافلة الزمان لنشهد تلك المحاولات الغاشمة
الفاشلة التي حاولها الملوك والحكّام في كل بقعة من بقاع الأرض
عبر الدهور والعصور ليصرفوا الحجاج عن الكعبة ويحولوا
اتجاههم إلى بيوت أخرى أقاموها وزيّنوها وجعلوها فتنة للقلوب ،
وبهجة للناظرين .

فذاك بيت ضخم فخم أقامه القسّاسيّة بالحيرة "١" ،
وتلك القلّيس "٢" - كنيسة أبرهة الأشمر في صنعاء .

كانت اليمن تحت حكم الأحباش ، وكان يقوم عليها الحاكم
الحبشي أرياط من قبل ملك الحبشة - ثم نازعه في حكمها حبشى
آخر ، هو أبرهة بن الصّباح وكنيته (أبو يكسوم) - واشتد
النزاع بينهما وانشق الناس تبعاً لذلك فريقين - فريق يؤيد أرياطاً
والثاني يؤيد أبرهة . واتسعت شقة الخلاف - مع الأيام - بين

(١) مدينة كانت في موضع النجف بالقرب من الكوفة بين الخورنق والسدير كانت
مسكن ملوك العرب في الجاهلية ١٠ هـ .

(٢) كنيسة بقيت آثارها حتى زمن أبي العباس ، فخرّبها عامله على اليمن وباع ما
أمكن بيعه من العاج والأبنوس والذهب والفضة ١٠ هـ . بلوغ الأرب ج ١ ص ٢٥١
وتاريخ البرى ، والكامل لابن الأثير ١٠ هـ .

الفريقين فتناحرا وتقاتلا وسالت الدماء غزيرة ، فكتب أبرهة إلى
أرياط :

(٠٠ إنك لاتحسن إذ تفرق بين الأحباش وتجعل بعضهم
عدوا لبعض ، وإنى لأرجو أن تحصر الخلاف بينى وبينك ، وأن
تبرز لى وأبرز لك - فمن أصاب صاحبه انصرفت إليه أمور
الحكم) .

فلما قرأ أرياط الرسالة صاح ساخراً واتفجر ضاحكاً .
- يدعونى إلى النزال ٠٠ إنن فقد أنصف ٠٠ سوف أبرز له
وأبرزه وأقضى عليه ٠٠ .

وخرج أبرهة إلى ساحة المبارزة وخلفه عبد له يحمى ظهره
اسمه : (عتودة) وخرج أرياط وحيداً لا يحمى ظهره أحد -
واصطف الجنود على الجانبين ٠٠ جنود أبرهة على اليمين ، وجنود
أرياط على اليسار :

وبرز الخصمان ودار صراع رهيب جبار استطاع
أرياط " ١ " فى بدايته أن يسدد الحربة إلى وجه أبرهة فيصيبه فى
حاجبيه وعينه وشفتيه - وقد أثارت هذه الضربة ثائرة أبرهة فاننفع
بجنون نحو خصمه وحمل عليه حملة أرذته قتيلا .

(١) يكنى بأبى صحم ١ هـ . الطبرى ٠ ج ٢ ص ١٠٩ وعدم صرفه أول

وهكذا خرج أبرهة من المعركة منتصراً ولكن مشروم
الشفيتين - وهذا ما جعلهم يطلقون عليه اسم : أبرهة الأشرم .
بل إن الجنود عندما رأوا أرياطاً يسقط صريعاً صاحوا مهللين :
(انتصر أبرهة وانتهى أرياطٌ فليحكم أبرهة الأشرم
البلاد) .

ووصلت الأخبار إلى النجاشي "١" ملك الحبشة فهاج وماج
وصاح غاضباً :

- لقد تم ذلك بغير علمي . . لقد اعتدى أبرهة على أميري
أرياط وقتله دون إذن مني - والله لا أدع أبرهة حتى أطا أرضه
وأجز ناصيته .

وسمع أبرهة بهذا التهديد فابتسم في خبث ثم قال :

بل أنا الذي سيذهب إليه قبل أن يتحرك بجيشه إلينا
وأسرع أبرهة إلى النجاشي وعندما مثل بين يديه ولح الغضب
يتطاير شرراً من عينيه انحنى في خضوع واستسلام قائلاً :
- أيها الملك العظيم . . إنما كان أرياط عبداً من عبيدك
وأنا أيضاً عبد من عبيدك . ولكننا اختلفنا فيما بيننا . . وكلنا

(١) النجاشي - اسمه . أصحمة ، وتشدد ياءه وتخفف ا هـ .

طاعة لك ٠٠ إلا أَننى كنت أقوى على حكم اليمن منه وَأَضْبَط
وَأَسْوَسَ لَأَهْلِهَا

فَابْتَسَمَ النَجَاشِى وَقَدْ اسْتَحْسَنَ لِبَاقَةَ أَبْرَهَةَ ثُمَّ قَتَلَ .

— لقد أَقْسَمْتُ أَنْ أَطَا أَرْضَكَ وَأَجْزَ رَأْسِكَ يَا أَبْرَهَةَ

فَقَالَ أَبْرَهَةُ فِي خُضُوعٍ :

— لَنْ تَحْنُثَ فِي قَسْمِكَ يَا مُوَلَاى ٠٠ لَقَدْ حَلَقْتَ رَأْسِى كُلَّهُ

عِنْدَمَا بَلَغْنِى قَسْمَكَ هَذَا وَجِئْتُ بِشَعْرِى إِلَيْكَ — وَأَيْضاً جِئْتُ

بِجِرَابٍ مِنْ تَرَابٍ أَرْضَى لَتَضَعُهُ تَحْتَ قَدَمَيْكَ فَتَبَيَّرَ بِذَلِكَ قَسْمُكَ !

فَصَاحَ النَّجَاشِى مُعْجَباً بِذِكَاثِهِ وَحَسَنَ تَصَرُّفِهِ :

— أَيُّهَا الْمَاكِرُ الْخَبِيثُ ٠٠ إِنَّكَ دَاهِيَةٌ وَاللَّهِ ٠٠ وَإِنَّكَ لِأَقْدَرُ

عَلَى حُكْمِ الْيَمَنِ وَسِيَاسَةِ أَهْلِهَا وَضَبْطِ الْأُمُورِ فِيهَا مِنْ غَيْرِكَ .

هِيَآ عُدْ إِلَى هُنَاكَ وَأَثْبِتْ بِأَرْضِكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِى .

وَعَادَ أَبْرَهَةُ إِلَى الْيَمَنِ وَأَقَامَ فِيهَا عَلَى خَوْفٍ مِنْ غَدْرِ النَّجَاشِى

وَرَاحَ يَفْكُرُ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ الْحَصُولَ عَلَى رِضَائِهِ ، وَهَدَاهُ تَفْكِيرُهُ إِلَى

أَنْ يَبْنِى لَهُ كَنِيسَةً كَبِيرَةً بِضَنْعَاءَ يَجْعَلُهَا تُحْفَةً مِنْ تَحْفِ الْبِنَاءِ

وَالْعِمَارَةِ ، وَعِنْدَمَا انْتَهَى مِنْ بِنَائِهَا أَسَمَاهَا : الْقُلَيْسَ وَكَتَبَ إِلَى

النَجَاشِى يَسْتَرْضِيهِ قَائِلاً :

(مُوَلَاى النَّجَاشِى ٠٠ لَقَدْ بَنَيْتُ لَكَ كَنِيسَةً لَمْ يُبْنَ مِثْلُهَا لِمَلِكٍ

من قبلك ٠٠ وقد نقلت إليها آروع ماحواه قصرُ المَلَكَةِ بَلْقِيسَ "١"
 من أعمدة الرخام وأحجار المرمر وتُحف الذهب والفضة - ثم زدت
 عليها الكثير ، ولست بمُنْتَهٍ حتى أَصْرَفَ حجاج العرب إليها
 وأجعلهم ينسون تماماً أن في مكة بيتاً يَحْجُّ إِلَيْهِ) .
 وصادف هذا العمل هوى في نفس النجاشي الذي كان يُقلقه
 وَيَقْضُ مضجعه - كزعيم للدين المسيحي في المِنَاطَةِ - تهافت
 الحجاج العرب على الكعبة في مكة المكرمة .

وانتظر النجاشي وانتظر معه آبَرَهةُ وانتظر الجميع أن
 يتحول حجاج العرب عن الكعبة المعظمة إلى كنيستهم (القَلْبِس)
 بصنعاء .

ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، وبقيت الكعبة قبلة العرب
 جميعاً ومحط أنظارهم ومهبط أفئدتهم لايجرؤ على منافستها أو
 انتزاع حبها من النفوس أى بناء آخر مهما بلغ من العظمة
 والفخامة والأبهة ٠٠

نعم لقد بقيت ، وسوف تبقى أبد الدهر ، يؤمها الحجاج من
 كل فج عميق وكلهم شوق متوهج وحنين متلف ٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَأَدْنَىٰ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ

(١) بلقيس - هي ملكة سبأ ١٠ هـ .

مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧٠٢٢ » (صدق الله العظيم)
ويبدأ المشهد الثانى من مأساة أبرهة الأشرم فنراه وقد
اشتعل غضبه عندما لم يتحول الحجاج العرب إلى بنائه الفخم
الضخم الذى أقامه وأنفق عليه من الوقت والجهد والمال الكثير
الكثير - ونرى كيف ازداد هذا الغضب لهيباً عندما استقدمه
النجاشى وسخر منه ومن بنائه ، فراح يقتل الأسباب لكى يثير
النجاشى ضد الكعبة ويستعديه عليها ليهدمها !!
فادعى : أن بعضاً من العرب "١" قد دخل القليس وأحدث
فيها - وأرسل من يبلغ النجاشى بهذا ، ثم ذهب إليه بنفسه
ليستأذنه فى هدم الكعبة ومحوها من الوجود !
فأذن له النجاشى وزوده بجيش جرار من الجنود والأحباش
كما زوده بفيل ضخم مدرب على اقتحام المعارك .
وسار أبرهة مزهواً بجيشه وفيله إلى الكعبة يريد هدمها
فخرج له رجل من أشراف اليمن وسادتها ، يقال له : نو
نقر "٢" ، ونصحه بالعدول عن سيره والعودة بجيشه ، ولكن
أبرهة رفض نصحيته واستمر فى سيره ، فاتجه نو نقر إلى قومه
ومن أجابه من سائر العرب وصاح فيهم :

(١) هو احد بنى فقيم ، ممن كانوا يذنبون الشهور على العرب ١٠ هـ .

(٢) نو نفر - هو قيل من أقبال حمير ١٠ هـ .

— يا قوم إن أبرهة يريد هدم الكعبة وإنى أدعوكم إلى قتاله
ومجاهدته عن بيت الله الحرام وما يريد تخريبه وإفناءه !

فأجابه البعض واستعدوا لقتال أبرهة ورجاله ، واشتبك
الفريقان في قتالٍ مريرٍ أسرف فيه نو نقر ، وسيقٍ مقيداً إلى أبرهة
الذى ما كاد يراه حتى صاح في رجاله :
— اقتلوه ومثلوا بجثته ليكون عبرة لمن يعتبر ..

فقال له نو نقر في هدوءٍ :

— مهلا أيها الملك لا تقتلني فعسى أن يكون بقائى على قيد
الحياة أفضل لكم من قتلى . وعسى أن يكون مقامى معك خيراً من
ذهابى عنك إلى غير رجعة ؟ ففكر أبرهة لحظات ثم أشار إلى رجاله
بما يفيد الابتعاد عن ذى نقر والإبقاء على حياته .

واستأنف أبرهة والجيش والفيل سيرهم إلى أن وصلوا
أرض (خنعم) وهناك تصدى لهم نفيل بن حبيب الخنعمي في
قبائل من خنعم — شهران ، وناهيس ^١ — ودارت معركة حامية
هزم فيها نفيل وأصحابه وجى عبنقيل أسيراً إلى أبرهة الذى أصدر
أمراً بقتله ، فصاح به نفيل :

(١) شهران أبو قبيلة من خنعم ، وى نامس شرفهم وعددهم ، وهما ابنا عفرس

١٠ — كتاب القبائل لابن عبد البر ص ١٠٢ .

— آيها الملك أبق على حياتي وسوف أكون ليليك بأرض

العرب • وهاتان يداى على قبائل خُتَم بالسمع والطاعة ؟!
 فاستجاب أبرهة لرجائه وأعفاه من القتل وأخذَه ليلًا حتى
 وصل الطائف • واتجه أبرهة إلى بيت (اللَّاتِ) هناك على قمة
 الجبل فخرج عليه مسعود بن مُعْتَبٍ في رجال من ثقيف وقالوا له
 — آيها الملك •• إنما نحن عبيدك سامعون لك منطيعون
 لأوامرك وليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي
 تريد •• وإن شئت أرسلنا معك من يدك عليه ؟!

فتجاوز أبرهة عنهم ، وتطوع أحدهم وهو
 (أَبورِغَالِ) (١) بأن يدلّهم على مكة ويصل بهم إلى الكعبة ،
 وسار أمامهم يحدولهم ويحمّسهم حتى وصلوا إلى مكان يسمى
 (الْمُغَمَّسَ) (٢) على مقربة من مكة بين (جَعْرَانَة ، والشرائع)
 وهناك هلك أَبورِغَالِ بداءٍ غريب أصابه ، فدفن بنفس المنطقة —
 وقد رجمت العرب قبره .

وعسكر أبرهة في الْمُغَمَّسِ وبعث رجلا يقال له : (الأَسود بن
 مفصود) على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فاغتصب أموال أهل

(١) هو أبو ثقيف ، من ثمود جاء ذكره في الحديث في سنن أبي داود ، ودلائل النبوة ،
 قال عليه السلام : إنه أصابته النقرة حين خرج من الحرم ١٠ هـ .
 (٢) ورد ذكره في شعر عبد المطلب ، أو أمية ونفيل ، وهو بطريق الطائف ١٠ هـ .

(تَهَامَة) من قريش وأصاب فيها مائتي بغير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ رأس قريش وسيدها .

وما أن علم عبد المطلب بذلك حتى جمع الناس بالكعبة وصاح فيهم :

– أيها القوم هذا أبرهة الحبشي يعسكر على مشارف مكة .
وقد أرسل رجاله فاغتصبوا أموالنا وما نملك . . فما رأيكم ؟
فصاح القوم من خوله :

– لا بد من قتاله وتأديبه . . فلنخرج إليه ولتكن الحربُ بيننا وبينه .

فاستطرد عبد المطلب قائلاً :

– إنها معركة غير متكافئة سوف تنوب فيها قريش أمام طاغية لا يرحم ثم تتوبُّ بعار الهزيمة . فاتركوا الأمر لله وحده .
وعاد أبرهة برجل من رجاله يقال له : (حَنَاطَةُ الْحِمَيْرِيِّ)
وقال له :

اذهب إلى مكة واسأل عن سيد أهلها وشريفهم ، ثم قل

له : إن أبرهة لم يأت لحربكم ، إنما جاء لهدم الكعبة ، فإن لم تعرضوا له بقتال فلا حاجة له بدمائكم ، فإن هو لم يريد حربى فآخضره إلى .

وعاد حَنَاطَةً بُعِدَ المطلب وبعض قومه ، وجلس عبد المطلب
 ينتظر الأمر بالدخول على الملك ، وهنا علم بقصة ذى نَفَرٍ - وكان
 صديقاً قديماً له - فاخترى به وقال له :

- ياذا نَفَرٍ ٠٠ هل عندك غَنَاءٌ فيما نزل بنا ؟
 فأجابه ذو نَفَرٍ :

- وما غَنَاءُ رجل أسير في يد ملك ينتظر أن يقتله بكرة أو
 عشية ؟

فقال عبد المطلب :

- الحق ما تقول ولكنك تستطيع أن تساعدنا ولو بالرأى
 السليم ؟

فأشار عليه ذو نَفَرٍ قائلاً .

- ما عندي غَنَاءٌ في شيء مما نزل بكم إلا أن (أنيساً)
 سايس الفيل صديق حميم لي فأرسل إليه وأوصيه بك وأعظم عليه
 حقك ، وأسأله أن يشفع لك عند الملك بخير إن استطاع ؟
 ففرح عبد المطلب بهذا وهتف :

- حسبي هذا منك يا صديقي ٠٠ حسبي والله ٠٠

ومضى ذو نَفَرٍ إلى أنيس وأوصاه ، فمضى بوزره إلى أبرهة
 وقال له :

— ببابك هذا عبد المطلب سيد قريش ورأسها يستأنن عليك
وهو صاحب عَيْرِ مَكَّة ٠٠ وهو يطعم الناس بالسُّهول ٠ والوحوش :
برؤوس الجبال ، فَأَنَّنْ لَهُ وَاسْمَحْ لَهُ أَن يَتَكَلَّمَ بِحَاجَتِهِ
وعلى الفور دعا أَبْرَهَةَ عَبْدَ الْمَطْلَبِ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى
جِوَارِهِ ٠٠ فقال له عبد المطلب :
— أَجْلِسْ عَلَى سِرِيرِ مَلِكِكَ ٠٠ لَا وَاللَّهِ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، لَا يَكُونُ
هَذَا أَبَدًا ٠

فقال له أَبْرَهَةُ وَهُوَ يُجَامِلُهُ :
— إِنَّنِ أَجْلِسُ أَنَا مَعَكَ عَلَى الْأَرْضِ تَعْظِيمًا لِقُدْرِكَ وَتَكْرِيمًا
لشخصك ٠

وبعد أَنْ جَلَسَ إِلَى جِوَارِهِ سَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَالَ عَبْدُ
الْمَطْلَبِ :

— حَاجَتِي أَنْ يَرُدَّ الْمَلِكُ عَلَيَّ الْمَائَتِي بَعِيرٍ الَّتِي أَصَابَهَا لِي !
فَدَهَشَ أَبْرَهَةُ لِهَذَا الْقَوْلِ وَنَظَرَ إِلَيْهِ بِسُخْرِيَّةٍ قَاسِيَةٍ وَقَالَ :
— أَهَذَا مَا جِئْتَ تَطْلُبُهُ مِنِّي ؟ أَنْتَ شَرِيفُ مَكَّةَ وَصَاحِبُ
الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِيهَا جِئْتَ تَكَلِّمُ أَبْرَهَةَ الْعَظِيمِ فِي مَائَتِي بَعِيرٍ ؟ هَلْ
نَسِيتَ أَنَّنِي قَدْ جِئْتُ أَهْدِيْكُمْ بَيْتَ عِبَادَتِكُمْ ؟ أَهْذِمُ كَعْبَتَكُمْ
الْمُعْظَمَةَ ؟ ٠٠ أَتَكَلَّمُنِي فِي مَائَتِي بَعِيرٍ تَرِيدُ اسْتِرْدَادَهَا ، وَتَتْرَكُ بَيْتًا—

هو دينك ودين آبائك وأجدادك لا تكلمنى فيه ؟

فأجابه عبد المطلب فى هدوء :

— مهلا أيها الملك ٠٠ إننى أنا رب الإبل ، وإن البيت رباً

يحميه !

فصاح به أبرهة فى سخط وهو يقوم من مجلسه ويتجه إلى

سرير مملكه بعظمة :

— ما كان ليمتنع على ٠

فقال عبد المطلب :

— أنت وذاك ٠٠ أهيمه إن استطعت ، ولكن رد على إبلى ٠

فقال أبرهة :

— قد رددناها عليك ولسوف نمضى إلى البيت فنجعله أثراً

بعد عين !

ويدخل إلى أبرهة فى نفس اللحظة من يقول : إن بالباب سيد

هذيل ١٠ يعرض ثلث أموال تهمامة على أن يرجع أبرهة فلا يهدم

الكعبة ٠٠ وهنا يصيح أبرهة فى غرور وصلف وكبرياء :

— بل سأهدمها ولو عرضت على أموال الدنيا كلها ٠٠ لقد

آن الأوان لحذف هذه الكعبة من سجل الوجود ٠٠

(١) هو خويلد بن واثله الهذلي ومعه يعمر بن نفاعة بن عدى سيد بنى بكر ١٠ هـ

وتمضى بنا قافلة الزمان لنشهد الفصل الأخير من مأساة
أبرهة المروعة وجيشه ، ونرى كيف انتهت قصتهم بفاجعة لم
تعرف البشرية مثلها من قبل . . . فاجعة جعلتهم عبرة لمن يعتبر ،
وعظة لمن شاء أن يتعظ . . .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ
كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ١٠٥-١٠٥ » .
(صدق الله العظيم)

عندما انصرف عبد المطلب من حضرة الملك أبرهة اتجه إلى
البيت الحرام حيث وجد الناس هناك يَصْرَعُونَ إلى رب الكعبة أن
يحفظ بيته - فأمرهم جميعاً بالخروج من البيت . . . بل من مكة
كلها - والتَّحَرَّزَ في شَعَفِ الجبال خوفاً عليهم من سطوة الجيش
والمعرة .

ثم قام ومعه نفر من قريش يدعون الله سبحانه وتعالى
ويستنصرونه على أبرهة وجنده . . . تم أمسك عبد المطلب بحلقة
باب الكعبة وصاح في ابتهاج حار .

يَا رَبِّ إِنِّ الْعَبْدَ يَمْنَعُ
رَحْلَهُ فَامْنَعْ رَحَالِكَ

جَرَوْا جَمُوعَ بِلَادِهِمْ
وَالْفِيلَ كَى يَسْبُوا عِيَالَكَ
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَكَعْ
بَتَنًا فَأَمْرٌ ۝ مَا بَدَا لَكَ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، ثم انطلق هو ومن معه إلى شَعَفِ الجبال وظلوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها وما سوف يفعله به صاحب البيت سبحانه وتعالى .
ويسير أبرهة بجيشه يتقدمه الفيل حتى ظاهَرَ مكة من ناحية الجنوب ، وهنا يتجه نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبِ الْخَثْعَمِيِّ إلى جنب الفيل وَيَلْتَقِمُ أَذَنَهُ ثم يقول هامساً :

— ائْبُرْكِ أَيُّهَا الْفِيلُ ۝ إِنَّكَ فِي بِلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ ۝ لَا تَتَقَدَّمْ
خُطْوَةً وَاحِدَةً ۝ فَيَبْرُكُ الْفِيلُ وَلَا يَتَحَرَّكُ إِلَى الْأَمَامِ خُطْوَةً وَاحِدَةً ۝
وَيَنْدَهَشُ أَبرهةٌ لِلأَمْرِ وَكَذَلِكَ جُنُودُهُ ۝ وَيَصِيحُ أَبرهةُ أَمْرًا سَائِسَ
الْفِيلِ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى التَّحَرُّكِ قُدُمًا ۝ وَيَحَاوِلُ السَّائِسُ عِبْنًا ۝ إِذْ
يَأْبَى الْفِيلُ أَنْ يَتَحَرَّكَ قَيِّدٌ أُنْمَلِيَّةٌ فِي الْإِتْجَاهِ الَّذِي يُوْجِهُونَهُ إِلَيْهِ ۝
أَيَّ إِتْجَاهِ مَكَّةَ ۝

فيأمرهم أَبرهةُ بِإِحْضَارِ الْمَحَاجِنِ "١" وإِخْلَالِهَا فِي
جَسَدِهِ ۝ فيفعلون ، ولكن الفيل يظل في مكانه كهنا هو ۝

(١) المحاجن : عصا معطوفة الرأس للضرب ١٠ هـ

ويزداد عجب أبرهة ورجاله ويحاولون دفعه ناحية اليمن فيقوم
مُهرولا ٠٠ فيوجهونه ناحية الشام فيفعل مثل ذلك ٠٠ فيوجهونه
نحو المشرق فيتهيأ للانطلاق ، فيعاودون توجيهه ناحية مكة فَيَبْرُكُ
ثانية ويأبى أن يتحرك ٠

وبلغت هذه الأخبار مسمع عبد المطلب وأصحابه المعتصمين
برؤوس الجبال ، فأشرق على وجوههم نور اليقين والإيمان وشعروا
بالغبطة أن استجاب الله عزَّ وجلَّ لدعائهم ٠٠
ويئس أبرهة من الفيل فقرّر أن يسير بدونه ، فصاح في
جنوده :

— دعوا الفيل ٠٠ دعوه واندفعوا إلى الأمام ثم اهْجُمُوا على
الكعبة واهدموها هيا ولنجعلها أثراً بعد عين ٠٠
واندفعت الجموع الهادرة على الطريق إلى هدف قائدهم
وكلهم أمل أن يحققوا له ما أراد ٠
ولما أصبحوا على مقربة من الكعبة أظلم الجو من فوقهم
وشعروا كأن سحابة سوداء تقترب منهم ، وخاف البعض منهم
وراح البعض الآخر يديق النظر إلى السحابة ، وهنا تأكّدوا أنها
ليست سحابة بل هي طيور غريبة الشكل سوداء اللون تقترب منهم
وهي تصرخ صراخاً مفزعاً ثم تنقضُّ على رؤوس الجنود وتسقط
سيئاً ٠٠ فصاح عتودة :

— انظر يا مولاي ٠٠ انظر إلى هذا الشيء الذى تسقطه
الطيور على رؤوس الجند ! يا إلهي ٠٠ إنها تسقط أحجاراً صغيرة
لا يكاد الواحد منها يستقر على رأس الرجل حتى ينهار ويتهاوى
كالعصف المأكول ٠٠

ونظر أبرهة مذهولاً ٠٠ بل مصعوقاً ٠٠ ورأى الطيور
الجارحة وهى تنقضُّ على جنوده بشراة فتقضى عليهم الواحد بعد
الآخر ٠٠ ولم ينتبه إلى أحدها وهو يقترب منه ويصيه ٠٠ وصاح
أبرهة فى ألم وذعر :

— ويلاه ٠٠ لقد أصابنى أحد ها ٠٠ أدركونى ٠٠
اغثونى ٠٠ أدركنى يا عتودة ٠٠ أدرك مولك ٠
ولم يستطع عتودة أن يحرك ساكناً ، فقد أصابته الطيور هو
أيضاً ، وسقط إلى جوار مولاه يتلوى من الألم ٠٠

وخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك وأبرهة
معهم ينتثر جسده وتسقط أنامله أنملة أنملة ٠٠ وكان نفيلى هو
الوحيد الذى نجا من هجوم الطيور الجارحة المتوحشة ، وكان
يسمع صياحهم وضراعاتهم إليه بأن يدلهم على أقرب طريق إلى
اليمن وهو يقهقه ويقول :

آين المفرُّ والإله الطالبُ والأشرمُ المغلوبُ ليس الغالبُ
وفرحت قريش بما أصاب أصحاب الفيل وتركوا رؤوس

الجبـال وأَقْبَلُوا عَلَى الكعبة يطوفون بها شاكـرين ربها وربهم الكريم
الذى مَنَّ عليهم بالنجاة وحفظ للبيت الحرام مكانته - وتجاوبت
أَرْجَاءُ الْبَلَدِ الْأَمْنِ بِأَصْوَاتِ الشَّاكِرِينَ الْحَامِدِينَ وَصَاحِ
شَاعِرِهِمْ "١" يَنْشُدُ

فَتَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا
كَانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَامُ حَرِيمُهَا
سَأَلَ أَمِيرَ الْجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى
وَلَسَوْفَ يُنَبِّئُ الْجَاهِلِينَ عَليْمُهَا
سِتُونَ أَلْفًا لَمْ يَتُوبُوا أَرْضَهُمْ
بَلْ لَمْ يَعْشَ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمُهَا
وَقَدْ ضَاعَفَ مِنْ فَرْحِ قَرِيشَ بِهَذَا الْيَوْمِ السَّعِيدِ أَنَّ وَلَدَ
لِسَيِّدِهَا وَشَرِيفِهَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ فِي صَبَاحِهِ حَفِيدُهُ ابْنٌ وَلَدَهُ الْفَقِيدِ عَبْدُ
اللَّهِ ٠٠ فَمَا كَادَ الْخَبْرَ يَصِلُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَحْتَفِلُ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ
بِانْدِحَارِ أَبْرَهَةَ وَجَيْشِهِ - حَتَّى أَسْرَعَ إِلَى بَيْتِ أَمْنَةٍ وَحَمَلَ الْحَفِيدَ -
مَتَوَهِّجَ الْفَرَحَ وَعَادَ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَرَاحَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَهُوَ
يَنْشُدُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي
هَذَا الْغُلَامَ الطَّيِّبَ الْأَرْدَانِ

(١) هو عبدالله بن الزبيرى ١ هـ

أُعِيْذُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
حَتَّى أَرَاهُ بِالْبَيْتِ
أُعِيْذُهُ مِنْ شَرِّ ذِي شَنَانٍ
مَنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْعِنَانِ

وتقدم أحدهم من سيد قريش وسأله : ماذا سيطلق على
الوليد . فأجاب على الفور :

— محمد . . نعم . . محمد . .

فعاد السائل يقول .

— ولماذا اخترت له هذا الاسم ؟

فقال عبد المطلب وهو يتطلع إلى السماء :

— أريد أن يكون محموداً في الأرض وفي السماء .

حَفَرُ مَرْمَرٍ

وتعود بنا قافلة الزمان إلى الوراء خطوات لنرى مشهداً من

مشاهد هذه القصة الرائعة لأعظم بيت عرفته البشرية قاطبة . .

وأول بيت وضع للناس على الأرض . . مشهداً سبق واقعة أبرهة

وجيشه وعاصرها . .

فنرى عبد المطلب بن هاشم وقد آلت إليه إمارة مكة ، فشرف

قدره بين أهلها شرفاً لم يبلغه أحد من آبائه . . وعظمت مكانته

واستقرت محبته في نفوس الناس ، لما رأوه من اهتمامه

بمصالحهم وسعيه الدائم في سبيل خيرهم .

نراه يفكر في التغلب على مشكلة نقص المياه . وما يعانيه
حجاج البيت بسبب المشقة في الحصول على الماء من خارج البيت
ونقله إلى داخله .

ويزداد اهتمام عبد المطلب بهذه المشكلة عندما تنتهي إليه
السقاية ضمن ما انتهى إليه من مسئوليات الحرم ، ونسمعه
يحدث ولده الحارث في الأمر فيقول :

– علىَّ أَنْ أَجِدَ حَلًّا سَرِيعًا لهذه المشكلة مهما كلفني الأمر

ففكر معي . . ويشترك الحارث معه في التفكير ثم يقول .

– أَلَمْ تَسْمَعْ يَا أَبَتِي بِقِصَّةِ زَمْزَمَ . . تلك العين التي تفجرت

لجنا إسماعيل عليه السلام وأمه هاجرَ قديمًا " ١ " ؟

فيقول عبد المطلب :

– كيف لم أَسْمَعْ بها يا ولدي ؟ لقد سمعت الكثير عنها . .

وأنا أعلم يقينًا أَنَّها موجودة في البيت . . في مكان منه ، ولكن هذا

المكان غير معلوم لأحد . . لقد طمستْها جُرُهمٌ قبل أن تخرج من

مكة مطرودة مقهورة . . طمستْها وضيعت معالمها تمامًا " ٢ " .

فيقول الحارث بحماس :

(١) ذكره الزبير بن بكار في جمهرة نسب قريش ١٠ هـ .

(٢) هي وطاة جبريل وسقيا إسماعيل ثم حفرها إبراهيم وغلبه عليها نو القرنين ثم

دغستها حرهم ثم أطهرها الله لعبد المطلب ١ هـ .

— ولم لا نحاول البحث عنها ثم نحفرها من جديد “

ويصمت عبد المطلب لحظات ثم يقول :

— نعم الرأي رأيٌ يا ولدى .. دعنى أفكر فى الأمر

ويزداد حماس الحارث لأبيه فيقول ‘

— الأمر لا يحتاج إلى تفكير يا أبت ، طمس العيون لا يقضى

عليها نهائياً .. ولو أننا أعدنا حفرها فسوف تتفجر كما

كانت .. ربما أكثر ..

فقال عبد المطلب :

— هذا صحيح .. ولكن لكى نعيد حفرها يجب أولاً أن

نعرف مكانها ..

فقال الحارث :

— فلنحفر فى كل مكان حول الكعبة ولنطلب العون من الله

سبحانه ، وتعالى ، فهو خير معين .

فقال عبد المطلب :

— وَأَنْعِمُ بِاللّهِ يَا وَلَدِي .. اذهب أنت وشأنك ودعنى هنا

فسوف أقیم فى حِجْرِ إِسْمَاعِيلَ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْينَا .

وَأَقَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ فى حِجْرِ إِسْمَاعِيلَ .. وفى الليلة الأولى

رَأَى فى نومه أَنَّ شَخْصاً يَقُولُ لَهُ :

— احْفَظْ طَبِيعَةَ ..

فسأله :

— وما هي طَيِّبَةٌ ؟

فلم يجبه وانصرف عنه . . فقام من نومه متعجباً .

وفي الليلة التالية رأى في نومه نفس الشخص وهو يقول له :

— احفَرِ بَرَّةً « ١ » .

فسأله :

— وما هي بَرَّة ؟

فلم يجبه وانصرف عنه . فلما كانت الليلة الثالثة ونام عبد

المطلب جاءه نفس الشخص وقال له :

— احفَرِ زَمْزَمَ . . إنك إن حفرتها لن تندم . . هي تراث من

أبيك الأعظم ، لا تنزف أبداً ولا تُدَمِّمَ . . تسقى الحجاج الأعظم

مثل نَعَامٍ جافِلٍ لم يُقَمِّمَ « ٢ » .

فسأله عبد المطلب عن مكانها . فقال :

— عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الأعصم ، غدا بين

الفرث والدم .

وقام عبد المطلب من نومه واستدعى ولده وروى له ما كان من

الرجل ومنه . فقال الحارث :

(١) طيبة ، لأنها للطيبيين — وبرة لأنها للأبرار ، وقيل لها ، المضمونة ، لأنها ضمن بها

على غير المؤمنين ١٠ هـ .

(٢) الحامل المقلوع بجملته ولم يتوزع ١ هـ السهيل حـ ١ ص ١٠١ .

— إِنْ نَمَضَى إِلَيْهَا غدا وَنَحْفِرُ عِنْدَ قَرْيَةِ النَّمْلِ حَيْثُ يَنْقَرُ

• الْغَرَابُ

وَمَضَى عَبْدُ الْمَطْلَبِ مَعَ وَلَدِهِ الْحَارِثِ إِلَى قَرْيَةِ النَّمْلِ بِالْبَيْتِ

الْحَرَامِ فَوَجَدَا الْغَرَابَ يَنْقَرُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ وَتْنَيْ إِسَافٍ وَنَائِلَةَ «١»

وَعَلَى الْفُورِ أَمْسَكَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بِالْمَعُولِ وَرَاحَ يَحْفَرُ بَيْنَ الْوَتْنَيْنِ •

وَكَانَا لَا يَزَالَانِ بِالْكَعْبَةِ إِلَى ذَلِكَ الْحِينِ •

وَمَا كَادَتْ قَرِيشٌ تَرَاهُ يَفْعَلُ حَتَّى أَسْرَعَ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْهُمْ

وَقَالُوا :

— مَا هَذَا الصَّنِيعُ يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ • لِمَ تَحْفَرُ فِي مَسْجِدِنَا ؟

فَيَقُولُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ :

— إِنِّي أَحْفَرُ بَحْثًا عَنْ بئرِ زَمْزَمَ •

وَيَحَاوِلُونَ مَنَعَهُ مِنَ الْحَفْرِ • فَيَصْصِمُ عَلَيْهِ قَائِلًا :

— وَلَمْ لَا أَفْعَلُ وَالْحَجِيجُ يَعْانُونَ أَشَدَّ الْمَعَانَاةِ مِنْ قِلَّةِ الْمَاءِ •

وَيَنْدَفِعُ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلٌ قَائِلًا :

— وَاللَّهِ لَا نَتْرُكُكَ تَحْفَرُ تَحْتَ وَتْنَيْ إِسَافٍ وَنَائِلَةَ الَّذِينَ نَنْحَرُ

عِنْدَهُمَا •

فَيُثَوِّرُ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَيُصِيحُ :

— بَلْ سَأَحْفَرُ مَهْمَا فَعَلْتُمْ ، وَلَنْ يَصُدَّنِي عَنِ الْحَفْرِ أَحَدٌ •

• (١) إِسَافٍ وَنَائِلَةُ مَسْخَا حَجَرَيْنِ وَضَعَا عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ عَبَدَا مَعَ الْأَصْنَامِ •

١ - هـ الْأَصْنَامُ ص ٢٩ •

وينادى على ولده في قوة ويطلب منه أن يدافع عنه حتى ينفذ ما أمر به ، ويكمل الحفر .

فيقول الرجل ساخرًا :

— يدافع عنك ؟ وماذا يستطيع ولد واحد وحيد لاحول له ولا قوة أن يفعل ؟ ويغضب عبد المطلب ويعزّ عليه أن يعير بقلة الولد ويُنذِرُ إن حفر زمزم وتم له أمرها وولد له عشرة نفر ثم بلغوا مبلغ الرجال لينحرنَ أحدهم عند الكعبة — ثم يستمر في الحفر والناس من حوله يشاهدون ما يفعل . وفجأة يظهر له غزالان من الذهب ، فيصيح بفرح غامر :

— هذان هما الغزالان اللذان دفنتهما جُرهُمُ حين خرجت من

• مكة

ويظهر له بعد الغزالين أسيافٌ ودروعٌ وسلاحٌ ، فيزداد فرحه ويبدأ طمع قريش ، ويقول أحدهم :

— يا عبد المطلب آجِزْنَا مما وجدت . . . إن لنا معك في هذا

شِرْكَاءَ حَقًّا . فيرفض عبد المطلب هذا الطلب منهم ويقول .

— لا والله ، فهذه كلها لبیت الله الحرام وليست لي .

واستمر عبد المطلب في الحفر حتى ظهرت له الأحجار التي

تغطي فتحة البئر ، ثم رفع الأحجار وما أن رأى الماء يَنْبُطُ^(١) .

(١) ينبط أى ينبع .

من البئر حتى صاح مهللاً ، فقامت قريش كلها وقال أحدهم

– يا عبد المطلب ، هذه بئر أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقاً
فَأَشْرِكُنَا مَعَكَ .

فقال عبد المطلب :

– ما أَنَا بِفَاعِلٍ ، إِن هَذَا الْأَمْرُ قَدْ خُصِّصَتْ بِهِ بَنُوكُمْ
وَأُعْطِيَتْهُ مِنْ بَيْنِكُمْ .

فقال أحدهم :

– أَنْصِفْنَا يَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ فَإِنَّا غَيْرُ تَارِكِيكَ حَتَّى نَخَاصِمَكَ
فِيهَا .

فأجابهم عبد المطلب :

– لَا . وَلَكِنْ هَلُمُّوا إِلَى أَمْرِ تَصَفِّ «١» بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ .
نَضْرِبُ عَلَيْهَا بِالْقِدَاحِ «٢» : نَجْعَلُ لِلْكَعْبَةِ قَدْحَيْنِ وَلِي مِثْلَهُمَا
وَلَكُمْ كَذَلِكَ ، فَمَنْ خَرَجَ لَهُ قَدْحَاهُ عَلَى شَيْءٍ كَانَ لَهُ . وَمَنْ تَخَلَّفَ
قَدْحَاهُ فَلَا شَيْءَ .

وَضَرَبَتْ الْقِدَاحُ ، فَخَرَجَ قَدْحَا الْكَعْبَةِ عَلَى الذَّهَبِ وَقَدْحَا عَبْدِ
الْمَطْلَبِ عَلَى الْأَسْيَافِ وَالسُّرُوعِ . وَتَخَلَّفَ قَدْحَا قُرَيْشٍ . وَمَنْ ثُمَّ

(١) إِلَى أَمْرِ نَصَفَ : مِنْ الْإِتِّصَافِ ، أَيْ الْعِنَلِ ١٠ هـ

(٢) بِالْقِدَاحِ : أَيْ السَّهَامِ ، وَكَانُوا يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا ، وَمِنْ أَسْمَائِهَا : صَرِيحٌ
وَمُلَصَّقٌ ، وَنَعَمٌ ، وَلَا ، وَعَقْلٌ ، وَغُفْلٌ ، وَافْعَلٌ ، وَلَا تَفْعَلُ ١٠ هـ الْمَيْسِرُ وَالْقِدَاحُ لِابْنِ
قَتِيْبَةِ الدِّينَوْرِيِّ .

كانت لعبد المطلب وحده سقاية زمزم للحجاج لا ينازعه في مائها
أحدٌ من قومه من قريش .

وكان عبد المطلب قد نذر حين أمر بحفر زمزم لئن حفرها وتم
له أمرها وتتام له من الولد عشرة ذكور ليذبحنَّ أحدهم عند
الكعبة . فولد له عشرة أولاد ذكور كان آخرهم جميعاً عبدُ
الله «١» .

فصبر عبد المطلب حتى بلغوا مبلغ الرجال ، ثم دعاهم إلى
الوفاء بنذره ، فلبوا طائعين .

ولجأ إلى القرعة ، فخرجت على عبد الله .
فأعادها مرة ومرتين ، وفي كل مرة كانت تخرج على عبد
الله ، فقام إليه ليدبحه ، وامتلأ الولد لأمر أبيه ، ولكن قريشاً كلها
تهبُّ لمنع هذا الحدث من الوقوع وعلى رأسها المغيرة بن عبد الله
المخزومي وهو يومئذ من كبار رجالات قريش وعظمائها .

وصاح المغيرة في عبد المطلب :

— والله لا تذبحه أبداً حتى تُعذرَ فيه ، فانك إن تفعل تكن
سنةً علينا في أولادنا وسنةً علينا في العرب جميعاً ، ولا يزال الرجل

(١) كان آخرهم جميعاً عبد الله : هكذا يقول أهل السير ، ورده السهيلي ، لأن
حمزة أصغر منه ، والعباس أصغر من حمزة ، فلهذا كان أصغرهم حين أراد التحر .

يأتى بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟
وتشاورت قريش في الأمر واستقر رأيها على استشارة
(قُطَيْبَةُ بِنْتِ سَجَاح) « ١ » العَرَّافَةَ على طريق خَيْبَرَ « ٢ » ، فإن
أمرت بذبحه ٠٠ نبحوه ، وإن أمرت بالفداء فَنَوَّهْ بِأَمْوَالِهِمْ
جميعها - ونزل عبد المطلب على رأى القوم وانطلقوا بالولد على
طريق خَيْبَرَ « ٢ » .

وتستقبلهم العَرَّافَةُ متسائلة عن سبب حضورهم إليها !
فيقول المُقَرَّة :

- إِنَّا الْيَوْمَ فِي مِحْنَةٍ وَقَدْ تَرَكْنَا الْأَهْلَ فِي مَكَّةَ قُلُوبًا وَاجْفَةً
وَأَنْفُسًا وَالْهَاتِ بَعْدَ أَنْ وَقَعَتِ الْقِرْعَةُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ لِيَذْبَحَ
فِدَاءً لِنَذِيرٍ قَدْ نَذَرَهُ أَبُوهُ عِنْدَ الْكَعْبَةِ مِنْ سِنَوَاتٍ ٠٠ وَقَدْ جُنَّائِكَ
طَامَعِينَ فِي إِنْقَازِ الْوَلَدِ بِفِدْيَةٍ مِنَ الْمَالِ أَوْ الْإِبِلِ .

وهنا اندفع عبد المطلب يقول لها :
- وَلَئِنْ أَنْقَذْتَهُ فَسَوْفَ يَكُونُ لَكَ الْمَكَافَأَةُ الَّتِي تَبْغِيْنَهَا .
وتنظر إليهم قُطَيْبَةُ في دهشة ثم تقول :
- أَتَعْرِفُونَ أَنَّ هَذَا الْوَلَدَ سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ جَدًّا ٠٠

(١) قُطَيْبَةُ بِنْتُ سَجَاح : قال السهيلي : اسمها قُطَيْبَةُ في كتاب الغوامض ، واسمها
سَجَاح في رواية ابن إسحاق : ١ هـ ج ١ - ص ١٠٢ .

(٢) خَيْبَرَ : هي على طريق الشام ، سميت لجهنم فيها يقال لها : خَيْبَرَ ١٠ هـ .

وأنه يحمل أمانة كبرى .. وسوف تعلمون في يوم من الأيام قيمة ما يحمل .

ويحاول القوم معرفة نوع هذه الأمانة التي يحملها الولد ، ولكن قُطْبَةَ ترفض أن تفيدهم بشيءٍ وتقول :

— دعوني .. لا تسألوني عن شيءٍ الآن .. ارجعوا عنى اليوم حتى يأتيني تابعى "١" فأسأله .

ويمضى القوم إلى ديارهم على أن يعودوا إليها في الغد ، وتتفرد قُطْبَةُ بتابعها الذى يقول لها :

— دعهم يذبحوه ولا تحاولي إنقاذه .
فترد عليه قُطْبَةُ وقد عَقَدَتْ حَاجِبِيهَا دهشةً وتعجباً من قوله :

— كيف وهو يحمل أظهر بذرة عرفتها البشرية .. يحمل نور محمد سيد الخلق أجمعين .
فيقول لها التابع :

— إن في نبحه القضاء على هذه البذرة .. على النور الذى يحمله آيتها الغيبية الحقاء .

فتقهقه قُطْبَةُ ساخرةً منه وتقول :

— بل أنت الأحق والغيبى .. أتتصور أيها الجاهل أن الله

(١) .. تابعى : تقصد الجنى الذى يأتينا ١٠ هـ .

يضع النور في صلب هذا الغلام لينقله إلى ولده الذي قدر له أن يكون رسولا نبياً - ثم تستطيع قوة على الأرض أن تنجح الغلام ما يقدره الله سبحانه وتعالى لا يملك أحد من الخلق أن يغيره .
وَيَصْمُتُ التَّابِعُ مَرْغَمًا أَمَامَ قَوْلِهَا ۞ وَيَذْهَبُ نَلَكُ النَّهَارِ وَيَحِلُّ بَعْدَهُ الْبُغْدُ وَيَعُودُ الْقَوْمُ إِلَى قُطْبَةِ وَكَلَهُمْ لَهْفَةً عَلَى مَعْرِفَةِ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ فِي قِصَّةِ وَلَدِهِمْ ۞ فَتَقُولُ لَهُمْ :
- كم الدية فيكم ؟

فيقولون :

- عشرة من الإبل .

فيشرق وجه قُطْبَةَ بِالْفَرْحِ وَتَقُولُ :

- حسناً ۞ ارجعوا إلى دياركم فاقربوا غلامكم وقربوا عشرة من الإبل ثم اضربوا عليها بالقداح ۞ فإن خرجت على الغلام زيدها عشرة فعشرة حتى يُقْبَلَ الْفِدَاءُ وَاعْلَمُوا أَنَّ غلامكم هذا يحمل في صلبه أطهر وأعظم نطفة لأطهر وأعظم بشر .
ويدهش القوم ويتساءلون عن معنى هذا القول الأخير ۞
فتجيبهم :

- هذا هو الحق الذي سوف تثبته لكم الأيام ۞ فانظروا مطلع فجر حياة جديدة على جزيرتكم ۞ بل على العالم أجمع ۞
فَعَمَّا قَرِيبَ يَشْرِقُ عَلَيْكُمْ نُورٌ دِينَ جَدِيدٍ لَا يَلِيْثُ أَنْ يَنْتَشِرَ فِعْمُ الْعَالَمِ

كله ويكون بداية هداية جديدة للناس وأساساً للعدل والخُق
والسلام بين البشر .

وتزداد دهشة القوم ويحاولون الاستزادة من معلوماتها
ولكنها لاتستجيب لهم وتقول لعبد المطلب :

— اذهب أنت ومن معك واحرص على هذا الغلام حرصك على
مقتلتك . . بل على حياتك . . أما أنا فقد أدت واجبي وأنهيت
أعمالي في هذه الدنيا ولست أبالي مايكون من أمر أجبار اليهود معي
بعد أن عرفت الحق وآمنت به « ١ » .

ورجع عبد المطلب ومن معه إلى مكة ودخلوا البيت الحرام
واقترعوا على الغلام وعلى عشر من الإبل ، فخرجت القرعة على عبد
الله . . فزادوا عليها حتى بلغت المائة ، فخرجت على الإبل . .
وهنا هَلَّتْ قريش وكَبَّرت وطلبت من عبد المطلب أن ينحر الإبل على
الفور ، ولكنه رفض أن يفعل إلا بعد أن يتأكد من الأمر وَاَعاد
القرعة مرات ومرات ، وفي كل مرة كانت تخرج على الإبل « ٢ » .

(١) . . وآمنت به : نكر التورى في شرح صحيح مسلم : أن الكهانة في العرب ثلاثة
أضرب : أحدها : أن يكون للانسان رُئى من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من
السماء ، وهذا القسم بطل من حين بعث — صلى الله عليه وسلم .
الثانى : يخبره بما يطرا ويكون في أقطار الأرض ، وهذا لا يبعد وجوده ، لكنهم
يصنعون ويكذبون ، والنهى عن تصديقهم عام .

الثالث : المنجمون وقد أكذبهم الشرع ونهى عن تصديقهم وإتيانهم ١٠ هـ .

(٢) نكر الأصبيهانى : أن أبا سيارة هو أول من جعل الدية مائة من الإبل .

وفي البروض جـ ١ ص ١٠٣ « أول من ودى بالإبل من العرب زيد بن بكر بن هوازن »
ولم يذكره السعكوتارى في الأوائل ص ١٠٨ ١٠ هـ .

وهنا اطمأن قلب عبد المطلب ، فقام ينحر الإبل في بطون
الأودية والشعاب وعلى رؤوس الجبال . . لم يصد عنها إنسان ولا
طائر ولا وحش . . ولم يأكل منها هو ولا أحد من ولده .
فكانت تلك أول دية بلغت المائة من الإبل ، ثم جاء الإسلام
فثبتت الدية عليها .

وبعد أن انتهى عبد المطلب من نحر الإبل أخذ بيد ولده عبد
الله وسارا حتى وصلا وهب بن عبد مناف - وهو يومئذ سيد بني
زُهرة نسباً وشرقاً - فخطب ابنته آمنة لولده عبد الله .
وبدأت الأُسران تستعدان للزفاف .

وبلغت قصة افتداء عبد الله بمائة من الإبل وقصة الأمانة
التي يحملها إلى أهل مكة جميعاً . فحدثت أمور هي أقرب إلى
الخيال منها إلى الواقع . . فقد خرجت جميلات الأُسُر الكبيرة من
خبورهن واعترضن طريق عبد الله وراحت كل واحدة منهن تُغريه
بالزواج منها . .

وتروى الكثير من القصص عن بنت نوفل بن أسد بن عبد
العزى بن قصي - أنها قالت له :

- على مثل الإبل التي نُحررت عنك اليوم إن قبلت الزواج مني
الساعة . .

وعن فاطمة بنت مُر - وكانت من أجمل النساء وأعفهن -

وقد عرضت عليه كل مالها ومال أهلها .

وعن ليلي العنويّة التي اعترضت سبيلهُ هي الأخرى وحاولت معه جهد الطاقة . . . فرفض . . . فراحت صديقاتها يَلْمُنَّها على هذا التصرف منها ، فقالت لهن :

– التَمَسَنَّ العذر لى . . . فما رأيت مثله وسامة وسيحراً . . .
إن في وجهه نوراً ما عرفته في أحد من قبل . . . وما سمعت عن فتى أَقْتَدَى قبله بمائةٍ من الإبل .

حقاً إن التاريخ يعيد نفسه . . . بالأمس البعيد أمر إبراهيم عليه السلام بنبح ولده إسماعيل عليه السلام ثم أنقذه الله من الذبح بكبش عظيم – وأبقى عليه ليقوم بدوره الضخم الذي أعدّ له على الأرض – واليوم يهّم عبد المطلب بنبح ولده عبد الله ، ثم يقتديه بمائةٍ من الإبل ويبقى عليه ليقوم بدوره العظيم الذي أعدّ له أيضاً على الأرض .

حقاً ما أقرب الشّبه بين الأمس واليوم . . . وحقاً ما أقرب الشّبه بين النّبيّين ” (١) “ .

(١) بين النّبيّين – وفي الحديث انه قال انا ابن النّبيّين ودعوة ابراهيم .

وَيْتَرْتَعِيدُ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ

وتمضى بنا قافلة الزمان في سيرها إلى الأمام . . فنرى عبد الله وقد ترك عروسه بعد أيام من الزواج وسافر مع القافلة المتجهة إلى الشام في غير قريش - في تلك الرحلة التي لم يعد منها - ونرى أمنة تَضَعُ وليدها يتيماً فيكفله جده عبد المطلب ويسعد به ويسعد الناس معه بهذا الغلام الذي صادف مقدمه يوم هزيمة الأشرم على نحو ما ذكرنا سابقاً .

ويموت عبد المطلب فيكفله عمه أبو طالب . وَيَكْبُرُ الوليد وَيَنْزُجُ من الصِّبَا إلى الشباب ويتميز بصفات لم يعرفها الناس من قبل في صبيٍّ أو شابٍّ . . صفاتٍ خُلُقِيَّةٍ سامية تجعلهم يطلقون عليه لقبَ : الصادق الأمين . .

ونرى محمداً لا يتعامل مع الأصنام كما يتعامل الناس . ولا يسجد لها أو يحفل بها ، وإنما يتجه إلى الكعبة فيطوف بها مَعْظَمًا مُكْرِّمًا كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وتتوالى السنوات وتحترق الكعبة بشرارة طارت من جَمْرَةٍ امرأةٍ جاءت تعطرها بالمِسْكِ والعُودِ "١" . . وَتُمْسِكُ النارُ أولَ

- (١) ظاهر عبارة السهيلي : أن قصة هذه المرأة حدثت زمن ابن الزبير ، أما التجميع فكان من زمن الجاهلية ١٠ هـ .

ماتمسك بكسوة الكعبة ثم تمتد منها إلى الأخشاب فتحترق هي الأخرى وتتصدع الجدران بفعل الحريق ثم يتداعى بعضها بسبب مداهمة السيل الذى أحدث فيها تصدعاً .

وتقف قريش بعد الحريق حائرة لاتدرى ماذا تفعل ولا كيف تتصرف ، ويدور النقاش طويلاً حاراً بين رجالاتها . . . وينقسم الناس إلى فريقين - فريق يقول بضرورة هدم الكعبة وإعادة بنائها ويقف على رأسه الوليد بن المغيرة ، وفريق يقول بعدم هدمها ويقف على رأسه أبو وهب بن عمرو (١) . . . وتمر الأيام وقريش فى خلافها الذى يزداد ويشتد يوماً بعد يوم . . .

وكأنما أراد الله سبحانه وتعالى أن يحسم هذا الخلاف وأن ينقذ الكعبة من تلك الحال الذى وصلت إليه بسبب الحريق . . . فأرسل إليها سيلاً جارفاً يحمل كميات ضخمة من الردم الذى بأعلى مكة .

وتمتلئ الساحة من حول الكعبة بهذا الردم ويرتفع الماء فيصل إلى ثلاثة أرباع البناء فيتصدع ما بقى من الجدران سليماً . . . ويجمع الوليد بن المغيرة رجال قريش ويدور النقاش :
الوليد : ما رأيكم وما قولكم وقد أتى السيل على ما كان

(١) . . . ابن عمرو : هو خال أبى رسول الله ، وكان شريفاً ، وكان يهاب هدم الكعبة ، يقال : إنه أخذ حجراً منها ، فوثب من يده إلى موضعه ١٠ هـ .

متماسكاً بعد الحريق من جدران الكعبة ؟

أبو وهب : نحن لانمانع في إعادة بناء الكعبة يابن المغيرة ،
ولكن البناء لابد أن يسبقه الهدم ، ونحن نتهيب أن نهدم بيت
الله .

أبو حذيفة : ولاتنس هذه الحية الضخمة التي لا يستطيع
أحد أن يقترب منها :

أبو وهب : نعم يابن المغيرة .. هذه الحية لابد من عمل
حساب لها .. فما من أحد يقترب منها إلا أحرّالت^(١) وكشّست
وفتحت فاما تريد ابتلاعه .

ويرفع الوليد رأسه إلى السماء ويهتف :
— اللهم إن كان لك في هدم الكعبة رضا فآتّمه واشغل عنا
هذه الحية .

وبينما رجال قريش في نقاشهم الحائر يتقافهم الخوف
والرهبة ويدفعهم الأمل والرغبة في إنقاذ الكعبة من حالها .. إذ
بشرّ ضخم ينقضّ على الحية ويدور صراع رهيب بينهما ينتهى بأن
يحملها بين مخالبه وينطلق إلى السماء فيرتفع الهتاف والتهليل ..
ويصيح ابن الوليد :

(١) أحرّالت : أي رفعت ذنبها ، وكانت هذه الحية بيضاء البطن ، سوداء المتن . لها
رأس كراس الجدى ، بقيت في بئر الكعبة خمسمائة عام ١٠ هـ .

— ها قد تخلصنا من الحيّة وأنقذنا الله من خطرهما ولم يعد
لدينا ما يمنعنا من تنفيذ ماسبق وأشرت به .
فيوافق الجميع على رأى الوليد ويأخذون فى دراسة كيفية
الهدم والبناء وتكاليفها. «١» .
ويدخل إلى الحرم من يبلغهم أن سفينة كبيرة قد رمى بها
البحر إلى شاطئ جدة فتحطمت ، وأن صاحبها الرومى — وهو
تاجر يريد أن يبيع أخشاب سفينته .
ويجد القوم فى هذه الأخشاب ما هم محتاجون إليه لكى
يعينوا بناء الكعبة . . . فيستقدمون الرجل ويتفقون معه على شراء
الأخشاب وكان بمكة رجل قبلى نجار تهيأ لهم أن يستفيدوا بما له
من خبرة فى البناء والتجارة .
وعلى الفور يبدأ الاستعداد لعملية الهدم والبناء ويجتهد
الوليد فى ذلك أيما اجتهد . ولكن الكثيرين من وجهاء قريش
وكبارهم ظلوا خائفين مترددين . . . فجمعهم الوليد وسألهم : لماذا
الخوف والتردد . فأجابوه :
— نحن نهاب هدم بيت الله ! .
فصاح فيهم :

(١) . . . وتكاليفها : صح أن قصيا جدد بناء الكعبة بعد إبراهيم والعمالق وجرحهم .

— يا قوم ٠٠ هل تريدون بهدمها الإصلاح أم الإساءة ؟
فأجابه أبو حذيفة :

— إنما نريد الإصلاح ولا شيء غيره .
فقال الوليد :

— إن الله لا يهلك المصلحين ٠٠ فهي ارفعوا معاولكم ولنبداً
الهدم والعمارة ولا تدخلوا في عمارتها إلا من طيب أموالكم ٠٠ ولا
تدخلوا مالاً من ربا ولا مال ميسر ولا مهر بغي ، وجنبوها الخبيث
من أموالكم ، ولا تظلموا فيه أحداً من الناس فإن الله لا يقبل إلا
طيباً « ١ » .

وهنا يتساءل أبو وهب :

— ومن الذي يعلوها فيبدأ الهدم ؟

فيجيبه الوليد :

— أنا لها ٠٠ سوف أبدأ أنا الهدم وأنا شيخ كبير فاني ٠٠
فإن أصابني أمر كان آجلاً قد دنا ٠٠ وإن كان غير هذا فإني
أحمد الله على الحالين ٠٠ أين المعول ؟

فيقدم له أحدهم معولاً فيمسك به وهو يردد :

(١) ٠٠ إلا طيباً : وذكر السهيلي : أن الوليد نحل هذا الكلام ، وإنما قاله أبو

وهب . ج ١ ص ١٢٧ هـ .

– اللهم لم نَزَعْ «١» ٠٠ اللهم لا نريد إلا الخير :

ويتقدم من الكعبة ويصعد إلى سطحها ويبدأ يضرب
أحجارها بالمِقْوَل ٠ والقلوب من حوله واجفة خائفة تتوقع أن
يُصاب هو ويصابوا هم بسوء ٠ ولكن شيئاً لا يحدث للوليد ٠ ولا
يحدث لهم ٠ ومع ذلك فإنهم يبقون على خوفهم ويقررون الانتظار
ليلتهم ، ليروا ما يكون من أمر الوليد وأمرهم ٠

وتسهر قريش كلها تلك الليلة خائفة ترتعد وتتوقع الشر ينزل
بالوليد وبهم ويصبح الوليد غادياً إلى بقية الهدم لم يمسسه سوء
فيسرعون جميعاً خلفه بالمعاول ويفعلون مثل ما يفعل ٠٠
وتنتهى معاولهم إلى حجارة صماء ضخمة على شكل أسنمة
الجمال ثابتة في الأرض ، لا تتأثر بأقوى المعاول في يد أقوى
الرجال ٠ وتأخذهم الدهشة من أمر هذه الأحجار ويروحون
يتسألون عن كنهها ؟ فيجيبهم الوليد :

– هذه هي القواعد التي أمر الله سبحانه وتعالى نبيه
إبراهيم عليه السلام برفعها ٠
فيقول أبو وهب :

– دون شك يابن المغيرة ، وإنها لحجارة غريبة ليست من

(١) ٠٠ لم نزع – وغالب الروايات « لم ترع » وهي كلمة تقال عند التسكين
والثاني ١٠ هـ ٠

أرضنا ٠٠ فلم نر مثلها من قبل .
وهنا يقول أبو حذيفة وهو يتأملها متفحصاً لونها الأخضر :
— ولم لا نحاول هدمها لنرى ما تحتها ؟
فيوافقه الجميع ويتحمس الشبان للأمر مدفوعين بحب
الاستطلاع ٠٠ ويبدأون في ضرب الأحجار بمعاولهم ضربات
مجتمعة ٠٠ ولكن المعاول تتحطم دون أن تتأثر .
فيصيح الوليد :

— اضربوها بالعتلة (١) أو ضعوا العتلة بين اثنين منها ثم
حاولوا التفريق بينهما فقد يتحركان ويظهر لنا ما تحتها ؟
ويستمع الشباب لقوله ويمسك البعض منهم بالعتلة
ويضعونها بين حجرين ثم يحاولون زحزحتها ٠٠ وفجأة يترق في
المكان ضوء يخطف الأبصار ٠٠ فيتراجعون في فزع وهم
يتساءلون عن هذا الضوء ومصدره ؟ وقبل أن يأتيهم الجواب
تنقلت من أحد الأحجار قطعة صغيرة وتستقر على الأرض ٠٠
فيسرع إليها أبو وهب ويمسك بها ليفحصها ولكنها تطير من يده
وتعود إلى مكانها في الحجر مثل ما كانت ، قبل أن يتمكن من
ذلك .

(١) العتلة : حديدة كانها رأس فأس ، ١٠ هـ .

وينظر بعضهم إلى بعض في ذهول ولا يلبث ذهولهم أن يتضاعف
ويتضاعف عندما ترتجف الأرض من تحت أقدامهم وتهتز مكة كلها
بفعل زلزالٍ قوِيٍّ يَرَجُّهَا رَجًّا عَنِيفًا قَاسِيًا !!

وهنا يتراجع الجميع عن مسّ هذه الأحجار بسوءٍ بل يبدؤون
في البناء على الفور بعد أن أخرجوا كافة كنوز الكعبة من داخلها
وجعلوها في بيت أبي طلحة عبد الله بن عبد العزّي . . كما أخرجوا
صنمَ هُبَلٍ «١» أيضاً ووضعوه مع بقية الأصنام بالساحة .
وتروح القبائل تتنافس في جمع الأحجار من كل مكان للبناء
ولكنهم يختلفون في بناءٍ مقدم البيت . ويشتد الخلاف بينهم
كالعادة . فيقول أبو أمية بن المغيرة :

— يا معشر قريش لا تنافسوا ولا تباغضوا فيطمع فيكم
غيركم ولكن جَرِّبُوا البيت أربعة أجزاءٍ ثم رَبِّعُوا القبائل فلتكن
أرباعاً ثم اقْتَرِعُوا عند هُبَلٍ .

وأجذت قريش بقول أبي أمية . . ويتم الاقتراع عند هُبَلٍ
بالساحة فيظهر قُدْحُ بنى عبد منافٍ وبنى زُهْرَةَ على الوجه الذي فيه
البابُ وهو الشَّقُّ الشَّرْقِيُّ .

(١) صنم هبل : هو هبل خزيمية ، لأنه نصبه ، وكان اعظم الاصنام في جوف
الكعبة ، وكان من عقيق احمر على صورة إنسان ادركته قريش ويده مكسورة ، فجعلوا له يدا
من ذهب ، ا هـ اصنام الكلبى ص ٣٧ .

ويطير قِدْحُ بنى عبد الدار وبنى أسد بن عبد العزى وبنى
 عدئ على الشَّقُّ الذى يلى الحَجَرَ وهو الشَّقُّ الشامى .
 ويطير قِدْحُ بنى سَهْم وبنى جُمَح وبنى عامر بن لؤى على ظهر
 الكعبة وهو الشَّقُّ الغربى .
 ويطير قِدْحُ تَيْم وبنى مخزوم على الشَّقِّ اليمانى .
 ويأمرن بالحجارة أن تجمع بين منطقة آجباد والضواحي
 فتسرع القبائل تنقل الحجارة تبركاً . . ويشترك محمد بن عبد الله
 صلى الله عليه وسلم فى نقل الأحجار وهو ابن خمسة وثلاثين
 عاماً « ١ » .

قال العباس :

رقابنا وأزُرنا تحت الحجارة
 فإذا غشينَا الناس ائْتَرْنَا - فبينَا أنا أمشى ومحمد قدامى ليس
 عليه شىءٌ فخرٌ فانبطح على وجهه فجئتُ أسعى وألقىْتُ حجرى وهو
 ينظر إلى السماء فقلت : ما شأنك ؟ فقام فأخذ إزاره ثم قال :
 (نَهَيْتُ أَنْ أَمْشَى عُرْيَانًا) .

وبينما قريش تبنى وتجتهد فى البناء وكل القبائل ممثلة فى
 المجموعة التى تبنى جاءهم أبو حذيفة وصاح فيهم :

(١) . . فى تحديد السنين خلاف بين المؤرخين ١٠ هـ .

– ارفعوا باب الكعبة عن الأرض واكبسوها حتى لا تدخلها السيول ولا ترقى إلا بسلم ولا يدخلها إلا من أريتم . وإن جاء واحد ممن تكرهون رميت به فيسقط ويكون نكالا لمن رآه . فاستحسن الجميع رأيه ونفذوا ما أشار به عليهم وبنوا سافاً^١ من حجارة وسافاً من خشب حتى انتهوا إلى موضع الحجر الأسود فعادوا إلى الخلاف من جديد واشتد بينهم نك الخلاف واحتدم .

وقال بنو عبد مناف :

– هو في الشق الذي وقع لنا ونحن أولى به من غيرنا . . . وقالت تيم ومخزوم : بل نحن أحق من الجميع بوضعه . وأصرّت كل قبيلة على أن تستأثر بشرف رفع الحجر الأسود إلى مكانه من جسد الكعبة . . . واشتعلت الخصومة وتطايّر الشر ينذر باقتراب حرب طاحنة تأكل الأخضر واليابس . وبقيت قريش أربع ليال والخطر يتهدّدُها ، وراح الكل يستعد ويعد العدة للقضاء على الآخر ، وحاول العقلاء والكبار من رجالات قريش أن يحسموا الأمر قائلين : إن رفع الحجر لم يكن ضمن الاقتراع وأنه يمكن الاقتراع عليه من جديد .

(١) سافاً : الساف ، كل عرق من الحائط . هـ .

ولكن محاولاتهم كلها راحت عبثاً ٠٠ إذ استمر الخلاف
واستحكم وبلغ أشده وجاءت بنو عبد الدار بجفنة مليئة بالدماء
وصاح كبيرهم :

— يا بني عبد الدار ٠٠ هذه جفنتنا قد امتلأت بالدماء ٠٠
فتعالوا واغمسوا أيديكم فيها ولنتعاقد على الموت إن فاتنا شرف
وضيع الحجر الأسود مكانه .
وجاء بنو عبد مناف وقالوا :

— لن يفوتنا هذا الشرف ٠٠ الموت لنا إن فاتنا ٠٠
وصاح بنو أسد :

— ونحن بنو أسد ومعنا بنو عدى نعلن أن هذا الشرف لن
يستأثر به غيرنا إلا بعد أن نكون قد أصبحنا طعاماً تهضمه بطون
الوحوش في الجبال .

وهنا تقدم منهم أبو جذيفة «١» وصاح فيهم :
— كفى ٠٠ كفى يا معشر قريش لقد أردنا البر ولم نريد
الشر ٠٠ فلا تحاسدوا ولا تنافسوا ٠٠ فإن فعلتم تشتتت
أموركم وطمع فيكم غيركم ٠٠ حكّموا بينكم أول من يدخل من هذا

(١) أبو جذيفة — في سيرة ابن إسحق: إن أبا أمية ابن المغيرة المخزومي هو الذي
حكم بهذا ، وكان عاملاً أسن قريش كلها ١٠ هـ .

الباب ٠٠ يَفْصِلُ فِي خِلَافِكُمْ !

فوافقت القبائل كلها على ذلك وتعلقت أعينهم بالبواب الذي أشار إليه أبو حذيفة ٠٠ تتربد الداخل المجهول ليحكم بينهم وَيَفْضُ خِلَافَهُمْ ٠٠

وإنهم لذلك إذ يدخل محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ٠٠ فهتفوا جميعاً :

- هذا الأمين ٠٠ هذا محمد بن عبد الله الهاشمي ٠٠ قد رضينا بحكمه ٠

وَأَقْبَلُوا جَمِيعاً عَلَيْهِ وَشَرَحُوا لَهُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ فَطَلَبَ ثَوْباً ثُمَّ وَضَعَ الْحَجَرَ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(لِيَأْتِيَ مِنْ كُلِّ رُبْعٍ مِنْ أَرْيَاحٍ قَرِيشٌ رَجُلٌ) ٠

فكان في رُبْعٍ عَبْدُ مَنْفَعِ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وفي الرُّبْعِ الثَّانِي أَبُو

زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وفي الرُّبْعِ الثَّالِثِ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ ٠٠ وفي الرُّبْعِ

الرَّابِعِ أَبُو حَذِيفَةَ بْنُ الْمَغِيرَةِ نَفْسَهُ ٠

ثم قال صلى الله عليه وسلم (لِيَأْخُذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِزَاوِيَةٍ مِنْ

زَوَايَا الثُّوبِ ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعاً) ٠

ثم ارتقى النبي صلى الله عليه وسلم على الجَدْرِ ورفَعَ الْقَوْمَ لَهُ

الرُّكْنَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا مَوْضِعَهُ وَضَعَهُ بِيَدِهِ الْكَرِيمَةِ فِي مَكَانِهِ ٠

وهكذا حُلَّتِ المشكلة العويصة وحُقِنَتْ دماءُ قريش
واستمرت قريش في البناءِ حتى النهاية ، وهذا سألهم
النجار القبطى :

— هل تريدون أَنْ تجعلوا له سقفاً أم تتركونه بلا سقف ، ؟
فقالوا :

— بل اجعل لبيت ربنا سطحاً •

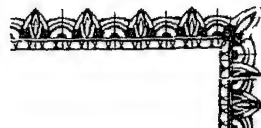
فجعل القبطى للكعبة سطحاً وجعل لها ميزاباً ثم جعل لها
من الداخل أدراجاً من الخشب وَزَيَّنَ سقْفها وجدرانها بمجموعة
من الصُّور والرسومات •• كانت في مقدمتها صورةُ إبراهيم عليه
السلام كما تَخَيَّلَهُ • وصُورُ الملائكة • وصورةُ لِرَيْمَ وابْنِها عيسى
في حِجْرِها • وكل هذه الصور تَحْمِلُ الطابعَ المَسِيحِيَّ ، وكان من
الطبيعى أَنْ تكون كذلك •• فالرجل كان مسيحياً على دين عيسى
ابن مريم •

وقد بقيت هذه الصور والرسومات والأصنام التى كانت
خارج وداخل الكعبةِ إِلَى أَنْ انبثق نور الحق وجاءَ الإسلام « ١ » •

(١) وجاء الإسلام : في صحيح البخارى ، وتاريخ الأزرقي ، وكتب السيرة : أن
رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نزل البيت يوم الفتح . فرأى فيه صور
الملائكة •• ورأى إبراهيم — عليه السلام — مصوراً في يده الأزام يستقسم بها •
فقال : قاتلهم الله جعلوا شيخنا يستقسم بالأزام ، ماشان إبراهيم والأزام • ما كان
إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين ، ٣ : ٦٧
ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست ١٠ هـ •



ظهور الاسلام



وتمضى بنا قافلة الزمان لنرى فصلا من أعظم وأروع فصول
هذه القصة ٠٠ قصة الكعبة المشرفة ٠٠ نراها وقد أشرق فجر
الإسلام في ليلة القدر ، وخرج محمد بن عبد الله صلى الله عليه
وسلم من غار حراء^(١) بالكلمة الأولى التى تلقاها من ربه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأُ
وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ
٩٦ : ١ - ٥ « . (صدق الله العظيم)

وبدأ مع نور الإسلام فجر حياة جديدة للإنسانية كلها .
وتطهرت الكعبة من الأوثان وكل ما كان يداخلها أو خارجها من
تلك الأصنام التى كانوا ينحتونها بأيديهم فى الصخر أو يصنعونها
من الخشب ثم يسجدون لها من دون الله .

ويقال إن أول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل عليه
السلام أنه كان لا يخرج من مكة أحد من أهلها أو من زوارها
الوافدين إلا حمل معه بعضاً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم
والكعبة .

(١) غار حراء : جبل من جبال مكة ، كان يتعبد فيه رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - وهناك نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي ١٠ هـ .

وكان الواحد منهم أينما وجد يضع الحجر ثم يطوف به كما يطوف بالكعبة ، ثم أخذوا يتخيرون الأصنام في الحجم والشكل ومع الأيام نسوا دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وعبدوا الأوثان . وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات والخرافات ، وأصبح لكل قبيلة صنمها الخاص بالكعبة .

وكان هَبْلُ أَكْبَرَ أَصْنَام قريش من العقيق التائر على صورة إنسان ، ولما كُسرَتْ يده اليمنى صنعت قريش له يدًا من ذهب . وكان يقف على البئر في بطن الكعبة وإلى جواره خزانة للقرابين الخاصة به .

ولما طغت جرهم ويغت وأحدثت في الكعبة ما أحدثت دخل رجل منهم هو إساف بن يغاء وامرأة منهم أيضًا هي نائلة بنتُ ثعلبة^(١) إلى الكعبة وفسقا بها فمسخهما الله حجرين ، فأخرجنا

من الكعبة وتصب أحدهما على الصفا ، والآخر على المروة ليعتبر بهما الناس ، فلم يزل الأمر يترس ويتقادم حتى كانا يتمسح بهما من يقف على الصفا والمروة . ثم صاروا وثنيين يُعبدان . . . ولما ارتفعت قيمتهما في أعين الناس بسبب الجهل

(١) نائلة بنت ثعلب: هما إساف بن يعلى ، ونائلة بنت زيد من جرهم ، أقبلًا حجاجا من اليمن ففجرا بالبيت فمسخهما الله ، وعبدتهما خراعة وقريش . وفي بعض المراجع إساف بن يغى ، وإساف بن عمرو ، ونائلة بنت ديك ، ونائلة بنت سهيل . ١٠ هـ

نقلهما عَمْرُو بن لُحَيٍّ فَجَعَلَ أَحَدَهُمَا بِجِوَارِ الكَعْبَةِ والثَّانِي عِنْدَ بئرِ
زَمْزَمَ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِمَا •

فَكَانَ الْحَاجُّ إِذَا طَافَ بِالْبَيْتِ يَبْدَأُ بِإِسَافٍ فَيَسْتَلِمُهُ ، فَإِذَا
فَرَغَ مِنْ طَوَافِهِ خَتَمَ بِنَائِلَةٍ فَاسْتَلَمَهَا •

حَتَّى جَاءَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْكَعْبَةَ وَبِهَا آنَ ذَاكَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا — وَكَانَ بِيَدِ الرَّسُولِ
الْكَرِيمِ قَضِيبٌ — فَكَانَ يُضْرِبُ بِهِ الْوَاحِدَ مِنْهَا وَهُوَ يَقُولُ :
(جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ١٧ :

(٨١)

قال ابن إسحق

— لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر يوم الفتح أمر
بالأصنام التي كانت بالكعبة وحولها فجمعت كلها ثم حطمت
وحرقت بالنار — وفي ذلك يقول الشاعر فضالة بن عُمَيْرٍ :

أَمَّا رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَجُنُودَهُ
بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكَسَّرَ الْأَصْنَامُ

وَرَأَيْتَ نَوْرَ اللَّهِ أَصْبَحَ بَيْنَنَا
وَالشُّرْكَ يَغْشَى وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ
وَيُحْكِي : أَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ يَصْنَعُ الْأَصْنَامَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثُمَّ

يبيعها في الأسواق - وكان أولاده يطوفون بها فيشتريها الناس ويذهبون بها إلى بيوتهم ٠٠ ولم يكن في مكة رجلٌ من قريش ليس في بيته صنم يمسحه إذا خرج من البيت وإذا دخل تبركاً به وتيمناً .
فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
المنادى أن يطوف بشوارع مكة منادياً .

- أيها الناس ٠٠ من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك في بيته صنماً إلا كسره وأحرقه ، واعلموا أن ثمنه حرام .
واندفع عكرمة بن أبي جهل بنفسه إلى كل بيت في مكة يعرف أن فيه صنماً فحطمه وأحرقه وهو يقول :
- لقد عانينا الكثير ٠٠ الكثير من هذه الأصنام ولا بد من

القضاء عليها القضاء المبرم .
وقيل : إن هنداً بنت عتبة كان لها صنم تعلق عليه فلأند الذهب وأساور الفضة وتصب عليه اللبن وتذبح له ٠٠ فلما أسلمت أمسكت معولاً وحطمته ، ورأتها إحدى صديقاتها تفعل
نلك فسألتها :

- لماذا تحطمينه اليوم ياهند وقد نصحتك بالأمس ألا
تعبيه فلم تأخذى بتصيحتى ؟
فأجابتها هند :

- كنت منه في غرور ٠٠ والحمد لله قد أسلمت اليوم
وانتهيت من كل ما كان بالماضي ٠
عن ابن عباس : أن رجلا ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف
يبيع السمن للحجاج إذا مروا به فَيَلْتُ سويقهم ٠٠ فمات الرجل ،
فسميت : صخرة اللَّات ، وحيكت حولها مع الأيام قصص
ونسجت روايات خرافية كثيرة «١» ٠
ويقال : إن الرجل لما مات وتفقده الناس قال لهم عمرو بن
ربيعة :

- إن ريكم كان اللَّات فدخل في جوف الصخرة ٠٠
ثم أمرهم بعبادتها وزين لهم ذلك ٠٠ فعبدوا اللَّات ٠
وكانت العُزَّى ثلاث شجرات سمراء بَنَخْلَة «٢» ، وكان أول
من دعا إلى عبادتها هو عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب بعد أن
أخبرهما عمرو بن لُحَيَّ بأن ربهما يَتَصَيَّفُ بِاللَّات لبرد الطائف
وَيَشْتَوِي بِالْعُزَّى لحرِّ تِهَامَة ٠

فعكف الناس على اللَّات والعُزَّى يعبدونها من دون الله

(١) ٠٠ خرافية كثيرة ٠ هدم اللَّات ، المغيرة ، وأبوسفيان ، فخرج النساء حسرا
يبكين عليها ، وكانت لثقيف ، ا هـ ٠
(٢) ٠٠ سمراء بَنَخْلَة : هي صنم ، أو سمرة عبادتها غطفان ، أول من اتخذها ظالم
ابن اسد فوق موضع يقال له ذات عرق ، بنى عليها بيتا ، سماء ٠ بسا ، فبعث إليها
الرسول خالد بن الوليد ، فهدم البيت وأحرق السمرة ، وهي نخلة الشامية ، على ليلتين من
مكة ١٠ هـ ٠

سبحانه وتعالى ٠٠ وكانوا إذا فرغوا من الحج والطواف بالكعبة يطوفون باللات ثم بالعزى ويمضون عند كل منهما يوماً يحلون فيه وينحرون ٠

وكان لها سدنة يرتزقون من خلفها ٠٠ بل يجنون أرباحاً خيالية لا يتصورها العقل ٠٠ وكانوا يحجبونها عن الناس إذا لم يحتفلوا بها ويقيموا لها الطقوس ٠

عن أبي واقد الليثي - وهو الحارث بن مالك - قال :

(خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها : ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم وينبحون عندها ويعكفون يوماً ٠٠

فقلنا :

- يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط^١ كما لهم ذات

أنواط ٠

فقال لنا صلى الله عليه وسلم .

(الله أكبر ٠٠ الله أكبر ٠٠ قلتم - والذي نفس محمد

بيده - كما قال قوم موسى) ٠

(١) ذات أنواط : الأنواط . المعاليق . وسميت بذلك لتعليقهم عليها ما شاموا ،

والمعروف أن الأصنام جميعاً قد انتهت على اختلاف أنواعها وأصحابها يوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم السرايا في كل مكان . وأمرهم أن يُغيروا على كل من لم يكن على الإسلام ، وأن يهدموا كل صنم ويحطّموا كل وثنٍ ثم يحرقوه . فخرج فرسان المسلمين كل إلى ناحية حيث نفّذوا أمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم .

وخرج خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً من أصحابه إلى العُزَّى فهدمها ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له الرسول : (أَهْدَمْتَ ؟) فأجاب خالد بالإيجاب . فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : (هل رأيت شيئاً ؟) فأجاب خالد بالنفى . فقال له النبي : (فإنك لم تهدمها فارجع إليها فاهدّمها . فتعجب خالد للأمر واندفع في غيظٍ وحنقٍ إلى مكان العُزَّى وجرد سيفه وهو يصيح مهدياً . فخرجت إليه من داخل الشجرة امرأةٌ لحجوزٍ سوداء عارية ناشرةً شعرها تستغيث . فأسرع أحدُ السدنة إليها وهو يقول :

أَعَزَّى فَشُدِّي شَدَّةً لَا تُكْذِبِي
أَعَزَّى فَالْقِي ذَا الْقِنْبَاعِ وَشَمْرِي^(١)

(١) : وشمري - في كتاب الأصنام ص ٢٦ ←

أَعَزَّى لئن لم تَقْتُلِ اليومَ خالداً
فبؤىى بأثم عاجلٍ أو تنصرى

فرجع خالد بن الوليد سيفه وهو يقول :

كُفْرَانِكَ يَا عَزَّى لَا سُبْحَانَكَ
إِنِّى رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ

ثم ضربها بالسيف فجزَّلَهَا بِاثْنَتَيْنِ^(١) ثم رجع إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما رأى ، فقال النبى
الكریم :

(نَعَمْ تِلْكَ الْعَزَّى قَدْ آيَسَتْ أَنْ تُعَبِّدَ بِيْلَادَكُمْ أَبَدًا)

ثم قال خالد :

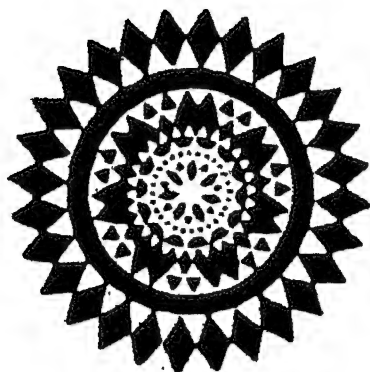
— يارسول الله الحمد لله الذى آكرمنا بك وأنقذنا بك من
الهلكة .. لقد كنت أرى أبى يأتى العَزَّى بخير ماله من الإبل
والغنم فيذبَحُهَا للعَزَّى ، ويقيم عندها ثلاثاً ثم ينصرف إلينا

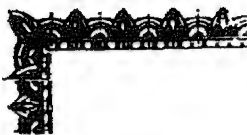
اعزاء شدى شدة لا تكنبى على خالد القى الخمار وشمرى
فإنك إن لا تقتل اليوم خالدا تبؤىى بذل عاجلا وتنصرى
وفى قول خالد « يا عز كفرانك لا سبحانك »
وكانت شيطانة تأتي إلى السموات الثلاث ، اهـ .

(١) باثنتين — وقتل سادنها ، وهو دبة الشيباني .

مسروراً • ونظرت إلى ما مات عليه أبى وإلى ذلك الرجل الذى كان
يغاش فى فضله وكيف خُدعَ حتى صار يذبح لما لا يسمع ولا يبصر
ولا يضر ولا ينفع •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(إن هذا الأمر إلى الله ، فمن يَسِّرْهُ إلى الهدى تيسَّر له ،
ومن يَسِّرْهُ للضلالة كان فيها) •





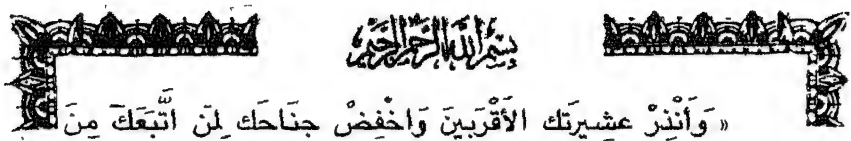
مَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ



وتمضى بنا قافلة الزمان لنعيش تلك الفصول المشرقة من
 قصة الكعبة المعظمة حيث نرى محمداً صلى الله عليه وسلم وهو
 يجاهد ويكافح من أجل إعلاء كلمة الله ونشر دينه القويم .
 ونرى عظماء مكة وكبار شخصياتها مجتمعين بالبيت
 الحرام وقد أخذتهم العزة بالباطل وأكلت الأحقاد أكبادهم
 يتناقشون في أمر محمد ويقولون قولاً عجيباً !!
 فهذا الوليد بن المغيرة المخزومي يقول :
 أيهبط الوحى على محمد وأترك أنا .. وأنا الوليد بن المغيرة
 كبير قريش وسيد أشرافها ؟ !

وهذا أمية بن أبى الصلت شاعر ثقيف وعظيمها يقول :
 - أيؤثر محمد بالنبوة وما عرفنا له مالا ممدوداً ولا ولدأ
 معدوداً ولا جاهأ مشهودأ ؟

ونترك هؤلاء وغيرهم من أهل قريش في حقدهم وحسدهم
 يعمهون ونتجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنجد أنه قد تلقى
 من ربه كلمات ..



« وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ » .

(صدق الله العظيم)

ونراه وقد أخذ طريقه إلى بيت الله الحرام حتى إذا وصل
الصفاء صعد عليه ونادى بأعلى صوته : (وَاصْبَاحَاهُ) فلما هُرِعَ
القوم إليه قال صلى الله عليه وسلم :

(أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا
الْجَبَلِ .. أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟) .

فيقولون : آهل .. آجل .. ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَطُّ .

فيقول صلى الله عليه وسلم : (فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ

شَدِيدٍ) .

ويرتفع صوت عمه عبد العزَّى « ١ » ساخرًا متهكمًا :

— تَبَّ لَكَ .. أَلْهَذَا جَمَعْتَنَا ؟ !

فلا يردُّ عليه الرسول الكريم ولا يحفل به ، فيندفع عبد
العزَّى بكل ما فيه من قوة الكفر والعداوة للإسلام والرغبة في إيذاء

(١) عبد العزَّى : هو أبو لهب ، أحد الأشراف الشجعان في الجاهلية ، ومن أشد
الناس عداوة للمسلمين ، وكان غنيا ، أحمر الوجه ، مات بعد وقعة بدر ، ولم يشهد لها
(تاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ٨٤) .

الرسول - يندفع في سخريته وتهكمه ويروح يكيل السبابَ والشتائم لابن أخيه .

وتتنزل الآيات الكريمة على الرسول الكريم صلى الله عليه

وسلم :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ ١١١ : ١ - ٥ » .
(صدق الله العظيم)

وتبلغ هذه الآيات الرهيبة أُمَّ جَمِيلٍ بِنْتَ حَرْبٍ زوجة عبد العزى (أبى لَهَبٍ) فَلَا تَتَّعِظُ وَلَا تَعْتَبِرُ وإنما يشتعل غيظها ويلتهب غضبها وتخرج إلى الكعبة تريد محمداً ، وفى يدها حجر ضخم تنوى أن تشج به رأسه الشريف .

وتدخل المرأة الحَقُودَ إلى الكعبة وتدور بعينيها بين الحاضرين تبحث عن رسول الله ، ولكن الله يُعْمِي بَصَرَهَا فلا تراه . ففتجه إلى أبى بكر الصديق تسأله .

- أين صاحبك ؟ لقد بلغنى أنه يهجونى والله لو وجدتته لضربت رأسه بهذا الفِهْزِ " ١ " . إنه إن يكن شاعراً يحسنُ القول

(١) الفهر : هو الحجر الذى يملأ الكف ، ١ هـ .

وَنَظَّمَ الْكَلَامَ ٠٠ فَأَنَا أَيْضًا شَاعِرَةٌ أَحْسَنُ الْقَوْلِ وَالنَّظْمِ .
ولا يرد عليها أبو بكر الصديق فتخرج من الكعبة لتبحث في
مكان آخر وهي تَرْتَجِزُ :

مُتَمِّمًا عَصِيْنَا «١»

وَأَمْرَهُ قَلِيلًا

وَدِينَهُ آتِينَا

وينظر الصديق رضى الله عنه إلى الرسول الكريم الجالس إلى
جواره يسأله في دهشة :

— يا رسول الله ٠٠ أما تراها رَأَتْكَ ؟

فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (مَا رَأَيْتُنِي ، لَقَدْ أَخَذَ
اللَّهُ بِبَصَرِهَا عَنِّي) ٠

ولما فشلت جميع المحاولات التي حاولها كفار قريش مع أبى
طالب عم النبي وباعث المفاوضات والمساومات بخيبة الأمل ٠٠
احتشدوا في ساحة الكعبة وأرسلوا في طلب محمد ليواجهوه
مجتمعين ٠٠ وحضر الرسول الكريم ودخل بخطوات ثابتة إلى
مكانهم بالحرم ، فسلم وجلس ٠٠ فانبرى أولهم له وقال :
— يا محمد إنا قد بُعِثْنَا إِلَيْكَ لِنُكَلِّمَكَ وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ رَجُلًا
مِنَ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ مِثْلَ مَا أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمِكَ ٠٠ لقد شتمت

(١) مُتَمِّمًا — تقصد بالمتمم — والعياذ بالله — محمداً عليه السلام ، ا هـ .

الآباء وشتمت الأديان وشتمت الآلهة ، وسفّهت الأحلام ، وفُرقت الجماعة ٠٠ فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك .
وقال آخر :

— وقد عرضنا عليك الأموال وجمعنا لك منها ما يجعلك
أكثرنا مالاً ٠٠ وعرضنا عليك الشرف ٠٠ وقيلنا أن تكون سيداً
لنا لا تَقْطَعُ بأمرٍ دونك ٠٠ وعرضنا عليك الملك ٠
وقال ثالث :

— وعرضنا عليك الطبَّ إن كان ما بك داءً تريد أن تَبْرَأَ منه !
ورد عليهم الرسول الكريم مُعْرضاً عن كل ما عرضوه عليه ،
رافضاً المالَ والشرفَ والملكَ والجاهَ ٠٠ وأفهمهم أن الله سبحانه
وتعالى قد بعثه إليهم رسولا ، وأنزل عليه القرآن وأمره أن يكون
بشيراً ونذيراً وقال لهم : إنه قد نصحهم فإن قبلوا النصيحة فهو
حظهم في الدنيا وفي الآخرة ، وإن ردوها فسوف يصبر لأمر الله
حتى يحكم بينه وبينهم ٠

ولم يعجب هذا القولُ قريشاً ٠٠ فأتبرئ لهم أحدهم يقول :
— لماذا لا تسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فَيَسِّرَ لنا
هذه الجبال التي ضيقَتْ علينا وَيَسْطِطَ لنا بلادنا وَيُفَجِّرَ لنا فيها
أنهاراً كأنهار الشام والعراق ومصر ٩٠٠
وقال آخر :

— سَلِّ رِبِكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ يَبْعَثَ لَنَا مَا مَضَى مِنْ آبَائِنَا وَلِيَكُنْ
فِيهِمْ يَبْعَثُ لَنَا مِنْهُمْ قَصِيٌّ بِنِ كِلَابٍ فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخَ صِدْقٍ ، فَإِنَّا
نُرِيدُ أَنْ نَسْأَلَهُ عَمَّا تَقُولُ أَهْوَ حَقٌّ أَمْ بَاطِلٌ .

وقال ثالث

— فَإِنْ صَلَّيْتُكَ وَصَنَعْتُ لَنَا مَا سَأَلْنَاكَ صَدَقْنَاكَ وَعَرَفْنَا بِهِ
مَنْزِلَتَكَ مِنْ اللَّهِ وَأَنَّهُ بَعَثَكَ رَسُولًا كَمَا تَقُولُ .
فرد عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم رداً كريماً جعلهم
يقولون :

— إِذِنْ سَلِّ رِبِكَ يُرْسِلُ مَعَكَ مَلَكًا يُصَدِّقُكَ بِمَا تَقُولُ وَيَرَا جَعْنَا
مَعَكَ . . . وسله أَنْ يَجْعَلَ لَكَ جَنَّاتٍ وَقُصُورًا وَكُنُوزًا مِنْ ذَهَبٍ وَقُضَّةً
فِيكَ تَقُومُ بِالْأَسْوَاقِ كَمَا نَقُومُ ، وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ كَمَا نَلْتَمِسُ .
واشتد عنادهم وكثر جدالهم واشتعلت خصومتهم وراح كل
منهم يقترح اقتراحاً . . . ويطالب الرسول الكريم بأن يطلب من ربه
تحقيق ما يقترح ، وأيقن الرسول صلى الله عليه وسلم عبث ما هم
فيه من جدال ، فتركهم ومضى ، وهنا أسرع خلفه عبد الله بن أبي
أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَصَاح

— يَا مُحَمَّدُ . . . عَرَضَ عَلَيْكَ الْقَوْمُ أَسْخَى الْعُرُوضِ فَلَمْ يَقْبَلْ
مِنْهُمْ . . . ثُمَّ سَأَلُوكَ أُمُورًا لَا تَنْفُسُهُمْ لِيَعْرِفُوا بِهَا مَكَانَتَكَ عِنْدَ رِبِكَ
فَلَمْ يَقْبَلْ . . . ثُمَّ سَأَلُوكَ أَنْ تَحْقُقَ لِنَفْسِكَ مَا يَعْرِفُونَ بِهِ فَضِيلَكَ

عليهم ومكانتك عند الله فلم تفعل ٠٠ ثم سألك أن تعجل لهم بعض ما تُخَوِّفُهُمْ به من العذاب فلم تفعل ٠

ونظر إليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وكأنه يسأله ماذا يريد هو ٠٠ فقال :

— والله لا أؤمنُ بك أبداً حتى تتخذَ إلى السماء سُلماً ثم ترقى فيه وأنا أطلعُ إليك حتى تأتيها ثم تأتي معك بأربعةٍ من الملائكة يشهدون أنك كما تقول ٠٠ وإني أؤمنُ بالله لو أنك فعلت كل ذلك ما ظننت أني أؤمنُ بك أو أصدقك ٠

ولم يعلّق النبي صلى الله عليه وسلم بشيء على هذا المنطق العجيب الغريب وإنما مضى إلى بيته وهو يدعو الله أن يهديهم ويُنقذَهُم من دياجير الظلام التي يتخبطون فيها ٠ ٠

وَيُسْقَطُ في يد قريش بعد أن فشل الاجتماع الذي عقده بالكعبة لمناقشة محمد بن عبد الله صلوات الله عليه وأزكى سلامه ٠٠ وكانوا قد عقدوا الآمال الكبار على هذا الاجتماع وصور لهم خيالهم المريض أنهم سوف يتمكنون من إفحام النبي الكريم بجدهم ونقاشهم أو على الأقل يتمكنون من التأثير عليه بالعروض البارقة المغرية ٠

ولكن رسول الله صلوات الله عليه وأزكى سلامه رفض كل ما عرضوه ، واستمر يسير قدماً في نشر دعوته ٠٠ ودخل الناس في

دين الله أفواجاً رغم إيذاء قريش لهم ٠٠ بل كان تمسكهم بدينهم
يزداد ويقوى كلما ضاعفت قريش من ذلك الإيذاء ٠
وكان إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه واحتضان
النَّجَاشِي للمسلمين المهاجرين إلى الحبشة حدثين قويين قَضَيَا على
ما بقى من صير قريش ٠٠ فبدأت تتأهب لجولة حاسمة تقضى بها
على مجمد وعلى دعوته ، وجمع أبو سفيان كبار قريش وعظماءها
وقال لهم :

– الحرب ولا شيء غير الحرب يا معشر قريش ٠٠ الحرب
هى وحدها الكفيلة بالقضاء على هذه الدعوة التى تنتشر وكأنها
النار فى الهشيم :

فَأَمَّنَ أَبُو الْحَكَمِ (أبو جهل) على قوله قائلا :

– نعم يا أبا سفيان ، ونِعِمَّا بهذا رأى ٠

وقال زهير :

– تذكروا يا قوم أنكم سوف تخوضون هذه الحرب مع آل

عبد المطلب وبنى هاشم وليس مع محمد وأصحابه وحدهم ٠٠ وبنو

عبد المطلب وبنو هاشم من صميم قريش ٠٠ إنهم منكم وأنتم

منهم ، الدماء واحدة ٠

فقال أبو سفيان :

– ماذا ترى غير الحرب ؟

فقال زهير بن زَادِ الراكب "١" :

— أَرَى أَن نَفْرَضَ عَلَيْهِمْ حَصَارًا شَامِلًا •

قال أَبولهب :

— ماذا تعنى بقولك (حصاراً شاملاً) ؟

قال زهير :

حصار اجتماعى اقتصادى ، لَا تُصْهَرُونَ إِلَيْهِمْ "٢"

وَلَا تَبِيعُونَهُمْ شَيْئًا ، وَلَا تَبْتَاعُونَ مِنْهُمْ •

فَقَالَ أَبُو سَفِيَّانٍ بِفَرَح :

— بَيْحٌ •• بَيْحٌ •• هَذَا رَأَى صَائِبٌ •• لَا بَدَّ أَنْ تَأْخُذَ بِهِ وَأَنْ

نَتَحَالَفَ عَلَيْهِ •• وَأَنْ نَسْجَلَ الْحِلْفَ فِي صَحِيفَةٍ نَعْلَقُهَا

فِي جُوفِ الْكَعْبَةِ •• تَوْثِيقًا لِحُرْمَتِهَا وَلَكِي لَا يَخْرُجُ وَاحِدٌ مِنَّا عَلَى

الْحِلْفِ وَيَنْقُضَهُ •

والتزمت قريش بهذا الحلف التزاماً شديداً واستمرت على

ذلك ثلاث سنوات لقى فيها محمد وأصحابه الأُمَريين وقاسوا من

جهد الحصار ما لا يوصف •

ولما أحست قريش بحال المهاجرين وما يعانون غالت في

الأمر •• فحالت بينهم وبين الطعام والكساء حتى بلغ بهم الجوع

(١) •• ابن زَادِ الراكب — انظر — ازواد الركب لجودهم في بلوغ الأرب جـ ١

ص ٩٢ •

(٢) لَا تُصْهَرُونَ إِلَيْهِمْ : أى لَا تَتَصَلُّونَ بِهِمْ بِجَوَار ، لَوْ نَسَب ، أَوْ تَزَوَّج ، أ هـ

مبلغاً جعل التمرة الواحد غداءً لاثنتين ليوم أو عدة أيام ٠٠ وكان طعامهم يقتصر على الخَبَطِ "١" وورق السَّمْرِ وما كان ينقله إليهم سراً بعض أقاربهم ٠

يقول ابن هشام في السيرة النبوية : إن أبا الحكم بن هشام (أبا جهل) لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسدٍ ومعه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد عند زوجها عليه الصلاة والسلام في شعب أبي طالب ٠ فتعلق به أبو جهل وقال : — أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ٠٠ ؟ والله لاتبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ٠

ولحهما أبو البخترى بن هشام الأسدي "٢" فجاء يسأل أبا جهل :

مالك وله ؟

فأجاب أبو جهل :

— يحمل الطعام إلى بني هاشم

فقال أبو البخترى ٠

— وما في هذا ؟ طعام كان لعمته عنده وقد بعثت إليه فيه ٠٠

(١) ٠٠ الخبط ورق ينغض بالخابط ، ويجفف ويطحن ويخلط به بقيق أو غيره ويؤخذ بالماء فتؤجره الأبل ، والسمر شجر من الغضاء ، اهـ ٠٠

(٢) أبو البخترى : هو العاص بن هشام ، من زعماء قريش ، ولم يعرف عنه إيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحضر بدرًا مع المشركين ، ونهى عن قتله ، ولكنه قتل اهـ امتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢ ٠

أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ؟ خَلَّ سبيل الرجل
 فرفض أبو جهل وتشاداً ٠٠ فأخذ أبو البختري لِحَى بعير
 قَصْرِيه به قَسَجَه ، ووطئه وطنأً شديداً ، وحمزة بن عبد المطلب
 قريب منهما يرى ذلك ويتأهب للبطش بأبى جهل ٠٠ وهم يكرهون
 مع هذا أن يبلغ مثلُ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .
 وكانت هذه الواقعة بدايةً تنكّر البعض من قريش لذلك
 الحِلْفِ المشنومِ الظالم ٠٠ . وبذاً تلك البعض يتعاطف مع
 المحاصرين ويفكر في فك الحصار عنهم ٠٠ وكان أولُ من فكر في
 نقض الحلف هو هشامُ بن عمرو بن ربيعة العامريُّ وكانت تربطه
 صلة رَحِمِ بِنْتِي عبد مناف ٠٠ وكان يرسل الطعام إلى المحاصرين
 سرّاً في جوف الليل ٠٠ ولما استعصى عليه ذلك بعد أن شددت قريش
 للحراسة ٠٠ ذهب إلى زُهَيْر بن زَادِ الراكب فقال له :
 - يا زهير ٠٠ أقد رضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس
 الثياب ، وتتزوج النساء ، حيث علمت محاصرون ،
 لا يبيعون ولا يبتاع منهم ؟ أما إني أحلف بالله أن لو كانوا آخوال
 أبى الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ٠٠
 ما آجباك إليه أبداً ٠٠

واخوالك

فانفعل زهير بقوله وصاح :

- ويحك يا هشام فماذا أصنع ؟

فقال هشام .

— أَنْقُضِ الحِلْفَ يَارَجُلْ .

فقال زهير :

— إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ . . . وَلَوْ كَانَ مَعِيَ آخِرُ لَقَمْتُ فِي نَقْصِ

الصَّحِيفَةِ حَتَّى يَتِمَّ ذَلِكَ .

فقال هشام :

— اطمئنْ لَقَدْ وَجَدْتُ لَكَ الرَّجُلَ .

فسأله زهير عن الرجل ، فأشار إلى نفسه وقال :

— أَنَا . . .

فعاد زهير يقول :

— إِبْغِنَا رَجُلًا ثَالِثًا .

فقال هشام :

— أَفْعَلْ . . . وَإِنِّي لَذَاهِبُ الْآنَ إِلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدَى " ١ " بِنِ

نوفل بن عبد مناف . . . ومضى من ساعته إلى الْمُطْعِمِ فقال له :

— يَا مُطْعِمُ أَيْرِضِيكَ أَنْ يَهْلِكَ بَطْنَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ وَأَنْتَ

شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ مُوَافِقٌ لِقَرِيشٍ فِيهِ ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَنُنْ أَمَكُنْتُمُوهُمْ مِنْ

(١) الْمُطْعِمُ بْنُ عَدَى رَئِيسُ بَنِي نُوفَلٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَائِدُهُمْ فِي حَرْبِ الْفَجَارِ ، وَهُوَ

الَّذِي أَجَارَ رَسُولَ اللَّهِ لَمَّا انْتَصَرَفَ عَنْ أَهْلِ الثَّلَاثَةِ ، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ « لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدَى حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتَنِ — يَعْنِي أَسَارِي بَدْر — لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ » ١٠ — فَفَتَحَ الْبَارِي

جـ ٧ ص ٢٤٩ .

هذه لتجدونهم إليها منكم سراعاً .

فوافقهم المطعم على ذلك وخرج معه إلى أبي البختری ثم إلى
زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ " ١ " واجتمع الخمسة واحتاروا زهيراً لكي يعلن
رفضهم للحلف . فلما كان الصباح غدا زهير إلى الكعبة المشرفة
فطاف بها سبعاً ثم جمع الناس وقال :

— يا أهل مكة . . . أناكل الطعام . . . ونلبس الثياب ؟ وینو
هاشم هلكى فى الحصار لايباع لهم ولا يبتاع منهم ؟ والله لا أقعد
حتى تُشَقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة . . .

فصاح به أبو الحكم (أبو جهل) :
— كنبت يازهير . . . والله لا تُشَقُّ أبداً . . .

فصاح زَمْعَةُ فى أبى جهل :
— أنت والله الكاذب وما رضىنا كتابتها حين كُتِبَتْ .
فقال أبو البختری :

— صدق زَمْعَةُ . . . نحن لانرضى ما كتب فيها ولا نُقره .
وقال مطعم مؤيداً لقول أصحابه :

— إنما نبرأ إلى الله من هذه الصحيفة ومما كتب فيها .
فقال هشام :

— الكلُّ يبرأ منها ومما كتب فيها . . . فما بقاؤها إذن

(١) زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ . كان يدعى بـ (زَادُ الرِّكْبِ) لجوده . وهو لَسْدَى ، ا هـ

فراح أبو جهل يتفحصهم بنظرة الخُبثِ ثم قال في غيظ .
 - آه .. هذا أمر قُضِيَ فيه ليلٍ ، تمّ التّشاور فيه بغير هذا
 المكان .

وحاول أبو جهل أن يفعل شيئاً . فراح إلى أبي طالب يحاول
 معه .. وكان الأخير قد انتحى ناحية من الكعبة وجلس وحده
 يرقب ما يدور . فقال أبو طالب :

- إن ابن أخى قد أخبرنى ولم يكذبنى قط ، أن الله قد سلّط
 على صخيفتكم هذه القرصة ^(١) " فأكلت كلّ ما فيها من جور وظلم
 وقطيعة رحيم ولم تُبقِ على شيء غير اسم الله .. فإن كان ابن أخى
 صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم .. وإن كان كاذباً دفعته لكم
 فقتلتموه أو استحييتموه .

فوافق كل من حضر . واندفع الرجال إلى الكعبة واتجهوا
 يريدون الصخيفة المعلقة بها .. فإذا القرصة قد أكلتها كلها ولم
 تبق منها إلا كلمة (باسمك اللهم) ^(٢) .

(١) القرصة هي الأرضة ، دويبة تأكل الخشب ، ا هـ .

(٢) (باسمك اللهم) كان العرب يصدرون بها صحتهم ، وعوض الله تعالى عنها
 بالسملية



تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ



وتمضى بنا قافلة الزمان ٠٠ فنرى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وقد هاجر من مكة إلى المدينة في السنة الثالثة عشرة للمبعث ٠٠ تلك الهجرة التي تعتبر بداية للتاريخ الإسلامي ونقطة تحوّل كبرى في التاريخ الإنساني ٠٠

ونرى يهود المدينة - وكانوا من أخطر اليهود وأقواهم وأكثرهم مالا وأشدّهم حقداً على الإسلام والمسلمين - نراهم وقد أخذوا يكيدون لنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ويتحدونه ويثيرون جدلاً خبيثاً يبيثون به سموماً فتاكة في نفوس أهل المدينة ٠

وكان المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه في صلاتهم مستقبلين الشمال حيث يوجد بيت المقدس ٠٠ ولم يكن عليه الصلاة والسلام راضياً عن هذه القبلة ، وكان يتمنى في قرارة نفسه أن تكون الكعبة قبلته وقبله المسلمين ، وأن يتجهوا إليها في صلاتهم ٠ واستجاب الله سبحانه وتعالى لما في نفس رسوله الحبيب

وحقق له أمنيته فولاه القبلة التي يرضاها ٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ * فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

تَرْضَاهَا * قَوْلٌ وَجْهَكَ شَبَطَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ * وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ
 قُولُوا وَجْوهَكُمْ شَطْرَهُ ٢: ١٤٤ « صدق الله العظيم »
 وأثار هذا التحويل غضب اليهود جميعاً فراحوا يعقدون
 الاجتماعات ٠٠ ويتشاورون في هذا الأمر الجَلَل ، وذهب نفر منهم
 إلى كعب بن الأشرف شاعرهم «١» وأحد زعمائهم الكبار وشكوا
 له الأمر فذهب بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل أن يَمَثُلَ
 بين يديه النقي بمحمد بن مَسْلَمَةَ وسأله :
 - أين نبيكم ؟

فسأله ابن مسلمة : ماذا يريد ؟ فقال :
 - أريد أن أسأله لماذا تحول عن القبلة التي كان عليها وهو
 يزعم أنه على ملة إبراهيم ؟
 فقال ابن مَسْلَمَةَ :

- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوجه إلى قبلكم
 ليكون ذلك أدعى لكم بالدخول في الإسلام ٠٠ فلما تبين له عنادكم
 وصَلَفُكم صارح جبريل برغبته في التحول إلى الكعبة .
 فقاطعه كعبٌ بغضب :

(١) كعب بن الأشرف : هو طائي : دان باليهودية ، يقيم في حصن قريب من المدينة ،
 شجع بنساء المسلمين ، فأمر الرسول بقتله ، فانطلق إليه نفر من الانصار فقتلوه ، وحملوا
 رأسه في مخلاة . انظر الطبري جـ ٣ ص ١١٧ .

— قل له يرجعْ إلى قبلتنا التي كان عليها وَإِلَّا فسوف أكون
 حرباً عليه وعلى دينه .. حرباً لا هوادة فيها ولا رحمة .. وهو يعلم
 أَنَّنِي رَبُّ الْكَلَمَةِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ جَمِيعَهَا .
 فسَخِرَ مِنْهُ ابْنُ مُسْلِمَةَ وَقَالَ لَهُ :
 — افعل ما بدالك يا كعب فلن نحفل بك ولن نهتم ونزلت
 الآيات الكريمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي
 كَانُوا عَلَيْهَا * قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ ٢: ١٤٢ » . (صدق الله العظيم)
 ولم يهدأ كعب ولم يستقر به الحال ، وإنما راح يجتمع
 برءوس اليهود وطواغيتهم ويحرك الحِوَارَ والنقاش حول تحويل
 القبلة ويحاول أَن يثير الناس جميعاً ضد محمد مستنداً إلى هذه
 الركيزة .. ولكنه لم يصل إلى بقية .. وهنا أعلن للجميع أَنه
 سيحارب محمداً وحده .. وسوف يقضى عليه وعلى دعوته
 بالكلمة ..

وراح يختال بينهم مؤكداً مرة أخرى أَنه رب الكلمة وكان
 كعب قد تزوج وَزَفَّتْ إِلَيْهِ عروسه غُرَبْلَةٌ فِي نَفْسِ اللَّيْلَةِ الَّتِي قَرَّرَ
 فِيهَا أَن يَكْتُبَ قَصِيدَةً فِي نَمِّ مُحَمَّدٍ وَهَجَاءٍ بَيْنَهُ .. ويبدل من أَن

يتفرغ للعروس تفرغ للكتابة ٠٠ ولم يعجب هذا الحال عروسه
التي كانت تنتظر أن يحتفى بها ويحتفل وأن يكون لها وحدها جل
اهتمامه فقالت تعاتبه :

— ما هذا ياكعب ٠٠ أتتركنى ليلة عرسى لتكتب ؟
فلما لم يرد عليها راحت تكرر له القول وتطلب منه أن يترك
الكتابة ويتجه لها ٠٠ فقال كعب ٠
— أه لو تعلمين ماذا أكتب يا عروسى الجميلة ٠٠ إننى أكتب
قصيدة ذم وهجاء فى أعداء اليهودية ٠ فى محمد بن عبد الله
والدين الجديد الذى جاءنا به ٠

فقالت غزيلة وهى تحاول أن تصرفه عن الكتابة :
ألا تجد وقتاً آخر لكتابة هذه القصيدة غير ليلة عرسنا ؟
— أسف يا عروسى الحسناء ٠٠ فشيطان شيعى هو الذى
اختار هذه الليلة لا أنا ٠٠

— اللعنة لهذا الشيطان ؟
— أتلعن من سيقضى على محمد بن عبد الله القضاء
المبرم ؟ بل سيجعل دينه أضحوكة بين العرب جميعاً ؟ إنك حقاً
لبلهاء ٠٠
وغيضت العروس واعتبرت تصرفه هذا إهانة لها فتركته
وانصرفت لشأنها ٠٠ بينما صاح هو :

— هات أيها الشيطان البارح ٠٠ هات الهجاء مريراً
 لانعاً ٠٠ لم يعرفه أحد من قبلي ولا يعرفه أحد من بعدي .
 ونترك كعب بن الأشرف للشيطان شعره ونعود لحمد بن
 مسleme فإذا هو يضرع في ابتهاال حار إلى الله قائلاً :
 — اللهم اكفنا شر كعب بن الأشرف في إعلانيه الشر وقوله
 الشعر ٠٠ اللهم إني أتوجه إليك بما قاله نبينا الكريم محمد بن
 عبد الله ٠٠ فاستجب يارب العالمين .

وينتهي ابن مسleme من ابتهااله ويتجه يريد المسير ٠٠ وهنا
 يقبل عليه أبو نائلة ٠ وكان آخاً في الرضاعة لكعب بن الأشرف وقد
 أسلم وحسن إسلامه ٠٠ فيقول :
 — إلى أين يابن مسleme ؟

فيجيبه .
 — إلى رسول الله وأصحابه فهم قد اجتمعوا للتشاور في أمر
 كعب بن الأشرف ٠ فيقول أبو نائلة والآنم يقطر من عبارته :
 — لقد ساعنى والله وحز في نفسى ما قاله كعب في رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ٠٠ وقد قررت أن أذهب إليه وأزجره ، بل
 أهتده ٠٠ فإن لم يرجع عن غيّه فسوف يكون لى معه شأن آخر
 فيقول ابن مسleme :

— أخاف عليك إن ذهبت إليه يا أبا نائلة فهو جاهد عليك

أشدّ الحقد منذَ آسَمت .

فَيَقُولُ أَبُو نَائِلَةَ :

— بل سَأَذْهَبُ إِلَيْهِ وَأَحْتَالُ عَلَيْهِ حَتَّى يَطْمئنَ لِي . . ثم أَفْعَلُ
بِهِ مَا أُرِيدُ . .

وَيَمْضِي أَبُو نَائِلَةَ إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَيُظَلُّ بِهِ حَتَّى يَطْمئنَ
لَهُ . . ثم يَقُولُ :

— يَبْدُو أَنَّنَا قَدْ أَخْطَأْنَا عِنْدَمَا صَدَقْنَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
وَاتَّبَعْنَاهُ .

فَيَقُولُ كَعْبُ فِي غُرُورٍ :

— بَوْنُ شَكٍّ . . بَوْنُ شَكٍّ .

فَيَسْتَطِرِدُ أَبُو نَائِلَةَ قَائِلًا :

وَقَدْ جِئْنَاكَ الْيَوْمَ لِنَقُولَ إِنَّ قَدُومَ هَذَا الرَّجُلِ عَلَيْنَا كَانَ مِنْ
الْبَلَاءِ . . بَلْ هُوَ الْبَلَاءُ نَفْسَهُ . . لَقَدْ حَارَبَتَنَا الْعَرَبُ وَرَمَتْنَا عَنْ
قَوْسٍ وَاحِدَةٍ وَنَحْنُ الْآنَ نُرِيدُ التَّنَحِّيَ عَنْهُ .

فَيَقُولُ كَعْبُ وَقَدْ اسْتَخَفَّهُ الْفَرَحُ

— وَمَا الَّذِي يَمْنَعُكُمْ عَنْ ذَلِكَ ؟

فَيَجِيبُ أَبُو نَائِلَةَ .

— الْمَالُ وَالسَّلَاحُ يَأْكَعِبُ . . نَحْنُ لَا نَمْلِكُ الْمَالَ وَلَا نَمْلِكُ
السَّلَاحَ وَلَا نَضْمُنُ إِنْ تَنَحَّيْنَا عَنْهُ أَلَّا يَحَارِبَنَا ، وَلِهَذَا لَا بَدَ لَنَا أَنْ

نستعدُّ بها .

فيؤكد له كعب - وكان من كبار المرابين^(١) - ومن
الفساق أيضا أنه على استعداد لمعاونتهم بالسلاح والمال على أن
يكون لهم تحت يده رهن فيه ثقة ٠٠ فيوافق أبو نائلة ويخرج على
أن يعود في الغد عند منتصف الليل بالرهن ثم يتسلم السلاح .
ولا يكاد يخرج أبو نائلة حتى يعود كعب إلى الكتابة وهو

يقول :

- أين أنت أيها الشيطان العظيم ٠٠ يا شيطان شعري
البارع ٠٠ أين أنت لتري وتسمع ٠٠ لقد فعلت قصائد الأفاعيل
بالناس وهامم الذين آمنوا بمحمد أمس يريدون الارتداد نحن بينه
اليوم .

وفي منتصف ليل اليوم الثاني يحضر أبو نائلة مع بعض
أصحابه^(٢) ولا يكاد كعب يغرف خبر وصوله حتى يسرع إليه
مختالا ورائحة العطر قوية تفوح منه ، فيلتقاه أبو نائلة قائلا :
- ما هذا العطر القوى الذي يفوح منك يا كعب ؟

فيقول كعب بخلاعة وخبث :

(١) المرابين : الذين يتعاطون المال بالربا ١٠ هـ .

(٢) أصحابه : هم محمد بن مسلمة ، وعبد بن بشر ، والحارث بن اوس ،
وأبو عيسى بن جبر - وشيعهم الرسول بنفسه حتى البقيع ١٠ هـ (المحبر لابن حبيب ص
٢٨٢٠) .

- عطر امرأة تُحِبُّني ٠٠ امرأة أحد العظماء .
 فيرد عليه أبو نائلة بسخط :
 — ألا تكف عن الاقتراء على نساء الآخرين ؟
 فيتأمل كعب أصحاب أبي نائلة قائلاً :
 — أين ما تريدون رهته عندي ؟ إذا كنتم تريدون رهن
 أبناؤكم هؤلاء فعددهم لا يكفي ولا بد أن تحضروا المزيد ٠٠
 فيقول أبو نائلة :
 — إنا نستحي أن يُعَيَّرَ أبناؤنا ، فيقال : هذا رهينة
 وسقى "١" وهذا رهينة وسقى ٠٠ وهؤلاء هم أصحابي جاءوا
 عوناً لي ٠٠
 فيرد كعب في قحّة :
 — إنن ترهنون نساءكم ٠٠ أريد نساءكم رهناً .
 فيجيبه أبو نائلة :
 — ولا نساؤنا يا كعب ٠٠ وأنت أدري بالسبب .
 فيقول كعب بإصرار خبيث :
 — أريد نساءكم رهناً ٠٠ لن أعطيكم شيئاً قبل أن تحضروا
 نساءكم إلى بيتي .

(١) ٠٠ وسقى : الوسق ، حمل بعير ، أوستون صاعا ، وعند أهل الحجاز ثلاثمائة
 رطلا ، وعند أهل العراق أربعمئة وثمانون رطلا ١٠ هـ .

وهنا يكون صبر أبى نائلة قد نفذ . . فيسحب سيفه ويهجم

على كعب وهو يصيح بأصحابه :

— اقتلوا عدو الله . .

وتتلاقى السيوف في جسد كعب بن الأشرف ويسقط على

الأرض صريعاً . . ويخرج أبونائلة شاهراً سيفه ومن خلفه

أصحابه ويصيح في اليهود :

— قتل عدو الله كعب بن الأشرف .

ويسقط في يد اليهود ويبدأون يفكرون تفكيراً جديداً . . لقد

أحسوا أنهم لن يستطيعوا التغلب على محمد بن عبد الله وحده . .

ولهذا أخذوا يتصلون بطواغيت المشركين في قريش ويضعون فوق

نيران بغضهم لمحمد ودينه — يضعون زيتاً تآججت به النيران

أكثر فأكثر .

وكان لابد أن يبدأ الصدام المسلح بين محمد صلى الله عليه

وسلم وأصحابه من ناحية وبين المشركين من ناحية أخرى ، فكانت

موقعة بدر التي انتصر فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم . وكان

مابعدهما من معارك طاحنة قاتل فيها المسلمون قتالاً مريراً نفاعاً .

عن دينهم وبنلوا النفس والنفيس من أجل إعلاء كلمة الدين

الحق . . بين الاسلام .

ويمضى بنا ركب التاريخ لنشهد مقدمات الفتح الأبلج .

والنصر المبين ٠٠ فتح مكة والنصر على المشركين ٠٠ فقد ظل المسلمون خمس سنوات بالمدينة لاتهم ظروفهم من مباشرة حقهم الشرعي في أداء العمرة والطواف بالكعبة المشرفة .

أما بعد أن أصبحوا قوة قوية فرضت كلمتها وهيبتها على كل منطقة يتربّ وبعد هذه الانتصارات الساحقة على قوات الأحزاب الضاربة فكان لا بد من التصقية الدموية العادلة الحاسمة لخونة اليهود ٠٠

فقد قرر المسلمون زيارة البيت الحرام - وكان العرف المتبع والقانون غير المكتوب بين العرب أن زيارة البيت الحرام والطواف بالكعبة حق مشاع للعرب جميعاً - مهما اختلفت مذاهبهم وتباينت اتجاهاتهم ٠٠ ولا يجوز لكائن من كان أن يمنعهم هذا الحق .

وقد أعلن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك للملأ ٠٠ كما أعلن أنه لا يريد دخول مكة غازياً أو محارباً ولكنه يدخلها مسالماً مغتبراً وطلب من أصحابه الاستعداد .

ولكن عمر بن الخطاب وسعد بن عباد نصحاء أن يسلم أصحابه فقد تغرر بهم قريش وتشهر عليهم الحرب ٠٠

فقال عمر :

— تدخل على قوم هم لك حرب بغير سلاح ولا كُراع "١" ،
فعمل النبي عليه الصلاة والسلام بالنصيحة واحتاط للأمر
فبعث إلى المدينة فلم يدع فيها سلاحاً ولا كُراعاً إلا حملة ، وفي
نفس الوقت طلب من بُسر بن سفيان بن عمير الذي كان قد قدم عليه
مسلماً — أن يقيم بالمدينة .

وقال صلى الله عليه وسلم : (يا بُسر لا تَبْرَحْ حتى تخرج
معنا فإننا إن شاء الله معتمرون) . ثم أمره أن يبتاع له
يَدْنًا "٢" — فذهب بُسر إلى البادية وابتاع سبعين .

وكان خروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم الاثنين
لهلال ذي القعدة سنة سبع من الهجرة — وكان قد اغتسل في بيته
بالمدينة ولبس ثوبين من نسيج صحار وركب راحلته القَهْصَاءَ —
وما يزال يسير بالمسلمين حتى وصل دَا الحَلِيفَةِ "٣" وهناك توقف
وصلى بهم الظهر ثم دعا بالبُدنِ فجَلَّتْ ثم أَشْعَرَ "٤" بنفسه منها
عدة وَهَنَّ مَوَجَّهَاتٍ إلى القبلة وكان بين البدنِ جَمَلُ أَبِي جَهْلٍ وقد
غنمه النبي بموقعة بَدْرٍ فساقه مع الهَدْيِ إِغَاظَةً للمشرِكين . .
ومن ذي الحليفة أحرم النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة

(١) ولا كُراع — يعني الخيل ، والبغال ، والحمير ، ا هـ .

(٢) يدنا : هي الايل تنحر بمكة ، ا هـ .

(٣) ذا الحليفة : ميقات أهل المدينة ، ا هـ .

(٤) اشعر : أى جعل لها علامة يشق جلدها وإسالة دمها ، لتعرف أنها هدى

الله ، ا هـ .

حيث دعا براجلته فركبها من باب المسجد .. فلما انبعثت به
مستقبلة الكعبة أحرم ولبي بأربع كلمات هي

(لبيك اللهم لبيك .. لبيك لاشريك لك لبيك .. لبيك إن

الحمد والنعمة لك والملك .. لاشريك لك) .

وأحرم حجاج المسلمين بإحرامه وكان قد خرج معه في هذه

العمرة أربع نساء : الأولى أم المؤمنين أم سلمة وثلاث أنصاريات
هن أم عمارة وأم منيع « ١ » وأم عامر .

وشاع بين العرب جميعاً نبأ خروج الرسول صلى الله عليه

وسلم للعمرة . وبلغ الخبر إلى قريش . فهاجت وماجت ونسيت

العرف السائد والقانون غير المكتوب الذي التزمت به والتزم سدة

البيت منذ آلاف السنين قبلها .. بل لقد ضريت بهذا العرف وهذا

القانون عرض الحائط .. وقررت منع الرسول وأصحابه من

دخول مكة .

واجتمع رؤوس قريش وعظماؤها وراحوا يناقشون الموقف

فقال عكرمة بن أبي جهل :

— يا للعجب .. محمد الذي خرج من مكة خائفاً يترقب بعد

أن أهدرت قريش دمه وقررت الفتك به يعود إلى مكة على رأس ألف

(١) .. وأم منيع : يقال لها . أم شبات ، شهدت العقبة مع أم عمارة نسيية ، ولم

يشهدا غيرهما من النساء ، اهـ .

وستمائة من أصحابه المسلمين كلهم رجل واحد يفتديه بحياته .

غيرد عليه سهيل^١ قائلا :

— إنه التحدى السافر لقريش في أقوى صوره .

ويقول صفوان بن أمية :

— إنه يريد أن يبخل عنوة وبيننا من الحرب ما بيننا . .

والله لا يكون هذا أبداً وفيينا عين تطرف . .

وعلى الفور أعلنت قريش حالة الاستنفار وعبأت رجالها

المسلحين وطليت مساعدة الحلفاء من الأحباش وثقيف

وغيرهم . . وجمعت أموالها واستعدت لقتال محمد .

وبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم ما قامت به قريش من

استعداد للحرب والقتال ، فأرسل إليها خراش بن أمية

الكعبي^٢ يبلغهم أنه لم يأت للحرب وإنما جاء مسالماً لاهدف له

إلا أداء مناسك العمرة ثم العودة إلى المدينة .

ولم يكذ خراش يصل إلى وادي بلدح^٣ حيث عسكرت

قريش بقضها^٤ ، وقضيضها وحلفائها حتى هاجمه عكرمة بن

(١) سهيل : هو ابن عمرو ، القرشي العامري ، خطيب قريش ، أسلم يوم الفتح .

أ هـ .

(٢) خراش بن أمية . هو الذي حلق رأس الرسول يوم الحبيبية ، أ هـ .

(٣) وادي بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب ، أ هـ .

(٤) بقضها : القرض ، الحصا المصغر ، والقضيض : الكعبي . أى جاعوا بالكبير

وبالصغير . أ هـ .

أبى جهل وعقر جملة وحاول قتله فعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

— يارسول الله ابعث إليهم رجلاً أَمْنَعَ منى

فأرسل صلى الله عليه وسلم بديل بن ورقاء مع وفد من

خَزَاعَةَ (١) فحاول عكرمة وبعض المتهورين من شباب قريش حَمْلَ قَوْمِهِمْ عَلَى مَقَاتِعَةِ وَقَدْ السَّلَامِ هَذَا .

فلما رأى بديل ما يحاولون صاح فيهم

— إِنَّمَا جِئْنَا نَسْعَى لِإِحْلَالِ السَّلَامِ وَمَنْعِ نَشُوبِ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ

وبين محمد ، فهل نخبركم الخبر أم نمضى إلى حال سبيلنا ؟

فيجيبه عكرمة بغضب ::

— لَا . . لَا وَاللَّهِ مَا لَنَا حَاجَةٌ بِأَنْ تَخْبِرَنَا بِأَبْدِيلٍ . . عُدْ

وَأَصْحَابِكَ مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ . وَبَلِّغْ صَاحِبِكَ أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَهَا أَبَدًا

وفيها رجل واحد منا .

وكان عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ سَيِّدُ ثَقِيفٍ حَاضِرًا يَسْمَعُ مَا يَدُورُ مِنْ

حديث بين وفد خزاعة والمتطرفين من شباب قريش — إِنْ كَانَ مِنْ

حلفاء قريش وقد جَاءَ مِنَ الطَّائِفِ لِيَسَانِدَهُمْ فِي قِتَالِ مُحَمَّدٍ

إِلَّا أَنْ يَقُولَ الشَّبَابُ مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ يَعْجِبْهُ فَقَالَ :

— وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطْرَ رَأْيٍ عَجَبًا . . وَلَا يَفْلَحُ قَوْمٌ فَعَلُوا

(١) . . مِنْ خَزَاعَةَ : وَارْسَلْ قَبْلَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ وَيَبْدِلُ هُوَ الَّذِي أَمَرَ الرُّسُولَ

بِحَبْسِ الْأَمْوَالِ الَّتِي غَنِمَهَا مِنْ حَنْزَلٍ بِالْجَعْرَانَةِ حِينَ يَقْدُمُ ، وَهُوَ خَزَاعِي ، أ هـ —

هذا أبدأً . . والله لاتنصرون على رجل يعرض السلام كمحمد .
 وطلب عروة وبعض زعماء قريش من بُدَيْلٍ أَنْ يتكلم ، فتكلم
 بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحشتموه واتهموه
 بالتحيز للمسلمين ورفضوا دخول محمد وأصحابه مهما كانت
 الأسباب .

ثم مال العقلاء إلى الأخذ بنصيحة عروة بن مسعود ،
 فأسكتوا المتطرفين من الشباب وطلبوا من بُدَيْلٍ الكلام ثانية ،
 فأبلغهم العرض الذي عرضه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو :
 (إقامة سِلم بين المسلمين وقريش يأمن فيه كل جانب ولو
 لفترة محدودة ، على أَنْ تبدأ هذه الفترة بأن يسمحوا للمسلمين
 بأداء مناسك عمرتهم وتقف قريش خلالها موقف المحايد إذا اشتبك
 للنبي مع العناصر الوثنية ، فإن انتصر النبي صلى الله عليه وسلم
 دخلت قريش فيما يدخل فيه العرب ، وإن كان العكس فلها أَنْ
 تقاتل المسلمين) .

كانت هذه خلاصة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد
 قال بُدَيْلٌ بعدها :

— يامعشر قريش إنكم تعجلون على محمد وإن محمداً لم
 يكن باعثَ حرب ولم يأت لقتال وإنما جاء معتمراً لهذا البيت
 فلم تقبل قريش عرض النبي ولا نصائح بُدَيْلٍ وقالوا :

— حتى وإن كان محمد قد جاء لا يريد قتالا فوالله لا يدخلها
عنوة أبداً ٠٠ أريد محمد أن يدخلها علينا في جنوده معتمراً
وتسمع العرب أنه قد دخل عنوة وبيننا وبينه من الحرب ما هو
قائم ٠٠ والله لا كان هذا أبداً ٠

وذهب عروة بن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما
دخل عليه وسلم استقبله أحسن استقبال ، وتكلم عروة فحاول
تخويف النبي صلى الله عليه وسلم من قوة قريش ، كما حاول أن
يَفْتَّ من عضد الرسول وَيُضْعِفَ من ثقته برجاله قائلاً له :

— وَائِمْ الله يا محمد لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك ، إني لا
أرى معك إلا أوياشاً من الناس لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم
خليقاً أن يَفِرُّوا وَيَدْعُوكَ ٠

وكان أبو بكر الصديق واقفاً خلف الرسول صلى الله عليه
وسلم وسمع هذا فغضب وثار ثورة كبيرة على عروة الذي جاء مهتداً
بقوة قريش ، محاولاً الانتقام من قيمة أصحابه وهم بالاعتداء

على عروة ، فقال عروة :
— من هذا يا محمد ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

— هذا أبو بكر بن قُحافة ٠

فقال عروة يخاطب أبا بكر :

— أما والله لولا يدك عندى لم أجرك بها بعد لأجبتك .

وكان من عادة العرب فى الجاهلية أن يمسك الزعيم بلحية الذى يراه يدا له أثناء الحديث ، وعلى هذا الأساس كان عروة أثناء الحديث يمسك بلحية الرسول صلى الله عليه وسلم فاغتاظ المغيرة ابن شعبه وقرع يده بقائم السيف قائلا .

— اكفف يدك عن مسّ لحية رسول الله .

فاستعظم عروة أن يقال له هذا القول من أحد حراس الرسول وسأل عنه ، فلما علم أنه ابن أخيه وقد أسلم ، اشتعل غيظه وهاج وماج وعاد إلى قريش دون أن يصل إلى هدفه . . عاد مذهولا من قوة هذا الدين الذى استطاع أن يهدى المغيرة ابن أخيه الذى كان من أقوى أعداء الاسلام والمسلمين .

ويظل الحال على هذا المنوال . . الرسول صلى الله عليه وسلم يعسكر فى ناحية وقريش تعسكر فى الأخرى . . والرسول تروح وتجيء بين الجانبين محاولة التوفيق وتقريب وجهات النظر . وتبعث قريش برسول اخر هو مكرز بن حفص «١» أحد

رجالها المشهورين بقوة الحجة والمراوغة والغدر ، فيعود بلا نتيجة إذ لا يفلح مكره وغدره مع المسلمين ، فترسل سيد الأحباش (١) مكرز بن حفص : شاعر جاهل ، ادرك الاسلام ، وكان من الفتاك ، وهو الذى قيد نفسه مكان سهيل بن عمرو حتى بعث بالفداء ، ا هـ .

الحليس بن زيان "١" حليفها الاكبر وتطلب منه أن يكون وسيطها
الرابع إلى النبي صلى الله عليه وسلم عسى أن يستطيع التوفيق وحل
هذا النزاع الخطير .

وكان الحليس ذا عقل راجح وبصيرة نافذة ، وكان سيداً
مطاعاً يعرف له الجميع مكانته ومنزلته . والعجيب أن هذا
الوسيط الذي توقعت قریش أن يعود لها بما أرادت والذي هو من
أكبر حلفائها . . عاد مؤيداً الفكرة التي يتمسك بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وهي أن من حق المسلمين الاعتمار وليس
لأحد مهما كانت مكانته أن يمنعهم من ذلك .

إذ أنه لما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كانت الإبل التي
تساق إلى الحرم لتنحر هناك أول ما وقعت عليه عينه ، فلما رآها
ورأى المسلمين وقد استقبلوه بليونة وقد شعثوا من طول المكوث على
إحرامهم صاح مستنكراً :

— سبحان الله . . ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت
أبى الله أن يحجَّ لَحْمٌ وَجُذَامٌ وَنَهْدٌ وَحِمِيرٌ "٢" . ويمنع ابن
عبدالمطلب .

(١) الحليس بن زيان : وقيل الحليس بن علقمة — كان رئيس يوم أحد ، وهو الذي
مر بابى سفيان بعد الوقعة فراه يضرب شدة حمزة بزج الرمح ، فلما ندد به ، قال له
ويحك ، اكتمها عني ، فانها كانت زلة ، ا هـ . (امتاع الاسماع للمقرئى ج ١ ص ٢٨٨) -

(٢) . . وحمر — أسماء قبائل معروفة ، ا هـ .

ثم شدد نكيره على قريش قائلا :

— هلكت قريش ورب الكعبة ٠٠ إنما القوم أتوا عمّاراً ٠

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

— أَجَلْ يَا أَخَا بَنِي كِنَانَةَ ٠

ودون أن يناقش الحليس رسول الله صلى الله عليه وسلم أو

يكلمه فيما بعثته به قريش عاد وفي نفسه أنها غير محقة في تصرفها

مع المسلمين ٠

وخرجت قريش كلها تستقبله وتحاول معرفة ما عاد به

فقال :

— رَأَيْتَ مَا لَا يَحِلُّ صَدَّهُ ٠٠ رَأَيْتَ الْهَدْيَ فِي الْقَلَائِدِ قَدْ أَكَلَ

أَوْبَارَهُ مَعْكُوفًا عَنْ مَحِلِّهِ ، وَالرِّجَالُ قَدْ تَقَلَّوْا وَقَمَلُوا «١» أَنْ يَطُوفُوا

بهذا البيت ٠٠ أما والله ما على هذا حالفناكم ٠٠ ولا عاقبناكم

على أَنْ تَصْنُتُوا عَنْ بَيْتِ اللَّهِ مِنْ جَاءَ مَعْظَمًا لِحَرَمَتِهِ مُؤَدِّيًا لِحَقِّهِ

وَسَاقِ الْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ٠

هنا غضبت قريش ورأت في قوله تأييداً لحجة النبي صلى الله

عليه وسلم وسخر أحدهم منه قائلا :

— اجلس ٠٠ إِنَّمَا أَنْتَ أَعْرَابِي وَلَا عِلْمَ لَكَ ٠

(١) ٠٠ تَقَلَّوْا وَقَمَلُوا ٠ أى اتنن ريحهم من ترك الطيب والادمان ، وتولد فيهم القمل

فغضب الحليس لهذه السخرية وصاح بهم مهدياً :

— يا معشر قريش ٠٠ والله ما على هذا حالناكم والذي
نفس الحليس بيده لَتَخْلُنَّ بين محمد وبين ما جاء له أو لَنَفَرَنَّ
بالأحابيش نَفَرَةً رجل واحد ٠

ووجدت قريش نفسها بعد هذا في موقف لا تحسد عليه ، فقد
كان تهديد الحليس لها على هذا النحو واقتناعه من قبل التهديد
بصحة رأى النبي صلى الله عليه وسلم كافياً لأن يحدث الضرر
والفرع بين جموع المشركين في مكة ويدفعهم إلى إعادة التفكير في
موقفهم الظالم من المسلمين ٠٠ فالأحباش الذين كانوا تحت
قيادة الحليس يمثلون عدة قبائل قوية إذا انفصلت عن معسكر
قريش أصابته بضرية قاصمة خاصة في تلك المرحلة الحرجة التي
بلغ فيها التوتر ذروته بين المسلمين ومشركي مكة ٠

فتروح قريش تهديئة من ثائرة سيد الأحباش وتحاول
تلطيف الموقف لئلا ينفذ تهديده ويفض الحلف الذي بينها وبينه ،
ثم تطلب من الحليس مهلة للتفكير وإعادة النظر قائلا :

— مَهْ ٠٠ كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى ٠

وقد استجاب الحليس إلى طلبهم فلم ينسحب من حلفهم
وصبر عليهم حتى أعادوا النظر والتفكير ، ثم مالوا إلى الصلح
وانتهوا إلى توقيع معاهدة مع النبي صلى الله عليه وسلم أول ما في

بنودها أَن يعود بأصحابه إِلى المدينة هذا العام ثم يرجع بهم فى العام الثانى لأداء العمرة .

وَكَبَّرَ على أَصحاب الرسول - وفى مقدمتهم عمر بن الخطاب - أَن يرجعوا إِلى المدينة دون أَن يعتمروا ، وَتَحَرَّجَ الموقف ، فتركهم النبى صلى الله عليه وسلم ودخل إِلى خِباءِ أُمِّ سَلَمَةَ وكان ينوى أَن يستريح بعض الوقت ثم يعود إِلَيْهم فيحاول إقناعهم من جديد .

ولاحظت أُم سلمة أَنه صلى الله عليه وسلم مكتئب فقالت

له :

- يا رسول الله لا تَلْمَهُمْ فَإِنَّهُمْ قد دخلهم أمر عظيم بما أَدَخَلْتَ على نفسك من مشقةٍ فى أمر الصلحِ ورجوعِهِم بغير فتح .
فَسَرَى هذا القول عن الرسول الكريم وطلب منها أَن تستمر فى حديثها . فقالت رضى الله عنها :

- الرأى عندى أَن تخرج إِلَيْهم دون أَن تكلم أَحَدًا منهم فَتَحَرَّجَ بِدُكِّكَ ، ثم تَحِلِّقَ رَأْسُكَ ، فَإِنَّكَ إِن تفعل ذلك لا مناص حينئذ من اتباعِكَ بغير تردد .

فَأَخَذَ الرسول صلى الله عليه وسلم برأئِها وخرج قاصداً بَدَنَهُ فَأَهْوَى بِحَرَبَتِهِ إِلى تَحَرُّبِهَا مَكْبَرًا ثم استدعى خِرَاشَا الخَزَاعِيَّ وأمره أَن يحلق له ، ففعل وألقى رأسه على شجرة بين

القوم ٠٠ وعندئذ بادراً أصحابه إلى النحر والطلق بعد أن تأكد لهم أنه صلى الله عليه وسلم لن يدخل إلى الكعبة بعد تحلّيه بالنحر والطلق ٠

وبذلك تم الأمر على خير جال وعاد المسلمون إلى المدينة سالمين وقد حُقِّقَتْ دماؤهم ٠

ومضت أيام وقعت فيها أحداث جسام استطاع فيها النبي صلى الله عليه وسلم أن يطهر المدينة من اليهود الخَوَّنة - وكان يتوقع أن تحافظ قريش على عهدها وأن تصون صلح الحُدَيْبِيَّةِ «١» ولكنها لم تفعل - وراحت تظاهر بَكْرًا على خزاعة وتساعدها بالسلاح غير مبالية بعهد الحُدَيْبِيَّةِ الذي ينص على أنه (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلْيَدْخُلْ فِيهِ وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ فَلْيَدْخُلْ فِيهِ) ٠ وخزاعة كانت قد دخلت في عقد الرسول وحلفه فشنت بَكْرًا عليها الحرب وراحت تقاتلها بسلاح من قريش ٠

وصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل قريشاً ترجع عن غيها وتتوقف عن مساعدة بَكْرٍ ضدَّ خزاعة لأن في ذلك نقضاً للصلح

(١) صلح الحديبية ٠ روى عن الامام الشافعي انه قال : « الصواب تشديد الحديبية وتحييف الجعرانة » اهـ ٠

المُبَرَّمِ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فلم تفعل وظلت على
غِيَّهَا . . .
وبيئنا الرسول صلى الله عليه وسلم قد جلس مع أصحابه في
مسجده بالمدينة اندفع إليه فجأة عمرو بن سالم الخزاعي وصاح
منشداً :

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدًا
جَلَفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا
فَانصُرْ هَذَا اللَّهَ نَصْرًا أَعْتَدَا
وَأَذْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا
فِي قَيْلِقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا
إِنَّا قَرِيشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتَ تَدْعُو أَحَدَا
وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
بَيْتُونَا بِالْوَتِيرِ^(١) هَجْدَا
وَقَتَلُونَا رُكْعًا وَسُجْدَا

ثم سقط عمرو بن سالم بين يدي الرسول منهاراً . فقال
عليه الصلاة والسلام :
(نَصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ) . ثم أمر صلى الله عليه وسلم
أَصْحَابَهُ بِالِاسْتِعْدَادِ لِفَتْحِ مَكَّةَ .

(١) بالوتير : الوتير . ماء بأسفل مكة لخزاعة ، وهذا الشعر نكره ابن الأثير في « اسد
الغابة » فتزجئة عمرو بن سالم ، اهـ .



الفتح الأكبر



وعندما اكتمل استعداد المسلمين لفتح أم القرى تقدمهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته القصواء وسار الجيش
مدعماً بالإيمان داعياً الله عز وجل أن يمنَّ عليه بدخول مكة
والوصول إلى الكعبة المشرفة .

واستجاب الله لدعائهم ففتحت أم القرى ذراعياً لاستقبال
ابنها الحبيب محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وعشرة آلاف
من أصحابه المؤمنين - مهاجرين وأنصاراً .

ولم يدر قتال وكأنما كانت مكة في انتظاره لتتخلص بهائياً
من الأوثان ومن أولئك الذين عبدوها من دون الله العلي القدير .
وكأنما كان هؤلاء الذين عبدوها قد تخلَّوا عنها وفقدوا الأمل في أن
تستطيع لهم خيراً أو نفعاً .

وطاف الرسول الكريم صلوات الله عليه وأزكى سلامه
بالكعبة سبيحاً وسط الألوف المؤلفة من الجموع التي احتشدت للترى
انتهاء عهد الظلام وبداية استقرار عهد النور والإيمان .
وبقى الرسول في البيت الحرام ما شاء له الله ، ثم دخل

الكعبة وأمر بِمَحْوِ كُلِّ مَا عَلَى جِدْرَانِ الْكَعْبَةِ مِنْ صُورٍ وَرَسُومَاتٍ ،
وقيل : إنه أَرَسَلَ الْفَضْلَ بْنَ الْعَبَّاسِ فَجَاءَ بِمَاءٍ مِنْ زَمْزَمَ • ثُمَّ أَمَرَ
بِثُوبٍ وَكَلَفَهُ مَحْوَ هَذِهِ الصُّورِ وَالرَّسُومَاتِ جَمِيعاً •

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قَاتِلِ اللَّهَ قَوْمًا
يُصَوِّرُونَ مَا لَا يَخْلُقُونَ) ثُمَّ إِنَّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ ضَرَبَ جَمِيعَ
الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ بِقَضِيبٍ كَانَ فِي يَدِهِ فَحَطَّمَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِحَمْلِهَا إِلَى
الْخَارِجِ حَيْثُ حُرِّقَتْ وَبِذَلِكَ تَطَهَّرَ الْحَرَمُ تَمَامًا مِنَ الرَّجَسِ وَكُلِّ مَا
حَرَّمَ اللَّهُ :

وَخَرَجَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ عَلَيْهِ أَزْكَى السَّلَامِ مِنَ الْكَعْبَةِ فَوْقَ
بِبَابِهَا وَمِفْتَاحِ الْكَعْبَةِ فِي يَدِهِ ثُمَّ نَادَى : (أَدْعُ لِي عُثْمَانَ) فَقَامَ
عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ وَتَقَدَّمَ مِنْهُ • فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(خَنْوَهَا يَا بَنِي أَبِي طَلْحَةَ تَالِدَةَ خَالِدَةَ لَا يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلَّا
ظَالِمٌ •• يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى اسْتَأْمَنُكُمْ عَلَى بَيْتِهِ
فَخَنْوَهَا بِأَمَانَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) • وَابْتَسَمَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ لِعُثْمَانَ
ابْتِسَامَةً ذَاتَ مَعْنَى كَبِيرٍ •• فَأَطْرَقَ عُثْمَانُ فِي حَجَلٍ - وَكَانَ لَذَلِكَ
قِصَّةٌ •• فَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ لِعُثْمَانَ
يَوْمًا وَهُوَ يَدْعُوهُ لِلْإِسْلَامِ (لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا الْمِفْتَاحَ يَوْمًا بِيَدِي
أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتَ) فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ يَوْمَهَا (قَدْ هَلَكْتُ قَرِيشٌ يَوْمَئِذٍ

وَنَلَّتْ) فَأَجَابَهُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بَلْ عَزَّتْ
وَعَمَرَتْ يَوْمئِذٍ يَا عِثْمَانُ) .

وَيَأْمُرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنْ يُؤْذَنَ
لِلصَّلَاةِ ، فَيَرْتَقِي بِأَلٍّ ظَهَرَ الْكَعْبَةُ وَيُؤْذَنُ فِي النَّاسِ لِلصَّلَاةِ ٠٠ ثُمَّ
يُصَلِّي بِهِمْ وَقَدْ تَحَرَّرَتْ نَفُوسُهُمْ تَمَامًا مِنَ الشُّرْكِ وَأَغْلَالِ الْوُثِينَةِ .
وَيَعِدُ الْخُطْبَةُ التَّفْتُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
الَّذِينَ عَانَوْهُ وَعَذَّبُوهُ وَحَارِبُوهُ بِكُلِّ وَحْشِيَّةٍ وَشِرَاسَةِ وَيَذْلُوا كُلَّ مَا فِي
طَاقَاتِهِمْ لِكَيْ يَقْضُوا عَلَيْهِ وَعَلَى دَعْوَتِهِ وَقَالَ لَهُمْ :

(مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟) قَالُوا (خَيْرًا ٠٠ أَخَ كَرِيمٍ
وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
(اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ) .

وَبَاتَتْ مَكَّةُ لَيْلَةَ الْفَتْحِ الْأَبْلَجِ وَالنَّصْرِ الْمُبِينِ وَلَيْسَ فِيهَا رَجُلٌ
وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا وَقَدْ تَطَهَّرَتْ نَفْسُهُ - أَوْ نَفْسُهَا - وَامْتَلَأَتْ بَنُورُ
الْإِسْلَامِ .

وَرَدَّتْ آفَاقُ مَكَّةَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ
أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ١١٠ : ١ -
(صدق الله العظيم)

عَوْدٌ عَلَى بَدْءِ

وتمضى بنا قافلة الزمان وقد تَأَلَّقَتِ الكعبة المعظمة ببور
 وهَاجَ هو نور الإسلام الذي أَشْرَقَ على الجزيرة العربية كلها
 وحرَّرها من ظلام الشرك والكفر وعبادة الأوثان ٠٠ ولكن الأهواء
 لا تلبث أن تتلاعب من حولها ٠٠ فتبدأ النزاعات والخلافات بين
 المسلمين وتقوم العداوات قاسية ضارية ٠٠ فقد حدث أن أَبْطَأَ
 عبدالله بن الزبير عن بيعة يزيد بن معاوية عندما آلت إليه
 الإمارة ٠٠ وأَغْضَبَ هذا يزيد فأرسل يهدده ٠٠ وخشى عبدالله سطوة
 يزيد فجمع أصحابه ولحق بمكة ليمتنع بالحرم ٠

وجعل عبدالله بن الزبير يخطب في الناس ويظهر عيوب يزيد
 ويحرض الناس على كراهيته وكراهية بنى أمية ٠ فبلغ ذلك يزيد ،
 فَأَقْسَمَ ألاَّ يُوْتَى به إِلَّا مَغْلُولًا ، وَأَرْسَلَ إليه رجلاً من أهل الشام في
 خيل له ليستقمه على هذا النحو ، ولما وصل الرجل إلى عبدالله قال
 له :

— الأَمْرَ أعظم مما تظن يا عبدالله ٠٠ لَأَن يُسْتَحْلَ الحرم
 بسببك ، فَإِنَّهُ لَأَمْرٌ جَلَلٌ وَلَنْ يتركك يزيد ٠ فقال عبدالله :
 — أَنَا لَهُ ٠٠ فليفعل ما يشاء ٠

فقال له الرجل :

— لن تقوى عليه ٠٠ ثم إنه قد لَجَّ في أمرِك وأقسم ألاَّ يؤتى
بك إلاَّ مغلولاً ٠٠ وقد عملت لك أغلالاً من الفضة وسوف ترتدى
فوقها وتَبَرَّ قَسَمَ أمير المؤمنين ٠

فقال عبدالله :

— لن أفعل يا أَخا الشام ٠

فقال الرجل :

— الصلح خير عاقبة وأَجمل به وبك يا بن خير الناس ٠

فقال عبدالله : حسناً ٠٠ دعنى أياماً حتى أنظر في أمْرِى ٠
وشاور عبدالله أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله
عنه ، فَأَبَتْ عليه أن يذهب مغلولاً وقالت :

— يا بنى ٠٠ عِشْ كريماً ومُتْ كريماً ولا تمكُن بنى أُمِّية من

نفسك فقلعَبَ بك ، فالموت أحسن من هذا ٠

وامتنع عبدالله فلم يذهب إلى يزيد بن معاوية ٠ فأمر يزيد
قائد جيوشه مُسلم بن عُمَيرة الذى كان يقاتل أهل المدينة — أن يسير
إلى مكة — فلما كان بالطريق حضرته الوفاة ٠ فدعا الحُصين بن
نُعيم الكندى فقال له :

— يا بَرْدَعَةَ الحمار ٠ لولا أنى آكره أن أتزود عند الموت

معصية أمير المؤمنين ما وَلَّيْتُكَ ٠٠ . انظر إذا قدمت مكة فاحذر أن
تمكن قريشاً من أَدْنِكَ ٠٠ ولا تكن إِلَّا الْوُقُوفَ ثم النَّقَافَ ثم

الانصراف ٠

وتوفى مسلم ومضى الْحُصَيْنُ إلى مكة فقاتل عبد الله أياماً
أَحَسَّ بعدها عبد الله بضراوة القتال ، فجمع أصحابه وتحصَّن
بهم في المسجد الحرام وحول الكعبة ٠ وضرب البعض خياماً
يجتمعون فيها من حجارة الْمَنَجْنِيقِ ، وكان الحصين قد نصب
المنجنيق على جبل أبي قبيس وعلى الجبل الأحمر - وهما أخشبا
مكة - فكان يرميهم فتصيب أحجاره الكعبة حتى تَمَزَّقَتْ كسوتها
عليها - ويقال : إِنْ أَوَّلَ مَنَجْنِيقٍ أَصَابَ الكعبةَ أَنْتَ بعده أَنِيناً
سمعه الجميع ٠

ولم يكتفِ الْحُصَيْنُ وأصحابه بهذا ، بل رموها بِالنَّفِطِ
فاحتترقت واحترق معها الحجر الأسود وتصدَّع ثلاث فِرَقٍ
وانشطرت منه شَظِيَّةٌ فشده عبدالله بالفضة وثَبَّتَهُ مكانه إِلَّا تلكَ
الشَظِيَّةَ ٠

ولكن جدران الكعبة ضَعُفَتْ وتهاوت بعض أجزائها ففزع
لذلك أهل مكة وأهل الشام أيضاً ٠٠ وتركها عبدالله يراها الناس
على هذا الحال ويزداد كرههم ليزيد بن معاوية ٠

ولم يزل الحصين بن نُمَيْرٍ محاصراً عبدالله وأصحابه حتى

وصل الخبر إلى مكة بوفاة يزيد بن معاوية وبلغ ذلك عبد الله فأرسل إلى الحصين بعض رجاله مكة وعلى رأسهم عبد الله بن خالد بن أسيد وعبد الله بن عمرو بن العاص فكلّموه وعظّموا عليه ما أصاب للكعبة . . فقال :

— ذلك منكم أنتم . . لقد احترقت بسبب شرارة طارت من ربيري أوقد ناراً في خيمته .

فرد عليه ابن أسيد قائلاً :

— بل رميتها أنت ورجالك بالحجارة ثم بالنفط . . والآن قد رجل آميركم عن الدنيا على ماذا تقاتلوننا ؟

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص :

— ارجع إلى الشام حتى تنظر ماذا يكون رأي آميركم الجديد .

فاستمع الحصين للنصيحة وعاد بجيشه إلى الشام . فحمد الناس الله سبحانه وتعالى أن خلصهم من شر هذا القتال المرير .
وبدخل عبد الله بن عمرو بن العاص المسجد الحرام والكعبة محرقة تتناثر حجارتها ، ويقع عليها الحمام فتتساقط كسفاً .
فبكى بكاءً حاراً : . ثم قال :

— أيها الناس والله لو أن أبا هريرة أخبركم أنكم قاتلو ابن نبيكم بعد نبيكم ومُحرّقو بيت ربكم ، لقلّتم ما من أحد أكذب من

أَبَى هَرِيرَةَ ٠٠ أَنَحْنُ نَقْتُلُ ابْنَ نَبِينَا وَنُحَرِّقُ بَيْتَ رَبِّنَا ؟ فَقَدَ وَاللَّهِ
فَعَلْتُمْ ٠٠ لَقَدْ قَتَلْتُمْ ابْنَ نَبِيِّكُمْ وَحَرَقْتُمْ بَيْتَ اللَّهِ ، فَانْتَظَرُوا
النَّقْمَةَ ٠٠ فَوَالَّذِي نَفْسُ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ عَمْرٍو بِيَدِهِ لَيُفَرِّقَنَّكُمْ اللَّهُ شَيْعًا
وَلَيُذَيِّقَنَّ بَعْضَكُمْ بِأَسِّ بَعْضٍ ٠

وَاسْتَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ يَحْدِثُهُمْ عَلَى هَذَا النُّحُو الْغَاضِبِ لِلْحَقِّ ٠٠
ثُمَّ صَاحَ فِيهِمْ :

— أَيُّهَا الْأُمَرَاءُ بِالْمَعْرُوفِ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَوَالَّذِي نَفْسُ
ابْنِ الْعَاصِ بِيَدِهِ لَوْ قَدْ فَرَّقَكُمْ اللَّهُ شَيْعًا وَأَذَاقَ بَعْضَكُمْ بِأَسِّ بَعْضٍ
لَبَطَّنَ الْأَرْضَ خَيْرًا لِمَنْ عَلَيْهَا ، لَمْ يَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَمْ يَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ٠
وَأَمَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بِالْخِصَاصِ^(١) الَّتِي أُقِيمَتْ حَوْلَ
الْكَعْبَةِ فَهَدِمَتْ ، وَبِالْمَسْجِدِ فَكُنْسَ مَا فِيهِ مِنْ بَقَايَا الْحَرِيقِ
وَالْحِجَارَةِ فَإِذَا جَدْرَانِ الْكَعْبَةِ قَدْ مَالَتْ وَسَقَطَ بَعْضُهَا فَتَهَالَكَ ،
فَانْتَظَرُ حَتَّى مُوسِمِ الْحَجِّ فِدَعَا وَجُوهَ مَكَّةَ وَأَشْرَاقَهَا وَمَنْ جَاءَ
مُعْتَمِرًا مِنْ رَجَالِ الْمُسْلِمِينَ وَقَادَتِهِمْ ٠ وَشَاوَرَهُمْ فِي هَدْمِ الْكَعْبَةِ
وَبِنَائِهَا مِنْ جَدِيدٍ ٠٠ فَوَافَقُوا جَمِيعًا إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فَقَدْ
اعْتَرَضَ عَلَى ذَلِكَ قَائِلًا :

— دَعَهَا يَا عَبْدَ اللَّهِ إِلَى مَا أَقْرَاهَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَأْتِيَ بَعْدَكَ مَنْ يَهْدِمُهَا ثُمَّ يَأْتِيَ بَعْدَ ذَلِكَ

(١) « ٠٠ بِالْخِصَاصِ » هِيَ بِيُوتُ مِنَ الْقَصَبِ ، تَسْقُفُ بِأَخْشَابٍ ١٠ هـ ٠

آخرفيهدهما ٠٠ فلا ترأل تهدم وتبنى حتى تذهب حرمة البيت من
قلوبهم ٠٠ والأفضل أن تقوموا بترقيعها .
فقال عبد الله :

— والله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه فكيف أرقع
بيت الله سبحانه وتعالى ؟
فقال ابن عباس :

إذن ٠٠ دعه كما هو .
فتسأل عبد الله :
— كيف وأنا أنظر إليه ينقض من أعلاه إلى أسفله حتى أن
الحمم ليقع عليه فتتناثر حجارته وإني أشهد هنا على الملائ أنى
سمعت عائشة رضى الله عنها تقول :

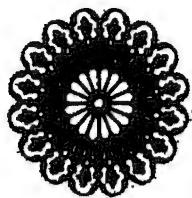
(إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنْ قَوْمُكَ
اسْتَقْصَرُوا فِي بِنَاءِ الْبَيْتِ وَلَوْ لِحَدَاثَةِ عَهْدِ قَوْمِكَ بِالْكَفْرِ أَعَدْتُ فِيهِ مَا
تَرَكُوا مِنْهُ ؛ فَإِنْ بَدَأَ لِقَوْمِكَ أَنْ يَبْنُوهُ فَهَلُمْنِي لِأُرِيكَ مَا تَرَكُوا
مِنْهُ) ٠٠ فَأَرَاهَا قَرِيبًا مِنْ سَبْعَةِ أَذْرَعٍ ٠٠ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ مَوْضُوعَيْنِ عَلَى الْأَرْضِ بَابًا
شَرْقِيًّا يَدْخُلُ النَّاسُ مِنْهُ وَبَابًا غَرْبِيًّا يَخْرُجُ النَّاسُ مِنْهُ) .

وقال عبد الله بن الزبير متمماً حديثه :
— وأشهد أن عائشة رضى الله عنها قالت (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم قال : هل تدرين لِمَ كان قومك رفعوا بابها ؟
 قالت عائشة رضى الله عنها : لا - فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : تَعَزَّزَّا أَنْ يَدْخُلَهَا إِلَّا مَنْ أَرَادُوا ۝ فکان الرجل إذا كرهوا
 أَنْ يَدْخُلَهَا يدعونه یرتقى حتى إذا کاد یدخل دَفَعُوهُ فسقط)
 وهنا قال ابن عباس لابن الزُّبَير .

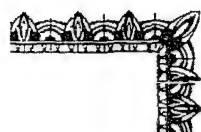
- کلنا سمع بهذا الحديث النبوی الشریف یا عبد الله وإنی
 أسألك الآن : مَاذَا أَنْتَ فاعِلٌ ۝ وَعَلَامَ اسْتَقَرَّ رَأْيُكَ ؟
 قال عبد الله :

- إنی مستخیر الله ثلاثاً ، ثم عازم آمری یابن عباس .
 فقال ابن عباس
 - حسناً ۝ ولكن أُحذِّرُكَ أَنْ تترك المسلمین بغير قِلة
 يتجهون إليها فی صلاتهم ۝ أنصب لهم حول الکعبة الخشب
 واجعل علیها السُّتُورَ حتى یطوف الناس من ورائها .
 فقال عبد الله :
 - أفعل إن شاء الله .





بِئَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ لِلْكَعْبَةِ



وبدأ عبد الله بن الزبير يسؤال كبار السن من أهل العلم عن الأحجار التي بنت منها قريش الكعبة . فأخبروه أنها بنيت من جبال حِراءٍ وَثَبِيرٍ وَالْمَقَطَعِ وَخَنْدَمَةَ وَحَلْحَلَةَ ، ومن جبل بِأَسْفَلِ مَكَّةَ على يسار ما انحدر من ثنية بنى عَصَلٍ . . . ويقال له : جبل الكعبة ، وهو الواقع على يمين الداخل إلى مكة من جَزُولٍ . ومن مَزْدَلِفَةَ « ١ » .

فنقل إلى عبد الله بن الزبير من الحجارة ما يحتاج إليه ، فلما اجتمع له ما يلزمه من آلات العمارة وأراد هدم الكعبة عمد إلى ما كان بداخلها من كنوز وحلى وثياب وطيب فنقلها إلى دار شَيْبَةَ بن عثمان « ٢ » . - وتقدم يريد الهدم ويدعو الناس إلى مساعدته ، ولكن

(١) . . . ومن مزلفة : هذا كلام الأزرقي في تاريخ مكة ج ١ ص ١٤٦ ، وللعلماء في ذلك خلاف وإشكالات ، ولم نجد « المقطع » و « حلحلة » في معجم ياقوت ، والمعروف أن الكعبة بنيت من سبعة أجبل حراء ، وثبير ، ولبنان ، والطور ، والجبل الأحمر . وقيل طورسيناء وطوبزيتا ، ولبنان ، والجودي ، وحراء . ويرى : أن بناءها من ستة أجبل ، من : ابي قبيس ، والطور ، والقدس ، ووركان ، ورضوى ، وأحد ، (انظر الروض الانف للسهيلى ج ١ ص ١٢٩ وشفاء الغرام للفاسي ج ١ ص ٩٢) ١ هـ .

(٢) - « شَيْبَةُ بن عثمان » : ورث حجابة الكعبة عن الآباء ، وهو قرشي ، من بنى عبدالدار ، اسلم يوم الفتح (تاريخ ابن عساکر ج ١ ص ٢٤٧)

الناس هربوا من مكة كلها ٠٠ بعضهم ذهب إلى الطائف وبعضهم ذهب إلى منى والبعض الآخر تحصن برؤوس الجبال - فعلوا ذلك مخافة أن ينزل بهم العذاب لاشتراكهم في الهدم حتى بوجودهم في مكة أثناءه ٠

فأمر ابن الزبير العمال الذين استقدمهم للهدم أن يبدأوا ولكنهم تَلَكَّأُوا ، وآرادوا الهرب مع من هرب من سكان مكة ٠ فصعد إلى سطحها بنفسه في يوم السبت نصف جمادى الآخرة (عام ٦٥ هـ) « ١ » وأمسك بِالْمَقُولِ وجعل يهدمها ويرمى بحجارتها ، فلما رأى العمال أنه لم يصب بسوء آخنوا المعاول وصعدوا إلى جواره يشاركونه في الهدم ٠ وكان من بين العمال عبد من الأحباش - أحضرهم عبد الله بن الزبير على أمل أن يكون بينهم الحبشى الذى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (يُخَرَّبُ الكعبةَ نَو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ) « ٢ » ٠

ثم نزل عبد الله بن الزبير وترك العمال يُتِمُّونَ الهدم ثم أخذ الخجر الأسود ووضعه في ديباجة ثم أدخله في صندوق وأغلق عليه ثم وضعه بنفسه في دار الندوة ٠

وما إن مالت الشمس للمغيب حتى كان العمال قد انتهوا من

(١) ٠٠ (عام ٦٥ هـ) وقيل : عام اربعة وستين ١٠ هـ ٠

(٢) « ٠٠ » من الحبشة : رواه الامام احمد في المسند ١٠ هـ ٠

والسويقة ٠ تصغير الساق ، للحموشة والدقة فيها ١٠ هـ ٠

هدم الجوانب جميعها ٠٠ فقال لهم عبد الله :

— زيدوا في الحفر ٠

فقالوا :

— قد بلغنا صخراً معمولاً على شكل أَسِنَّةِ الْإِبِل ٠
فقال لهم :

— زيدوا فاحفروا ٠

واقترب العمال يريدون زيادة الحفر ولكن هواءً من نار

تلقاهم ٠٠ فابتعدوا مسرعين وهم يصيحون :

— النَّار ٠٠ النَّار ٠٠

فسألهم عبد الله بن الزبير :

— مالكم ؟

فقالوا :

— لا نستطيع أن نزيد فقد رأينا أمراً عظيماً ٠٠ رأينا ناراً

يلفح لهيبها أجسادنا ٠ فلنترك الأمر إلى الصباح ٠

ولما بَزَغَ فجر اليوم الثاني جمع عبد الله بن الزبير خمسين

رجلاً من وجهاء مكة وأشرافها وأخذهم إلى الكعبة وقال :

— اشهدوا ٠٠ هذه قواعد إبراهيم عليه السلام ٠

ونظر الخمسون رجلاً ومَن حضر من الأهالي إلى الأحجار

وأخذهم العجب من شكلها ولونها وقوتها وتماسكها ٠

وقال عبد الله بن مطيع العدوي^(١) .

— دعونا نحاول ما حاوله آبائنا من قبل لنرى هل كان حقاً
ذلك الزلزال أم كان وهماً صوّره لهم الخوف .
ومدّ يده يريد أن يحرك حجراً عن أخيه . وفجأة ارتجفت
مكة كلها رجفة شديدة وبدت الجبال من حولها وكأنها تريد أن
تنقض . بل تساقطت بعض أحجارها . ففزع الناس وندم كل
من حضر هذه الواقعة . وبكى عبد الله بن مطيع العدوي بكاءً
مريراً وراح يستغفر ربه . وهنا أمر عبد الله بن الزبير العمال
بالبناء . فاستأنفوا العمل على الفور . وكانوا يبنون من وراء
حاجز خشبي والناس يطوفون من خارجه حتى ارتفع البنيان إلى
موضع الركن . فأمر عبد الله بموضعه فنقر في حجرين . فلما
فرغ العمال من البناء دعا عبد الله ابنه عبداً وجُبَيْر بن شيبه بن
عثمان إليه وقال :

— لقد جمعتكما لأمرٍ مهمٍّ جداً :

قال عباد :

— وما هو يا أبت ؟

(١) « عبد الله بن مطيع العدوي » : من رجال قريش ، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فقتل مع إبل الزبير في حصار الحجاج ، وأرسل رأسه مع رأس : ابن الزبير ، وصقوان ، إلى الشام (الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٣٧) .

قال عبد الله :

— لقد اخترتكما لتقوما بوضع الحجر الأسود في مكانه . .
فإذا دخلت في صلاة الظهر ضعوا الحجر الأسود في ثوب واحملوه
من دار الندوة إلى الكعبة ، وليضعه أحداكم بيده في موضعه ،
وسوف أطيل الصلاة حتى تفرغوا من عملكم . . فإذا فرغتم
فكبروا حتى أخفف من صلاتي .

فلما أقيمت الصلاة كبر ابن الزبير وصلى بالناس ركعة ،
وهنا خرج عباد وجبير بالحجر من دار الندوة ونفثوا ما قاله لهما
عبد الله بن الزبير ، وكان الذي وضعه بيده في مكانه هو
عباد^(١) . .

فلما أقرأه في موضعه وأطبقا عليه الحجرين كبرا ، فخفف
عبد الله صلاته ، وتسامع الناس بالخبر بعد الصلاة ، فغضبوا
وثارت ثائرتهم . . فقال واحد منهم :

— ما هذا يا عبد الله . . ماذا فعلت يا رجل ؟ لقد كنا أولي
من هذين الصبيين بإعادة الحجر الأسود إلى مكانه .
وقال آخر :

— أجل والله يا عبد الله . . لقد تجاوزت الحدود بهذا العمل

(١) . . عباد ، قيل : وضعه ابن الزبير بنفسه ، وقيل : وضعه الحجابة . وقيل :

وصد حمزة بن عبد الله بن الزبير ١٠ هـ .

وما كان ينبغي لك أن تتجاهل أشراف مكة وصادتها وزعماءها ثم
تمنح ولدك وصاحبه هذا الشرف العظيم من دوننا •
فقال لهم عبد الله :

— مهلاً يا قوم •• لا تثوروا ولا تغضبوا •• والله لقد رفع في
الجاهلية حين بنت قريش الكعبة ، فحكموا فيه أول من يدخل من
باب المسجد ، فطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعله في رداءه
ودعا عليه السلام من كل قبيلة من قريش رجلاً فأخذوا بأركان
الثوب •• ثم وضعه الرسول الكريم بيده الكريمة في موضعه ••
ولقد حاولت أن أبتعد بكم عن الخلاف ولعق الدماء •
وهنا هدأت النفوس وذهب عنها الغضب ولم يحاول أحدهم
أن يثير جدلاً بهذا الشأن ثانية •

ولقد حقق عبد الله بن الزبير في بنائه للكعبة كل ما قال به
رسول الله صلى الله عليه وسلم •• ولما فرغ من البناء مسح
جوف الكعبة بالعنبر والمسك ودهن جدرانها من الخارج بالمسك
والعنبر أيضاً •• ثم غطاها بكسوة كاملة من الديباج
والقباطى^(١) وأعاد إليها ما كان قد أودعه بيت شيبه بن عثمان
من كنوز وحلى وثياب • ولم يهمل الساحة من حول الكعبة بل

(١) « القباطى » ثياب منسوبة إلى مصر ١٠ هـ

غطاها بما بقى من الصخور بعد تسويتها وجعلها ناعمة الملمس
جميلة المنظر .

وفي اليوم السابع عشر من رجب عام ٦٥ هجرية وقف وسط
الناس وهتف :

— أيها الناس ٠٠ من كانت عليه طاعة فليعتمر من
التَّعَمُّيم^١ « شكرًا لله عز وجل ، ومن قدر أن ينحر بَدَنَةً فليفعل
ومن لم يقدر على بدنة فلينبح شاة ٠٠ فمن لم يقدر فليصدق بقدر
طوله .

وخرج عبد الله بن الزبير ماشياً حافياً وخرج معه رجال من
قريش مشاةً حفاةً .

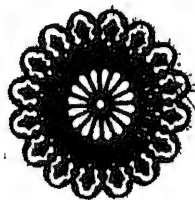
— منهم عبد الله بن صفوان^٢ وعبيد بن عمير ٠٠ فأحرم ابن
الزبير من أكمة أمام مسجد عائشة بمقدار غلوة^٣ وهو
على مقربة من المسجد المنسوب لعلي كرم الله وجهه ، وجعل طريقه
على ثنية الكحون^٤ « المَقْصِيَّة إلى المَعْلَاة وراح يلبي حتى وصل
البيت الحرام ، فلما طاف بالكعبة واستلم الأركان ، قال :

(١) . التَّعَمُّيم « هو أقرب حل إلى الحرام ، اعتمرت منه عائشة ١٠ هـ .
(٢) . ٠٠ ابن صفوان « هو عبد الله بن صفوان الأكبر ، رئيس مكة ، قتل مع الزبير ،
وهو الذى قدم لمعاوية حين حج القى شاة (انظر شذرات الذهب لابن العماد ج ١
ص ٨٠) .

(٣) « بمقدار غلوة « أى رمية سهم ١٠ هـ .
(٤) « الكحون « جبل بأعلى مكة ، عنده مدافن أهلها ١٠ هـ .

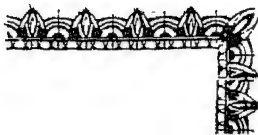
- إنما كان ترك استلام الركن الشامى والغربى ، لأن البيت لم يكن تاماً وقد تم الآن والحمد لله .
ثم أهدى للبيت مائة بَدَنَةٍ نَحَرَتْ جَمِيعُهَا جِهَةَ التَّنْعِيمِ ولم يبق من أَشْرَافِ مَكَّةَ وَنَوَى الاستِطَاعَةِ من لم يُهْدِ وَيُنَحِرْ .
ولم ير يوم كان أَكْثَرُ عَتَقاً وَلَا أَكْثَرُ بَدَنَةٍ مَنحُورَةٍ وَلَا شَاةٍ مَذْبُوحَةٍ وَلَا صَدَقَةَ مَبْذُولَةٍ من ذلك اليوم ٠٠ لقد قام أهل مكة بذلك شُكْراً لِّلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ على ما أَنعم به من المعونة والتيسير في بناء بيته الحرام على الصورة التى بناها إبراهيم الخليل عليه السلام .
ويقول الحافظ نجم الدين :

إن ابن الزبير بنى الكعبة المشرفة على قواعد إبراهيم الخليل إلا أنه جعل ارتفاعها ضعفتى ما كانت عليه فى عمارة الخليل ، حيث إن ارتفاعها كان فى عهد الخليل تسعة أذرع على أصح الروايات ، وعبد الله بن الزبير جعل ارتفاعها سبعة وعشرين نراعاً ، وجعل لها سقفاً ، وجعل فى ركنها الشمالى درجاً يصعد عليه إلى سطحها ، وحلَّاهَا بالذهب وجعل مفاتيحها من الذهب أيضاً .





بِئَاءِ الْحَاجِّ لِلْكَعْبَةِ



وتمضى بنا قافلة الزمان لنرى الأنوار وقد عادت تتلأل في مكة وهي سعيدة مبهجة بالكعبة المعظمة وقد بنيت من جديد على الصورة التي كان يريد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقد رعبد الله بن الزبير الذي بنى الكعبة على هذا النحو أن يقتل أفي حربه مع الحجاج . فيكتب الحجاج إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان يقول :

— (٠٠٠) وإن ابن الزبير قد وضع بناء الكعبة على أساس نظر إليه بعين الغضب من أهل مكة وابتعد به كثيراً عن البناء الذي كانت قريش قد أقامته واشترك فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد زاد في البيت ما ليس منه وأحدث فيه باباً آخر ، وإنني أستأذنكم في رد البيت إلى ما كان عليه في الجاهلية)

وأنهى الحجاج خطابه بعبارات نقد لاذعة لعبد الله بن الزبير . فكتب إليه عبد الملك يقول :

— (٠٠٠) وأنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء . أما ما زاد في طول البيت فأقره عليك أن تتركه . وأما ما زاد فيه من حجر إسماعيل فردّه إلى بنائه الأصلي وسد الباب الذي فتح

وَأَكْبَسُ الْأَرْضَ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ) .

وَنَفَّذَ الْحَجَّاجَ أَوَامِرَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَهَدَمَ مِنَ الْكَعْبَةِ
سِتَّةَ أَدْرَعٍ وَشَبْرًا مِمَّا بَلَى حِجْرَ إِسْمَاعِيلَ وَأَعَادَ بِنَاءَهَا عَلَى أُسَاسِ
قَرِيشٍ الَّذِي كَانَتْ قَدْ اسْتَقْصَرَتْ عَلَيْهَا وَكَبَسَ أَرْضَهَا بِمَا هَدَمَ مِنْهَا
وَسَدَّ الْبَابَ الْغَرْبِيَّ .

ولما فرغ الحجاج من هذا كله جاء عبد الملك بن مروان
يعتمر ٠٠ وروى مسلم : أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ كَانَ يَطُوفُ
بِالْبَيْتِ فَالْتَقَى بِالْحَارِثِ «١» بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَقَالَ لَهُ بَعْدَ الطَّوْفِ :

— قَاتَلَ اللَّهُ ابْنَ الزَّبِيرِ حَيْثُ يَكْذِبُ عَلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ :
سَمِعْتَهَا تَقُولُ (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا
عَائِشَةُ لَوْلَا حَدِيثَانُ قَوْمِكَ بِالْكَفْرِ لَنَقَضْتُ الْبَيْتَ حَتَّى أَزِيدَ فِيهِ مِنْ
الْحِجْرِ ، فَإِنْ قَوْمَكَ قَصَّروا فِي الْبِنَاءِ)

فَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ :

— لَا تَقُلْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ٠٠ فَإِنِّي سَمِعْتُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَحَدِّثُ هَذَا .
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ :

(١) « ٠٠ » بِالْحَارِثِ « هُوَ الْمَخْزُومِيُّ ، وَيَلْقَبُ بِالْقَبَّاحِ ، وَكَانَ عَامِلَ ابْنِ الزَّبِيرِ
بِالْبَصْرَةِ ١٠ هـ .

— لو كنت سمعت قبل أن آمر بهدمه لتركته على ما بنى ابنُ

الزبير .

وعاد عبد الملك كاسف اليال حزناً إلى الشام ولكنه لم يهدأ ولم يستقر به الحال . وكان في كل يوم يستقدم علماً من العلماء ويسأله في الأمر ، وكلما آكثروا له صدق الحديث الذي قالت به عائشة رضي الله عنها ازداد آلاً وحزناً وانتهى به الأمر الى حالة مرضية عجيبة كانت تجعله يقضى الساعات مطرقاً مفكراً في صميتٍ ، وقد تقلصت عضلات وجهه ، ثم يرفع رأسه ويصيح فجأة كالمجنون :

— لعنة الله على الحجاج . لعنة الله على الحجاج .

وقرر عبد الملك بينه وبين نفسه أن يهدم البناء من جديد وأن يعيده إلى الوضع الذي كانت عليه الكعبة في عهد عبد الله بن الزبير ، وطلب العلماء والفقهاء وأصحاب الرأي وقال لهم :

— لقد أخطأنا والله إذ آذنا للحجاج في تغيير بناء عبد الله بن

الزبير ، وإنى لنادم على ذلك أشد الندم . ونفسي لا تطاوعني على الصبر وترك هذا الخطأ . . . لقد بناها عبد الله على هذا النحو . ليحقق رغبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فكيف أصبر على نقض هذا البناء ؟ فقال واحد منهم :

— يا أمير المؤمنين ٠٠ يكفي أنك تعاني من الأسف والندم
الآن ٠٠ إن في هذا بعض التكفير عن الخطأ .
فعاد يقول :

— ولم لا أحاول الآن إصلاح الخطأ وإعادة البناء على ما
كان قد فعله ابن الزبير ؟ ولكن العلماء جميعاً كرهوا أن يغير
عبد الملك من حال الكعبة مرة أخرى وصمموا أن تبقى كما هي ٠٠
فقضب عبد الملك منهم وثار عليهم وطالبهم بإيجاد مخرج له من
هذه المحنة التي يعيشها ٠٠ فقال أحدهم :

— يا أمير المؤمنين ٠٠ كعبة الله ليست مَلْعَبًا للملوك
والأمراء وليست رهن رغباتهم ٠٠ هذا يهدمها وذاك يبنينا وهذا
يغير فيها وذاك يعيد التغيير من جديد .
وانصرف العلماء وبقي عبد الملك يعيش أياماً في صمت
رهيب ٠٠ ثم انفجر باكياً كالطفل اليتيم .

ذكر الحافظ بن كثير في تفسيره الروايات التي رواها مسلم
في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في ذلك الحديث :
(هذا الحديث كالمقطوع به إلى عائشة لأنه قد روى عنها من
طرق صحيحة متعددة ، فقد روى عن الأسود بن يزيد ، والحارث
بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن
محمد بن أبي بكر وعروة بن الزبير ، فدل هذا على صواب ما فعله

عبد الله بن الزبير ، فلو تركه لكان جيداً) .
 وقيل : إن أمير المؤمنين هارون الرشيد أو أباه المهدي ،
 سأل الإمام مالكا :
 - ما رأيك أيها الإمام في هدم الكعبة وردمها ؟
 فقال الإمام مالك :
 - ناشدتك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل بيت الله مَلْعَبَةً
 فتنذهب هيئته من صدور الناس ويهون أمره عليهم
 فلما آلت الخلافة إلى الوليد بعث إلى واليه على مكة خالد بن
 عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف دينار فضرب منها على بابي
 الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزابها وعلى الأساطين والأركان في
 جوفها .

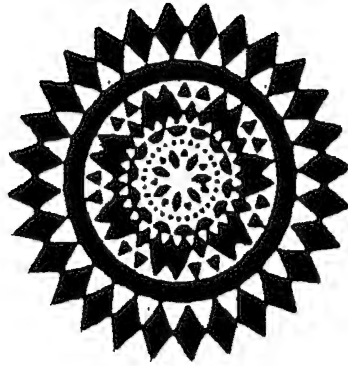
ويعتبر الوليد أول من ذهب البيت في الإسلام ، وقد بقيت
 هذه الصفائح الذهبية حتى ولاية أمير المؤمنين محمد بن الرشيد ثم
 رقت وتفرقت ، فأرسل إلى سالم بن الجراح عامله على مكة بثمانية
 عشر ألف دينار ليضرب بها صفائح أخرى جديدة - فقام بخلع ما
 كان باقياً على البابين من بقايا الصفائح الأولى ثم أعاد صياغتها
 وزاد عليها وجعل المسامير من الذهب وحلقتى باب الكعبة المفتوح
 أيضاً . . كما زين الباب الغربي المغلق الذي كان الحجاج قد سدّه

كذلك فقد زين الأفاريز^(١) والعتبة .

ويقول المثنى بن جُبَيْر الصَّوَّاف :

— حين جمعوا ذهب الكعبة في ذلك الحين وجدوا فيه ثمانية
وعشرين ألف مثقال ، فزادوا عليها ما ثمنه خمسة عشر ألف
دينار .

هذا عدا ما احتفظ به داخل خِزانتها من أموال وتحف
أُهديت إليها من الملوك والأمراء وما أكثر ما قدموا إلى الكعبة من
هدايا الذهب القيِّمة .



(١) ، الأفاريز « جمع إفريز ، وهو ما اشرف خارج البناء ، ذكره المعجم الوسيط.
ص ٦٨٧ وقال رشيد عطية في مرادف العامى ص ٢٥٦ : يقابله « الطنف » اهـ .

الحجر الأسود أو الأسود

وتتمهل قافلة الزمان في سيرها قليلاً ثم تتوقف عند الحجر
الأسعد الذي كان يتلألاً من شدة بياضه ويضيء المكان من حوله
بنور وهاج ، ثم تحول بسبب خطايا البشر إلى لونه الأسود
الحالي « ١ » .

وكان عبد الله بن الزبير أول من ربط الحجر الأسود بالفضة
ونلك بعد حريق الكعبة الثاني . . . ومع الأيام تفلقت أحزمة الفضة
من حوله وخلع بعضها .

فلما اعتمر هارون الرشيد سنة تسع وثمانين ومائة أمر
بالحجارة التي بينها الحجر الأسود فنقبت بالماس من فوقها ومن
تحتها ثم أفرغت فيها الفضة ثم ثبت فيها الحجر . . .
وفي السابع من ذي الحجة سنة سبع عشرة أو تسع عشرة
وثلاثمائة وفد إلى مكة عبدو الله أبو طاهر القرمطي « ٢ » برجاله

(١) « . . . لونه الأسود الحالي » وردت أحاديث صحيحة في السنن ، قال عليه السلام
« كان أشد بياضاً من اللبن ، وإنما سويته خطايا بني آدم » ١٠ هـ .
(٢) « أبو طاهر القرمطي » هو سليمان بن الحسن الجنابي ، زعيم القرامطة ، وهم
من الباطنية ، وكان طاغية زنديقا ، استولى على سائر بلاد البحرين ، بلغ قتلاه في مكة ثلاثين
الفا - مات بالجدري - ، وقيل : رمت امرأة بلبة من السطح هكتلته ، وانقطعت بعده شوكته .
القرامطة (الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٢٧ ، دائرة المعارف ج ٧ ص ٧١٩) .

الملحدين وعددهم تسعمائة ، وكان أبوطاهر مخموراً يمتطى فرسه
وفي يده سيف مسلول ، فصفر لفرسه فلوثت أرض الحرم والناس
يطوفون بالكعبة مبتهلين لله عز وجل ملبين له سبحانه ٠٠ وهنا
صاح فيهم القرمطى :

— كفوا عن هذا الدعاء أيها الناس ٠٠ كفوا وإلا فالويل
لكم .

فصاح به ابن مُحَارِبٍ أمير مكة :

— ماذا تقول أيها الملحّد الزنديق .

فقال القرمطى :

— أقول كفوا عن هذا اللغو وإلا أطاحت سيوفنا بأعناقكم
أيها الحمير .

فصاح الحافظ أبو الفضل في غضب :

— ويلك ثم ويلك ٠٠ أهذا كلام يقال في بيت الله الحرام لأمير

مكة ؟

فصرخ القرمطى بغرور :

— لا أمير اليوم غيري هنا ٠٠ إني أبوطاهر القرمطى الأمير

والحاكم وصاحب الأمر والنهي في رقابكم جميعاً ٠٠

ثم وجه الكلام إلى رجاله قائلاً :

— حاصروهم ولا تدعوا واحداً منهم ينجو بنفسه .
 فقال ابن محارب أمير مكة :
 — أتفعل هذا ونحن عَزَلٌ من السلاح وقد جئنا لِأداءِ فريضة الصلاة ؟

فعاد القرمطي يقول لرجاله دون أَنْ يلتفت إلى ابن محارب :
 — اقتلوهم ولا تمكنوهم من أداءِ الصلاة ٠٠ لا صلاة بعد اليوم ٠٠ اليوم للقتل والذبح فقط .

ثم اعتلى سطح البيت وهو يصيح :
 أَنَا بِاللّهِ وَيَا اللّهِ أَنَا يَخْلُقُ الْخَلْقَ وَأُقْنِيهِمْ أَنَا
 وحاصر رجاله البيت وحاول بعض الناس الخروج لطلب
 النجدة فَأَعْمَلَ فِيهِمْ رجال القرمطي سيوفهم وَفَتَكُوا بِالْأُلُوفِ من
 الحبيج في المسجد الحرام وفي فجاج مكة ٠٠ فقتل في المسجد
 الحرام وحده ٠٠ ألف وسبعمائة . وقيل ثلاثة عشر ألفاً من الرجال
 والنساء وهم معتقلون بالكعبة .

وَرَمَمَ بِهِمُ الْقَرْمَاطِيُّ زَمْرَهُ حَتَّى مَلَأَهَا وَفَرَشَ بِهِمُ الْمَسْجِدَ
 الْحَرَامَ وَمَا يَلِيهِ . وقيل دفن الناس في المسجد بلا صلاة ، وكان
 يتنقل وفرسانه على خيولهم بين جُثَثِ الْقَتْلَى ٠٠ وعندما تم له
 إزهاق أرواح الناس بالمسجد الحرام وفي فجاج مكة وسككها

ودورها عاد إلى الكعبة ثانية وقال لرجاله :

— على بحلى الكعبة وكنوزها ٠٠

فأسرع رجاله إلى الكعبة وعادوا بكل ما فيها من كنوز
وأموال فأمرهم بإحضار قُبَّةٍ زمزم أيضاً وباب الكعبة وكل ما
تَحَلَّتْ به جدرانها ولو كان ملصقاً بالأرض أو الجدران ٠ فنفذ
رجاله الأمر على الفور ٠ فنظر إلى ميزاب الكعبة وقال لرجاله :
— وهذا الميزاب الذهبى ٠٠ لماذا تركتموه ؟ ٠٠ فليصعد
أحدكم إليه وليحضره على الفور ٠

فتقدم رجل من رجاله وصعد على تَرَجِ الكعبة حتى وصل إلى
السطح المُخْلَع الميزاب ٠ وما كاد يصل إلى مكان الميزاب حتى
انقض عليه القَدْرُ في صورة سَهْمٍ مسموم انطلق من أعلى جبل أبى
قبيس فاستقرَّ في عَجْزِهِ فسقط على الفور جثة هامدة ٠

ففزع الرجال جميعاً وصاحوا في زعر شديد متسائلين عن
هذا السهم وكيف وصل إلى صاحبهم ؟

ولكنه نهرهم وصرخ فيهم أَنْ ينفذوا أمره وأن يحضروا
الميزاب ولكن أحداً منهم لم يقبل الصعود إلى سطح الكعبة ٠٠
فقال لهم :

— إِنَّ دَعَوَانَا مِنْ هَذَا الْمِيزَابِ الْمَشْتُومِ وَهِيَ أَحْمَلُوا

المقام ٠٠ ويحث الرجال عن المقام بالمسجد فلم يجدوه ، وكان أحد
سَنَنَةِ المسجد قد حمله فور دخول القرمطى ورجاله وَغَيَّيَهُ في مكان
أَمِين ٠

وَأَمَرَهُم القرمطى بخلع الحَجَرِ الْأَسْوَد ، فلما استحال ذلك
عليهم أَمَرَهُم بالبحث عن بَنَاءٍ مُتَخَصِّصٍ وَإِحْضَارِهِ عَلَى الفور ٠٠
وكان القرمطى قد ضرب الحجر الْأَسْوَد بِدَبُوسٍ "١" معه
فَتَكَسَّرَ - فلما جاء الْبَنَاءُ - جعفر بن أَبِي علاج - خلعه وقدمه له
فَأَمَرَ رَجَالَهُ بِحَمْلِهِ إِلَى بَلَدِهِ (هَجَرَ) "٢" وقيل : إنَّ أَرْبَعِينَ جَمَلًا
قد حملته بالتوالي فهلكت جميعها تحته ٠

ومع ذلك لم يعتبر القرمطى واستمر في غيه فجمع أَهْل
مكة - أَوَّالًا صَح - ما بقى من أَهْل مكة وخطب فيهم لعبيد الله
المهدى "٣" صاحب المهديَّة بِإِفْرِيقِيَا ٠

فلما بلغ المهدى ما كان منه ومن أَعْمَالِهِ فِي مكة كتب إِلَيْهِ
يقول :

- ٠٠ وَالْمُعْجِبُ مِنْ كُتُبِكَ إِلَيْنَا أَنَّكَ تَمَنَّى عَلَيْنَا بِمَا ارْتَكَبْتَ
وَاقْتَرَفْتَ بِاسْمِنَا مِنْ جَرَائِمٍ فِي جِرْمِ اللَّهِ وَجِيرَانِهِ ٠٠ بِالْأَمَاكِنِ الَّتِي

(١) ٠٠ ضرب الحجر الأسود بدبوس ٠٠ « هو المقعدة ، وهى العصا ، من حديد في
رأسها شئ كالكرة ٠ ١ هـ ٠

(٢) « هجر » هـى قاعدة البحرين ، ونكروا انه حمله إلى الكوفة ايضا ، ١ هـ ٠

(٣) « لعبيد الله المهدى » هو إمام الشيعة الاسماعيلية (انظر تاريخ ابن خلدون ج ٤

لم تزل الجاهلية تحرم الدماء فيها وإهانة أهلها ٠٠ ثم تعديت ذلك إلى أن قلعت الحجر الأسود الذي هو يمين الله في الأرض «١» يضاف بها عبادة وحملته إلى أرضك ورجوت أن نشكر على ذلك ٠٠ فلعنك الله ثم لعنك ٠ والسلام على من يسلم المسلمون من لسانه ويده ٠

واحتفظ القرمطي بالحجر الأسود في بلدة هجر اثنتين وعشرين سنة ٠٠ وبقي موضع الحجر من الكعبة خالياً يضع الناس فيه أيديهم للتبرك ٠

وكان السبب في كل ما فعله أبوطاهر القرمطي هو أنه رأى في نومه أنه يقيم كعبة أخرى في بلدة هجر - فأراد أن يحقق هذا الحلم ٠ وقد أقام بناءً في بلدة فعلاً ووضع فيه الحجر الأسود ٠٠ ولكن أحداً من الناس لم يتجه إلى هذا البناء ولم يهتم بدخوله ٠ ولما يؤس القرامطة من استمالة الناس إليهم وإلى بنائهم ربّوا الحجر إلى الكعبة ثانية ٠

وقد رثه سنبر بن الحسن القرمطي «٢» ٠٠ إذ جاء في يوم الثلاثاء ٠٠ يوم النحر من سنة ٣٣٩ هجرية إلى مكة ومعه الحجر

(١) « ٠٠٠ يمين الله في الأرض » ورد بذلك حديث صحيح في السنن ١٠ هـ ٠

(٢) « ٠٠ سنبر بن الحسن القرمطي » في دائرة المعارف : انه رد على يد ابي اسحق ابراهيم بن محمد بن يحيى ، مزي نيسابور في سنة ٣٢٩ هـ ٠

الأسودّ في سَفْطٍ وعليه ضَبَابٌ " ١٠ " من فضة وسار به حتى وصل
ساحة الكعبة ، وهنا أخرجته من السفط ووضع مكانه . ثم
جعلوا له طوقاً من الفضة ليشدّ به كما كان قديماً حين عمله ابن
الزبير .

وهنا هلل الناس وكبروا وتألقت الفرحة على وجوههم بعودة
الحجر الأسود إلى الكعبة المشرفة .

وكما تعرض الحجر الأسود لهذه المحاولة الخبيثة من
القرامطة الملحدين فقد تعرض قبلها وبعدها لحوادث أخرى ولكن
العناية الإلهية كانت دائماً تنقذه وتعيده إلى مكانه في الكعبة
المشرقة .

ويذكر التاريخ أنّ قوماً سرقوه في عهد جُرْهُم وحملوه على
جمل ، فسار الجمل مسافة ثم بَرَكَ ، فضربوه فقام وسار مسافة
أُخْرَى ثم برك فضربوه ثانية فقام وسار مسافة ثالثة ثم برك ولم يقم
رغم تعدد المحاولات منهم ٠٠ فقالوا :

— ما برك إلاّ من أجل الحَجَر .

فَأَخْرَجُوا الحجر ودفنوه في مكانه في أسفل مكة . وتصادف
أن رأتهم امرأة من خَزَاعَةَ وهم يدفنونه فأخبرت بذلك قومها وأعادوه
إلى مكانه .

(١) ٠٠٠ في سَفْطٍ وعليه ضَبَابٌ ٠٠ ، السفط : وعاء كالجوالق ، والضباب : جمع
صبة . وهي حديدة يغلّق بها الباب ، اهـ .

وقيل : إن الحجر ظل مدفوناً حتى جاء قصى القرشي
فأخبروه وردّه إلى مكانه .

وقد حدث أن بعض الملحدين فكروا في سرقة هذا الحجر بعد
حادثة القرامطة - وكانوا من الذين استهواهم الحاكم العبيدي ،
فعمدوا إلى رجل رومي استأجروه وأغروه بالأموال الطائلة لسرقة
الحجر ، فإن فشل في السرقة فليحطمنه إلى شظايا صغيرة لا
تصلح لشيء . ودخل الرجل الرومي إلى الكعبة في ثياب فضفاضة
وفي إحدى يديه سيف مسلول وبالأخرى تَبُوسٌ من الحديد ومِعْوَلٌ
كبير .

وكان ذلك في يوم النَّفَرَةِ الأول ولم يكن الناس قد عابوا بعد
من منى ٠٠٠ وبعد أن فرغ الإمام من الصلاة اندفع الرومي إلى
الحجر الأسود وكأنما يريد أن يستلمه أو يقبله ولكنه ما كاد يصل
إليه حتى رفع يده وضرب وجه الحجر ثلاث ضربات فتقشر وجه
الحجر وسقطت منه ثلاث شظايا وحدثت فيه شقوقٌ يميناً
وشمالاً ٠٠ فابتدره رجل من اليمن حين رآه وهو يطوف قطعنه
بخنجره فسقط مضرباً بدمائه ، فأقبل الناس عليه من نواحي
المسجد وقطعوه ثم أحرقوه بالنار .

وقد اتضح أن له أعواناً بخارج المسجد ينتظرونه وقد قبض عليهم جميعاً وأُحرقوا بالنار أيضاً . ثم اتضح أيضاً أن هؤلاء الأعوان كان لهم أعوان في الخفاء فثارت الفتنة وهددت مكة كلها فخرج إليهم أبو الفتوح أمير مكة وتمكن من إخماد الفتنة تماماً .

وبقي الحجر الأسود على حاله تلك يومين ، ثم إن بعض بني شيبية جمعوا شُطَاياه وفَتَاتَه وعجنوه بالمسك واللك^(١) ثم حُشيت الشقوق وظليت بهذا الخليط .

وفي آخر شهر المحرم عام ١٢٥١ هجرية دخل المسجد الحرام رجل فارسي من بلاد الأفغان وطاف مع الطائفين بالكعبة وانتهز فرصة انشغال الناس بالطواف ثم تسلل إلى الحجر الأسود فأقتلع قطعة منه . وسمع الناس صوت المَعُول وهو يضرب الحجر فاجتمعوا عليه واعتقلوه وفتشوه فإذا به يخفي بين ثيابه قطعة من كسوة الكعبة وقطعة من فضة المدرج الذي هو بين بئر زمزم وباب بني شيبية .

وقدم الرجل للمحاكمة ودارت بينه وبين المحقق هذه
المحاوره :

— هل أنت مسلم ؟

(١) « وعجنوه بالمسك واللك » هو ثفل ، أو عصارة لنبات تشد به مقابض السكاكين . —

— لا ٠٠ إست مسلما أيها المحقق ٠

— وكيف دخلت الكعبة إذن ٠٠ بل كيف دخلت مكة وهو

حرام على غير المسلمين ؟

— دخلتها خلصةً وقد ساعدنى فى ذلك الذين انتدبونى لهذه

المهمة ٠

— إذن فأنت مؤفد من قبل آخرين ؟

— نعم لقد استأجرونى لتحطيم الحجر الأسود نظير مبلغ

كبير من المال تسلمت نصفه والنصف الآخر سوف أتسلمه عندما

أعود إليهم بما يثبت أننى قد حطمت الحجر الأسود فعلاً ٠

— ولكنك لم تحطمه ٠

— صحيح ٠٠ وقد منعنى عن ذلك خوفاً ٠

— خوفك ٠٠ ماذا تعنى بهذا القول ؟

عندما دخلت ببلادكم سمعت عن أولئك الذين حاولوا تحطيم

الحجر الأسود فكان جزاءهم القتل والتمزيق والحرق ، ولهذا

اكتفيت بخلع هذه القطعة الصغيرة من الحجر الأسود ٠

— ولكننا عثرنا عليك على قطعة من الكسوة وأخرى من

الفضة ٠

— هذه أدلة أخرى أخذتها ليتأكد الذين أرسلونى أننى قد

وصلت إلى هنا ونفذت لهم ما أرادوا حتى أتمكن من أخذ بقية المبلغ
المتفق عليه .

— وكيف تستحل المبلغ لنفسك وأنت لم تحقق لهم ما اتفقت
عليه ؟

- سأدعى لهم أننى فعلت ذلك .
- ولكنهم سيعلمون يوماً أنك لم تفعل ما أرادوا .
- عندئذ لن أكون فى متناول أيديهم .
- كيف .

— بعد حصولى على بقية المبلغ مباشرة سأرحل إلى مكان
لا يصل إلى فيه إنسان . . . إننى أريد أن أعيش .

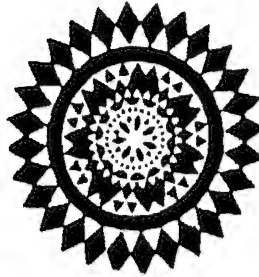
— الواقع أنك سترحل إلى مكان لا يصل إليك فيه إنسان
ولكنك لن تعيش .

- (بدهشة) لن أعيش .
- نعم فحكم الإعدام ينتظرك أيها التَّعَسُّ .
- وحكم على الأفغانى بالإعدام ونفذ فيه الحكم احراقاً . . .
- تماماً كما أعدم كل من تجرأ على الحجر الأسود بقلع أو تكسير أو
سرقة . . . نعم لقد أصبح حكم الإعدام هو العقوبة المنفذة على كل
من تحدثه نفسه بأن يمد يد السوء إلى الحجر الأسود أو أى جزء من
أجزاء البيت الحرام .

وظلت هذه الشَّظِيَّةُ محفوظة حتى انتهى الملك عبد العزيز آل سعود من فترة المصيف بالطائف وركب يريد الذهاب إلى الرياض عاصمة ملكه فمر بمكة حيث كان العلماء والصلحاء والوزراء ورؤيسو هيئة القضاء قد اجتمعوا بها .

ثم أحضر مدير الشرطة العام تلك الشظية وقام المختصون بعمل مركب كيماوى مضاف إليه المسك والعنبر ، ثم وضع في الموضع الذى خرجت منه الشظية ، ثم أخذ جلالة الملك عبد العزيز الشظية بيده الكريمة ووضعها في مكانها تيمناً وتبركاً وبذلك استكمل الحجر الأسود كيانه كما كان سابقاً .

وهكذا عادت إلى الكعبة المعظمة كل مقوماتها وراح الناس يطوفون بها ويستلمون الحجر الأسود سُعداء بوجوده .



بَناؤُ السُّلطانِ مُرادٍ خانَ

وتمضى بنا قافلة التاريخ لنشهد مرحلة أخرى من مراحل
 قصة بناء الكعبة المشرفة وهو بناء السلطان مراد خان عام ١٠٤٠
 هجرية ٠٠ وكان السبب في هذا البناء ذلك السيل العظيم الذي
 دخل البيت الحرام وتسبب في سقوط جدران الكعبة

ففى يوم الأربعاء التاسع عشر من شعبان عام ١٠٣٩
 هجرية هطل على منطقة مكة مطر ثقیل ٠٠ بل عظیم الثَّقَل ، وقد
 بدأ فى الثانية صباحاً — ثم اشتد هطوله بين صلاة الظهر والعصر
 ولم يلبث أن تحول إلى ثلوج ، وما هى إلا ساعات حتى اندفع داخل
 البيت الحرام سيل جارف لم تر العين مثله بمكة من قبل ثم اندفع
 بالتالى إلى داخل الكعبة وارتفع حتى وصل إلى منتصف الجدران
 ثم زاد ارتفاعه فوصل إلى طوق القناديل — أى فوق قامة الرجل —
 ولم يبق بيت بمكة لم يغرقه السيل ولم يجرف أمتعته وينحربها إلى
 أسفل مكة ٠٠ وهلك نتيجة لذلك ألوف من الناس ٠

ويات الكعبة فى تلك الليلة غريقة ٠ ولما انبلج الصبح انهار
 جدارها الشامى وجانب من الجدارين الشرقى والغربى وسقطت
 درجة السطح ٠ فوقع الهلع بين الناس وانخلعت قلوبهم خوفاً ٠

وكان ماء هذا السيل ملحاً مُراً لونه يضرب إلى السواد .
فزاد هذا من رُعب الناس وفزعهم وهرعوا يقيمون الصلوات داعين
الله أن يكشف عنهم الغمة .

وخرج إليهم أمير مكة الشريف مسعود بن إدريس وأمر بفتح
سرانيب باب إبراهيم التي هي مجارى مياه المسجد الحرام -
ففعّلوا - واندفع الماء منها إلى أسفل مكة . . وأمر الشريف بإيقاد
الشموع في ساحة المسجد وأحضر الأشراف والأمراء والعلماء
والفقهاء والصلحاء وأخرجوا كنوز الكعبة وقناديلها الذهبية
المرصعة بالجواهر واللآلئ ووضعوها في بيت الشيخ جمال الدين
محمد الشيبى الواقع على جبل الصفا .

وفي يوم الجمعة توقف المطر فأمر الشريف أن ينادى في مكة
بالآتى :

- أيها الناس لقد توقف المطر فاهرعوا إلى المسجد
الحرام . . إلى بيت الله وقوموا بتنظيفه .
فتهاقت الناس ألوفاً إلى البيت وشرعوا في إزالة الطين الكائن
بالمطاف والساحة حول الكعبة وشمر الشريف أمير مكة عن
ساعديه وحمل مكتلاً وراح يرفع الطين ، شأنه شأن بقية الخلق .
وهكذا فعل الوجهاء والأمراء والأعيان والفقهاء .

ثم اعتلى الخطيب المنبر وخطب في الناس خطبة الجمعة ثم صلى بالناس في المطاف ، وبعد الصلاة شرعوا في رفع الحجارة التي سقطت من جدران الكعبة ٠٠ كما حمل العتالون «١» الأحجار ووضعوها في صحن المسجد .

وجمع الشريف أمير مكة شخصيات البلد ورجالاتها وقال لهم :

— لقد جمعتكم اليوم لأوجه إليكم عدة أسئلة مهمة ٠٠
قالوا .

— تكلم أيها الشريف ٠٠ كلنا آذان صاغية .

فقال لهم :

— السؤال الأول عن عمارة ماتهدم من جدران الكعبة وهل نبادر نحن إلى عمارتها في الحال باعتبارنا أولياءها الذائدين عن حوضها ، أم نعرض الأمر على الأبواب السلطانية وننتظر الرد ؟
قالوا :

— بل نبادر نحن إلى عمارتها على الفور أيها الأمير .
فعاد يسألهم .

— والسؤال الثاني ٠٠ من أي مال يكون التعمير ؟ بمال قناديلها ، أم بمال الأهالي ؟

(١) « العتالون » هم الجمالون ، ا هـ .

قال البعض :

— يعرض الأمر على الأبواب السلطانية فيما يختص

بالأموال .

وقال البعض الآخر :

— ولم لا يتعاون المسلمون على ترميمها بأموالهم ؟

فقال البعض الأول :

— السلطان مراد خان هو صاحب الولاية العظمى وهو

المستول الأول عن ترميمها — والرأى أن نكتب إليه ليقوم بدفع

كافة نفقات الترميم .

فقال البعض الآخر :

— وهل نترك الكعبة على حالها إلى أن يصل كتابنا إلى

السلطان مراد خان ، ثم يعود منه الجواب ؟

قال الشريف :

— لا بأس . سنضع عليها الحراس ، ثم نكتب إلى

السلطان وسوف أعمل على سفر الرسل فوراً إلى مصر ليلتقوا بوزير

مصر ويطلبوا منه عرض الأمر بأقصى سرعة ممكنة على السلطان .

ووصل من سنجق^(١) جدة خمسمائة دينار لصرفها على

عمارة الكعبة بصفة عاجلة . فقام الشريف بإحضار كمية من

(١) « سنجق » أى الدائرة — والكلمة : فارسية ، ا هـ .

الأخشاب وأمر العمال بإقامة ستار حول الكعبة .
ثم قاموا بعمل ستار أخضر ألْبَسُوهُ للكعبة ثم صلى الشريف
وطاف بها ثم سَمَحَ للناس بالصلاة والطواف بها .
ولما وصل الخبر بانهايار جدران الكعبة إلى المسلمين خارج
مكة والجزيرة العربية أحدث هياجاً شديداً خاصة وأن موسم الحج
كان على الأبواب . فرأى والى مصر ألا ينتظر ورود الأمر
السلطاني من القسطنطينية خوفاً من ازدياد التصدع في الكعبة
المشرقة .

وأرسل رضوان آغا من حاشية البلاط العثماني مندوباً من
قبله إلى مكة المكرمة وَخَوَّلَهُ صلاحية تامة لاتخاذ التدابير
العاجلة . وقد بدأ فعلاً في اتخاذ هذه التدابير ، وعاونه الأهالي
متطوعين بمالهم وجهودهم ، وراحوا يرممون الكعبة .

وفي يوم الاثنين ٢٧ ربيع الثاني وقع مطر آخر بمكة وامتلات
ساحة المسجد من حول الكعبة بالمياه ثانية وكان ذلك أثناء طواف
الناس ، فراح بعضهم يطوف سِبَاحَةً ، وسقط بفعل هذا المطر
الآخر حجران كبيران من الجدار الغربي وأحجار أخرى صغيرة في
نفس اليوم . وفي اليوم الثاني تداعت كافة الأركان للسقوط ولم
تعد تصلح فكرة الترميم فصرف النظر عنها وبدأ التفكير في هدم
البناء كله وإقامة بناء جديد .

وعلى الفور بدأ العمال فى هدم البناء حتى وصلوا الحجر
الأسود ٠٠ وجاء المعلم محمد زين الدين فوزن الحجر الأسود
والحجر الذى فوقه فوجد أن الحجر الذى فوق الحجر الأسود
ناقص قدر ثلاثة قراريط تقريباً فقرر هدم كل البناء ما عدا الحجر
الأسود ٠٠

وبدأ البناء والشريف وأولاده ومعظم الوجهاء والأعيان
والعلماء والفقهاء يشتغلون مع العمال

وأثناء البناء تملل الحجر الأسود فى موضعه ، فخافوا أن
يسقط وينكسر ، فحاول المعلم على مرأى منهم جميعاً أن يعيد إليه
استقراره وسط إطار الفضة ولكنه لم يفلح وطارت من الحجر
الأسود أربع شظايا كادت تقع على الأرض ولكنهم تلقفوها فى
أيديهم وجأوا بكبير المعمارين السيد على بن بركات ، فلما رأى ما
حدث انزعج أشد الانزعاج وقال :

— يا أمة الاسلام إن أُخْرِجَ الْحَجَرُ مِنْ مَكَانِهِ تَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهُ
ولا والله تقدرون على ضمها وجمعها ، فدعوه مكانه وأصلحوا هذه
الشظايا التى طارت منه ٠٠

فلم يعجب هذا القول رضوان أغا ودارت بينهما محاوره
حاده قال على بركات فى نهايتها :

— الحجر الذى عليه الحجر الأسود خارج وفى بقائه خللٌ

لأنه ركن البيت وعليه عتبة الباب .

واستقر الرأي بالجميع في النهاية على إبقاء الحجر مكانه

وإعادة تلك الشظايا إليه .

وفي الثاني من ذى الحجة عام ١٠٤٠ هجرية انتهى كل عمل

بعمارة الكعبة المشرفة فأعادوا إليها كنوزها وقناديلها وكل ما كان

فيها ثم غسلوها بماء زمزم ثم طيبوها ويخروها واحتفلوا بها

احتفالاً كبيراً .

وفرّح المسلمون فرحة كبرى وقال الشاعر :

عاد بيت الإله بعد انهدامه

وغداً فائقاً لحسن نظامه

وأتتنا بشرى الهنا والتهانى

إذ أتانا بشيرنا بتمامه

فحمدنا الإله والحمد منا

لم يزل دائماً على إتمامه

وشكرناه إذ رأيناه قد قا

م وقزنا بثلثه واستلامه

العمل السعوي

وتمضى بنا قافلة الزمان لنشهد المرحلة الأخيرة لبناء الكعبة
المعظمة - وهى المرحلة التى تمت فى العهد السعودى الميمون الذى
حشد كل الطاقات وسخر كل إمكانيات العمارة الحديثة لتعمير
وتوسعة بيت الله الحرام .

وكانت مساحة المسجد الحرام ثابتة منذ البداية عند
حدودها التى وضعت أول مرة - ولكن المبانى من حول المسجد لم
تتوقف عند حد ٥٠ لقد ظلت تزحف وتزحف حتى اتصلت المنازل
المحيطة بالمسجد .

وهكذا كانت الحال بالنسبة للمسعى بين الصفوا المروءة فقد
دخلت المبانى الخاصة بينه وبين المسجد وأصبح على مر الأيام
طريقاً ضيقاً تقوم على جانبيه المحلات التجارية المختلفة التى ترتفع
فوقها المساكن .

وهذه المساحة التى ظل المسجد محصوراً فيها - إن كانت
تتسع فى الماضى لبضع عشرات من ألوف الحجاج فى كل موسم أيام
لم تكن للسفر وسائل غير الدواب وسفن الشراع - فإنها بدأت
تضيق بالوافدين منذ تحول السفر إلى البواخر السريعة والسيارات

والطائرات - نعم ، لقد ازداد عدد الحجاج زيادة بالغة وأصبح عدد الوافدين في كل موسم يزيد عن سابقه . وبدأت أروقة المسجد الحرام ورحابه تضيق بهم خاصة وقت الصلاة وفي أيام الجمع والمواسم بالذات حيث كان معظم الحجاج يضطر إلى أداء الفريضة في الطرقات والأزقة المحيطة بالحرم وكان الحجاج يشعرون بالضيق وكان أهل مكة وسكانها يشعرون به أيضاً ، وطالما ارتفعت الأكف بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يهييء للبيت من يقوم بتوسيع رقعته وتجديد عمارته .

وكانت البشرية بالاستجابة والبدء في توسعة الحرم عندما أعلن إنهاء العمل الأساسى في توسعة المسجد النبوى التى كان العمل يجرى فيها منذ عام ١٣٧٠ هجرية . وفى تلك المناسبة استمع الناس إلى المذيع يعلن إصدار جلالة الملك خادم الحرمين مرسوماً ملكياً بأن تنقل جميع الآلات والمعدات التى استخدمت في مشروع المسجد النبوى إلى مكة المكرمة للشروع فوراً في توسعة المسجد الحرام .

وفي الرابع من ربيع الثانى عام ١٣٧٥ هجرية بدأت الأعمال الأولية لوضع الحجر الأساسى وبدأت أعمال هدم البيوت والمساكن والمحلات اللازمة في المرحلة الأولى للتوسعة . ثم نُقلت الأبنية إلى خارج منطقة مكة

وشهد يوم الخميس ٢٣ شعبان من نفس العام احتفالاً كبيراً
ضخماً أقيم أمام الباب الرئيسى للحرم الشريف لوضع الحجر
الأساسى فى توسعة المسجد الحرام - حضره جلالة الملك والأمراء
وكبار أعيان المملكة ووجهائها وكثير من مندوبى الدول
الإسلامية .

وقام جلالة الملك خادم الحرمين بوضع الحجر
الأساسى ، وكان هذا إيذاناً بابتداء مراحل البناء وشرع على الفور
فى صب قواعد الأسمنت والخرسانة المسلحة التى أقيم عليها
جدران التوسعة .

ولم ينقض شهر ذى القعدة من نفس العام حتى تم تحويل
القسم الأكبر من الطريق القديم إلى شارع جديد . .
وبذلك انقطع المرور من المسعى وبذلك أمكن للحجاج لأول
مرة منذ مئات السنين السعى بين الصفا والمروة وهم فى اطمئنان
وخشوع لا يزعجهم مرور السيارات والعربات كما كان يحدث
بالماضى .

والمسعى حالياً يتكون من طابقين وطوله ٤٢٠ متراً والطابق
الأول يتكون من قسمين أحدهما للذهابين والثانى للآتئين
يتوسطهما طريق خاص ينقسم بدوره إلى قسمين للذهابين والآتئين
٢٣٥

من المرضى والمسنين الذين يضطرون إلى ركوب عجلات خاصة
يدفعها الصبيان .

ويبلغ ارتفاع المسعى ١٢ متراً وله ثمانية أبواب ٠٠ وبين
الصفاء والروة والمسجد الحرام أبواب ونوافذ لا تحجب الكعبة
المشرفة عن الساعين ٠٠

وكان في مقدمة ما عنى به المسئولون عن تنفيذ مشروع
التوسعة والإصلاح تجنب المسجد اندفاعات السيول الجارفة
وانحداراتها بفعل الأمطار من أعلى جبال مكة إلى ساحة المسجد
كما كان يحدث بالماضى عندما كانت الكعبة تغرق في مياه
السيول .

ولهذا عملوا على تحويل مجرى السيول إلى مجار خاصة
تبدأ من تحت الرصيف في الجانب الجنوبي .

وبينما العمل كان جارياً في توسعة المسجد الحرام وتجديد
عمارته اتضح أن في بناية الكعبة المعظمة خلافاً في السقف وتصعداً
في بعض الجدران ٠٠ وقد صدر الأمر الملكي الكريم على الفور
بتشكيل لجنة من العلماء والفنيين للكشف عن موضع الخلل
واقترح ما تراه واجباً لإصلاحه .

وبعد أن قامت اللجنة بالدراسة والفحص تقدمت بتقرير

شأمل إلى جلالة الملك خادم الحرمين الذي أمر على الفور بالبدي
في أعمال الترميم .

وفي صباح الجمعة ١٨ رجب سنة ١٣٧٧ هجرية وفي احتفال
برأسه حضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد بدأ
العمل في إصلاح الكعبة وترميم ما كان بها من خلل ، واستمر
العمل حتى تم تجديد سقف الكعبة المشرفة وترميم جدرانها على
أحسن ما يكون وأفضل ما يريجو المسلمون لهذا البيت المعظم الذي
هو قبلتهم في صلواتهم ويسعى إليه كل عام من استطاع إلى الحج
سبيلاً .

وفي يوم السبت ١١ شعبان عام ١٣٧٧ هجرية وضع جلالة
الملك المعظم خادم الحرمين آخر حجر في الكسوة الرخامية
التي على جدار الكعبة من الداخل في احتفال كبير . وكان هذا
إيذاناً بانتهاء العمل في العمارة المباركة .

ويبلغ ارتفاع الكعبة الآن ١٥ متراً ومسطحها
١٢ × ١٠,١ م . وبابها يرتفع عن الأرض بمقدار مترين
والصعود إليه بسلم خشبي متحرك مغطى بصفائح الفضة ٠٠
وباب الكعبة لا يفتح في السنة أكثر من ١٥ مرة ، وهي من الداخل
تقوم على ثلاثة أعمدة ضخمة ٠٠ وفي الناحية الشمالية يقع باب
٢٣٧

التوبة الذى يتم منه الصعود إلى سطح الكعبة ويغشى سقف الكعبة من الداخل وجانبها من جدرانها ستائر من الحرير الأحمر عليها مربعات مكتوب فيها :

• (الله جل جلاله) ٠٠ وفى الناحية المقابلة لباب الدخول محراب ويقية الجدران مغطاة بالرخام المجزع ٠٠ وبالكعبة صندوق ضخم تحفظ فيه بعض متعلقاتها ٠٠ وقد تدلت من السقف قنابيل ضخمة من الذهب وقد رصعت بالجواهر واللآلئ

وتبلغ مساحة المسجد الحرام الآن ١٠٤٣٦ مترا •

وتبلغ مساحة المسعى الآن ١٠١٧٢ مترا •

وتبلغ مساحة المسجد الحرام الدور الأول من الأروقة

والمسعى ٧٠٦٠٨ •

وتبلغ مساحة الدور الثانى بما فيه المسعى ٦٠٥٦٠ •

وتبلغ مساحة البدرومات التى تحت الأروقة ٢٩٠٠٠

• متر

وتبلغ مساحة المسجد بطاقميه وبدروماته ١٦٠١٦٨ متراً •

وهى مساحة تتسع لأكثر من ثلاثمائة ألف من المصلين فى

وقت واحد يؤدون صلاتهم فى سعة واطمئنان ٠٠ مع قدرتهم

على مشاهدة الكعبة المعظمة مهما بعد مكانهم عنها •

وللمسجد ٢٣ باباً ثمانية في الشمال هي .

باب الدريبة وباب المحكمة وباب الزيادة وباب القطبي وباب
الباسطية وباب الزمامية وباب عمرو بن العاص وباب سعود وهو
باب رئيسي .

ومن الجهة الجنوبية سبعة أبواب هي :

باب أم هانئ وباب العجلة وباب الرحمة وباب أجياد وباب
الصفاء وباب مخزوم وباب بازان .

ومن الجهة الشرقية أربعة أبواب هي :

باب علي وباب العباس وباب النبي صلى الله عليه وسلم
وباب السلام وهو باب رئيسي وأول باب يدخل الحجاج منه إلى
الحرم عند طواف القدوم .

ومن الجهة الغربية ثلاثة أبواب هي .

باب إبراهيم وباب الجزيرة^(١) وباب العمرة وهو باب .

رئيسي .

وترتفع في المسجد سبع منائر هي .

منارة باب العمرة ومنارة باب السلام ومنارة باب علي ومنارة

الجزيرة ومنارة باب الزيادة ومنارة الصفاء ومنارة باب سعود .

وقد جعل جانب من واجهة القسم الغربي سبيلاً لسُقيا

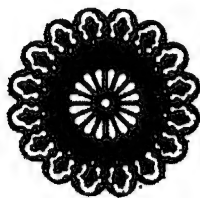
(١) الجزيرة سوق مكة ومُخِلَت في المسجد عند الزيادة وتصحف هذا الاسم إلى كزورة

وَجَزُورَة وَجَزُورَة (شفاء ج ١ ص ٢٣٦) .

الحجاج من ماء زمزم الذى يصله من البئر بواسطة المواسير .
 كما جعل جانب من واجهة الجنوب سبيلاً على نفس النحو لنفس
 الغرض وذلك لتخفيف ضغط الحجاج على زمزم رغم أنها قد
 اتسعت وأُعدت وفق أحدث طراز معمارى وهيئت لاستقبال أكبر
 عدد ممكن من الناس .

وهكذا استطاعت الأسرة السعودية الحاكمة أن توفر
 للهايين الذين يحجون بيت الله الحرام سعة من الأرض الطيبة
 المباركة بحيث يقضون مناسك حجهم ويتحركون فى بخبوجة
 وراحة من الطواف والمسعى . كما استطاعت أن تجعل مكة البلد
 الآمن . أم القرى صاحبة الشخصية التاريخية الدينية الفذة
 والنور المتألق بوهج القداسة وسنا الأصالة والعراقة . .

استطاعت أن تجعلها تجمع إلى جوار كل ما تقدم تطوراً
 عصرياً مُتَّزِنَ الخطوات وتحضراً يحكمه العقل وتسيطر عليه
 الحكمة .



كِسْوَةُ الْكَعْبَةِ

كان أول من كسا الكعبة إسماعيل عليه السلام ومن بعده بعض أولاد نوح . ثم جاء تبع الثالث نادماً مستغفراً وقد كساها كسوة كاملة من الوصائل^(١) وقد قال تبع في ذلك شعراً هو :

وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ
اللَّهُ مَلَأَ مُنْضِداً وَيُرَوِّدَا
وَأَقَمْنَا بِهِ مِنَ الشُّهُورِ عَشْرًا

وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيدًا
وَخَرَجْنَا مِنْهُ نَوْمٌ سَهِيلًا
وقد رفعنا لواعنَا المعقودَا

وبعد تبع كساها الكثيرون في الجاهلية ، فقد كان العرب يهتمون بكسوة الكعبة ويرون في ذلك واجباً من الواجبات الدينية . وكان مباحاً لكل من يريد أن يكسو الكعبة أن يفعل متى شاء ومن أى نوع شاء .

وكانت الكسوة تصنع من الخصف^(٢) والوصائل^(٣) والانتطاع^(٤) والكرار^(٥) والديباج^(٦) والخز^(٧) والنمارق العراقية^(٨) والجبر^(٩)

(١) « الوصائل » هي ثياب مخططة بيضاء - والخصف : جلال - والانتطاع هي البسط - والكرار : وهو الكساء ١٠ هـ .

اليمانية والأنماط ، وكلها أنواع من النسيج كانت معروفة في
الجاهلية .

وكانت الكسوة توضع على الكعبة بعضها فوق بعض فإذا
ثقلت أو يَلَيْتَ أزيلت عنها وقُسمت أو دفنت .

عن ابن أبي مليكة أنه قال : (بلغني أن الكعبة كانت تُكسى
في الجاهلية كُسا شتى . . كانت البدنة تُجلَّلُ الحبرة والبُرود
والأكسية وغير ذلك من عمل اليمن — كانت تُهدى إلى الكعبة فيعلق
بعضها على الكعبة ويحفظ الباقي في خزانها فإذا بلى منها شيء
أُخلف عليها مكانه ثوب آخر ، ولا ينزع مما عليها شيء من
ذلك " (١) . وكان يهدى إليها بخور ومجامر لتطيب به في داخلها
وخارجها .

والمعروف أيضاً أن قريشا كانت ترافد في كسوة الكعبة أي
تتعاون والقبائل على ذلك بقدر طاقتها من عهد قصي إلى أن نشأ أبو
ربيع بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو المخزومي الذي كان يختلف
إلى اليمن للتجارة ، فأصاب ثراءً واسعاً فقال لقريش :
— أنا أكسو وحدي الكعبة سنة . . وجميع قريش سنة .
فوافقت قريش على ذلك وظل يفعل حتى مات . . وكان يأتي

(١) . . . ولا ينزع مما عليها شيء . . . حتى خيف عليها من تراكم الأكسية

أهـ - وشيبة بن عثمان أول من جردها بأمر معاوية ١٠ هـ .

بالحِبرَة الجديدة من (الجَنْدِ - وهى بلد بأرض اليمن) فيكسو
الكعبة بها ، فسمته قريش (العَدْلَ) لآنه عدل فعله بفعل قريش
كلها ٠٠ ويقال لولده (بنو العَدْل) ٠

وقيل : إن خالد بن جعفر آصاب لَطِيْمَةً «١» فى الجاهلية
فيها نَمَطٌ من ديباج ، فأرسل به إلى الكعبة فوضع عليها ٠

قال الحافظ : فكان هذا الرجل أول من كسا الكعبة
الديباج ٠٠ وقال الدارقطني : إن أول من كسا الكعبة الديباج
نَتِيلَةُ بِنْتِ حَيَّانَ والدة العباس بن عبدالمطلب - وكانت قد أضاعت
العباس صغيراً ، فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ٠

وكانت الكعبة فى الإسلام تكسى يوم عاشوراء إذا ذهب آخر
الحجاج وفعل ذلك بنو هاشم ، فكانوا يعلقون عليها القُمَصَ يومَ
التروية - والديباج ، فإذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها
الإزار ٠

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يوم
عاشوراء فقال :
(٠٠ هذا يوم عاشوراء يوم تنقضى السنة وتُسْتَرُّ
الكعبة) ٠

وقد كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية

(١) « لطيمة » اللطيمة : وعاء - والنمط : ضرب من البسط ١٠ هـ -

ثم كساها عمر وعثمان القباطى ثم كساها الحجاج الديباج ،
وكان الاغنياء والامراء والملوك والعظماء فى كل مكان يرسلون إليها
الكساوى المختلفة فتحفظ بداخلها إلى أن يَبْلَى ما عليها فيرفع
ويوضع الجديد .

وقيل : إنها كانت تكسى كل سنة كسوتين ٠٠ ثم أصبحت
تكسى ثلاث مرات كل سنة ٠٠ وأفضل ما كانت تكسى به القباطى
وهو جمع قُبْطِيَّةٍ - وهى ثوب من ثياب مصر رفيعة الصنع دقيقة
الخيوط - وأما الرصائل فثياب حُمْر مخططة تصنع باليمن ٠٠
وأما الحِبرَاتُ فهى ما كان من البرود مخططاً وتصنع باليمن
أيضاً - وأما الأنماط فهى نوع من البُسْط الجيدة - وأما الديباج
فهو الحرير .

وكسيت الكعبة أيام الفاطميين بالديباج الأبيض ثم الأصفر
ثم الأخضر ثم الأسود - وقد استمر اللون الأسود إلى يومنا هذا .
وكانت مصر ترسل فى كل عام الكسوة السوداء الخارجية
للكعبة وكسوة أخرى حمراء لداخلها - كما كانت ترسل كسوة
خضراء للحجرة الشريفة النبوية .

وكانت للكعبة وقفية بمصر من عهد عمر بن الخطاب يتفق
منها على كسوتها ٠٠ ثم تعهدت الحكومة بصنع الكسوة من مالها
العام ٠٠ وكان لخروج الكسوة فى مصر احتفال رائم كل سنة

يحرص كل مسلم على مشاهدته .

وتصنع الكسوة الآن بمصنع خاص لها بالسعودية ، ويتم صنعها من الحرير الأسود السميك المبطن بالقطن الأبيض ، ولها حزام مطرز بالفضة والذهب مكتوب عليه بعض الآيات الكريمة ولبابها كسوة خاصة على شكل شارة كتبت عليها أيضاً بعض الآيات الكريمة .

ستارة باب الكعبة وما كتب عليها :

كتب في السطر الأول بأعلى الستارة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا »
(صدق الله العظيم) ١٤٤ : ٢

ثم كتب في السطر الذي يليه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ١٧ : ٨٠ »
(صدق الله العظيم)

ثم كتب في السطر الذي يليه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »
(صدق الله العظيم) ١٣٩ : ٣

ثم كتب فيما يلي ذلك :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، يَعْلَمُ
مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ
وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ
الْعَظِيمُ ٢ : ٢٥٥ » .

(صدق الله العظيم)

ثم كتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ ٤٨ : ٢٧ » .

(صدق الله العظيم)

ثم كتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً
أحد ١١٢ : ١ - ٤ »

(صدق الله العظيم)

ثم كتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وقل جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا *

وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ١٧ : ٨١ ، ٨٢ « .

(صدق الله العظيم)

ثم كتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ » .
١٠٦ : ١ - ٤ (صدق الله العظيم)

ثم كتب على جانب الستارة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ * مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَاحِقُ الْوَعْدِ الْيَقِينِ

ثم كتب حول ما تقدم :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ / الرَّحْمَنُ الْمَلِكُ يَوْمَ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ١ : ١ - ٧ » .
(صدق الله العظيم)

ثم كتب بين آيات الفاتحة في دوائر صغيرة :

(الله ربى) ٠٠

وكل هذه الآيات قد كتبت بأسلاك الفضة والقصب الفضى

المموه بالذهب بغاية الدقة والإتقان .

حُزَامُ الْكَعْبَةِ

يرتفع حزام الكعبة عن الأرض ما يقرب من عشرين

ذراعاً ٠٠ وعرضه ذراعان إلا قليلاً ٠٠ قد طرزت عليه بعض

الآيات الشريفة بأسلاك الفضة والذهب ٠٠ وقد كتب على الركنين

اليمنيين :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ * قِيَامًا لِلنَّاسِ *

وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ * ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ * وَأَنَّ اللَّهَ يَكِلُ شَيْءًا عَلِيمٌ ٥ : ٩٧ » .

(صدق الله العظيم)

وكتب بين الركن اليمنى والغربية :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَإِذَا يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ * رَبَّنَا

تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ

نَرِينَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا * إِنَّكَ أَنْتَ

التوابُ الرحيمُ ٢ : ١٢٧ ، ١٢٨ » .

(صدق الله العظيم)

وكتب على الحزام أيضاً :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ

من كلِّ فُجٍّ عميقٍ ٢٢ : ٢٧ » .

(صدق الله العظيم)

وكتب عليه أيضاً :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

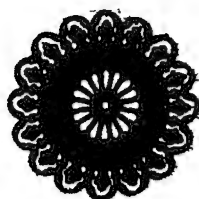
«ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً » .

٣ : ٩٧ (صدق الله العظيم)

وعندما يتم صنع الكسوة بالمصنع السعودي الواقع في
مدخل مكة تسلم إلى آل الشَّيْبِيَّ سِدْنَةُ الكعبة وخدامَها - تسلم مع
توابعها ومعها الطيبُ والبخورُ فتحفظ عندهم إلى صباح يومِ
النحر ٠٠ والحجاجُ في متى حيث تُجَرَّدُ الكعبة من ثيابها وتُغسل
وتُطَيَّبُ ٠ ثم تُسَدَّلُ عليها الكسوة الجديدة .

وعادة يشترك في غسيل الكعبة كافة الملوك والأمراء
والعظماء الذين يحضرون موسم الحج ويكون معهم دائماً جلالة
خادم الحرمين ٠٠

فیدخلون جميعاً إلى الکعبة حيث یوزع علیهم سديتها
 المکانس ٠٠ ویوزع شیخ الزمازمة سطول المیاہ ٠٠ ویتنافس
 الجميع فی نقل المیاہ عن زمزم إلى داخل الکعبة ٠٠ ثم یأخذون فی
 غسلها ، ثم یجفون الأرض والجدران بقطع الأسفنج ٠٠ ثم
 یطیبونها بعطر الورد والعنبر والعود والند ٠٠ وبعد الغسل
 والتطیب تسدل علیها ثیابها الجدیة ٠٠ ویعود الحجاج من منى
 فیرونها وقد اغتسلت وتطیبت وأخذت زینتها وابتهجت فترتفع
 أصواتهم فی ابتهالات حارة (الله أكبر ٠٠ الله أكبر ٠٠ لا إله إلا
 الله) ٠



سَدَنُ الْكَعْبَةِ

كان أول من قام بخدمة الكعبة الخليل إبراهيم عليه السلام ٠٠ ومنه آلت خدمة الكعبة إلى ولده إسماعيل عليه السلام ٠٠ وبعد وفاة إسماعيل صارت لأولاده إلى أن اغتصبها منهم آخوالهم جرهم ٠٠ ومكثت السدانة في جرهم عدة قرون إلى أن استولت عليها خزاعة عتوة ٠٠ ومكثت السدانة في خزاعة عدة قرون أخرى ثم آل أمر مكة والكعبة المعظمة إلى قصي القرشي - وهو الجد الخامس للنبي محمد صلى الله عليه وسلم - وقد استرجعها قصي من خزاعة بعد حرب مريرة دامية .

ثم أسلم قصي أمور السدانة إلى ولده الأكبر عبد الدار ، فظلت كذلك جاهلية وإسلاماً إلى أن استقر بها المطاف عند شيبه ابن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ٠٠ ولا يزال أولاده يتوارثونها كابراً عن كابر حتى عصرنا هذا .

وكان شيبه هذا قد خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين مشركاً يريد أن يغتال الرسول الكريم ٠٠ قرأه مقبلاً ، فقال رسول الله صلوات الله عليه وأزكى سلام : (يا شيبه هلم لا أم لك) .

فَقَذَفَ اللهُ فِي قَلْبِ شَيْبَةَ الرَّعْبِ وَدَنَا مِنَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ
فَوَضَعَ يَدَهُ الْكَرِيمَةَ عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِخْسَأْ
عَنْكَ الشَّيْطَانُ) فَخَرَجَ الرَّعْبُ مِنْ قَلْبِهِ وَحَلَّ مَحَلَّهُ الْإِيمَانُ
فَأَسْلَمَ " ١ " وَقَاتَلَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ مِمَّنْ
صَبَرَ مَعَهُ يَوْمَئِذٍ ٠٠ وَصَارَ مِنْ خِيَارِ الْمُسْلِمِينَ ٠

وَيُظْهِرُ مِنْ سِيَاقِ التَّارِيخِ أَنَّ الْقَاعِدَةَ الَّتِي صَارَ عَلَيْهَا آلُ عَبْدِ
الدَّارِ أَنَّ يَكُونَ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ بِيَدِ أَكْبَرِ الْعَائِلَةِ سِنًّا ٠٠ وَأَنَّ يَكُونَ
مَنْ يَحْمِلُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ هُوَ كَبِيرُ السَّدَنَةِ ٠

وَالسَّدَانَةُ تَشْمَلُ الْحِجَابَةَ ٠٠ أَيْ حِجَابَةَ بَابِ الْكَعْبَةِ وَحَمْلُ
الْمِفْتَاحِ ٠٠ وَالسَّقَايَةُ وَهِيَ سَقَايَةُ الْحِجَابِ فِي مَوْسَمِ الْحَجِّ ٠٠
وَالرَّفَادَةُ وَهِيَ إِطْعَامُهُمْ ٠٠ وَالْقِيَادَةُ وَهِيَ قِيَادَةُ النَّاسِ فِي
مَشَاعِرِ الْحَجِّ

أَمَّا حِجَابَةُ بَابِ الْكَعْبَةِ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - كَمَا سَبَقَ أَنَّ زَكَرْنَا - قَالَ لِعُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي
طَلْحَةَ :

(خذوها يَا بَنِي أَبِي طَلْحَةَ بِأَمَانَةٍ اللهُ سَبِّحَانَهُ ٠٠ وَاعْمَلُوا
فِيهَا بِالْمَعْرُوفِ خَالِدَةً تَالِدَةً ٠٠ لَا يَنْزِعُهَا مِنْ أَيْدِيكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ) ٠

٠ (١) ٠٠ فَأَسْلَمَ ٠٠ وَقِيلَ : أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ ٠ ١٠ هـ

أما الرفاة والسقاية والقيادة فلم تزل لعبد مناف بن قُصَيٍّ
فيقوم بها هو وأولاده حتى توفي ٠٠ قَوْلِي بعده عمرو بن عبد مناف
السقاية والرفاة وَوَلِيَّ عبد شمس القيادة ٠

وكان عمرو بن عبد مناف يَطْعَم الناس في كل موسم بما
تجمع عنده من ترافد قريش ٠٠ إِنْ كَانَ يَأْخُذُ مِنْ كُلِّ نَبِيحَةٍ تَنْبِجُ
فَخَذَهَا وَيَشْتَرِي الدَّقِيقَ مِنْ مَالِهِ الْخَاصِّ ثُمَّ يُؤْلِمُ الْوَلَائِمَ وَيُطْعِمُ
الْحَاجَّاجَ ٠٠ فلم يزل كذلك أمره حتى أصاب الناس في إحدى
السنين جَدَبٌ شَدِيدٌ ٠٠ فخرج إلى الشام واشترى بما كان لديه من
المال دَقِيقًا وَكَعْكًا وأخذ طريق مكة يريد العودة فتعثر الابل التي
كانت تحمل الكعك وسقطت بعضها فوق بعض فتَهَشَّمَ الْكَعْكُ ٠٠
فلما وصل الكعبة جعل الكعك المتَهَشَّمُ ثريدًا وأطعم الناس حتى
أشبعهم ومن ذلك اليوم سُمِيَ (هَاشِمًا) وقد ظل هذا اسمَه حتى
مات ٠

وكان عبد المطلب يطعم الناس رفاة ٠٠ فلما توفي قام بذلك
أبو طالب في كل موسم من مواسم الحج ٠٠ ثم جاء الإسلام قصار
النبي صلى الله عليه وسلم يطعم الناس على هذا النحو ٠٠ ولا تزال
هذه العادة متبعة عند بعض الأمراء والحكام العرب إلى يومنا
هذا ٠

وأما السقاية فقد كانت في يد عبد مناف كذلك ٠٠ وكان يحضر الماء من بئر (كُرَّادَم) (١) وبئر (خُم) (٢) ثم يسكب هذا الماء في حياض بفناء الكعبة ليشرب منه الحاج ٠٠ وذلك لأن بئر زمزم كانت في ذلك الوقت مطموسة ومكانها غير معروف فلما آل الأمر إلى هاشم بن عبد مناف حفر بئر (بَنَّر) (٣) ثم بئر (سَجَلَة) (٤) وظل يسقى الناس حتى مات فقام بأمر السقاية من بعده عبد المطلب بن هاشم ٠٠ فلم يزل الأمر كذلك حتى أعاد حفر زمزم وتطهيرها فكانت بركة عليه وعلى الحجاج جميعاً ٠٠ ولا تزال كذلك ٠٠

وكان لعبد المطلب إبل كثيرة فكان إذا حل الموسم جمع لبنها يومياً وأضاف إليه العسل وسكب الخليط في حياض الكعبة ليشرب

(١) « كُرَّادَم » الكر - بالضم والفتح - هو القلب ، وهذه البئر تسمى - بئر آدم ، بين المعلاة ومعنى ١٠ هـ -

(٢) « خُم » خُم ، ورم : بئران ، حفرهما عبدشمس بن عبدمناف ، وهما بمكة ، وقال الشعراء :

حفرت خُما وحفرت رُما حتى ترى الجدلاً قد تما

وقيل : خُم ، حفرها مرة بن كعب بن لؤي ، وهذه البئر غير خُم التي بين مكة والمدينة ١٠ هـ -

(٣) « بَنَّر » بئر بمكة لبنى عبدالدار - ونكر : ان هاشم بن عبد مناف ، هو الذي حفرها ، وهي عند خضم جبد الخدمة على فم شعب أبي طالب ١٠ هـ -

(٤) « سَجَلَة » بئر حفرها هاشم ، فوهبها أسد بن هاشم لعدي بن نوفل ، وقيل : حفرها قصي ١٠ هـ -

الحجيج ٠٠ ولما توفي عبد المطلب تولى أمر السقاية بعده العباس
ابن عبد المطلب فلم تزل في يده حتى جاء الإسلام ودخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح فقبض الحجابة من عثمان
والسقاية من العباس ٠٠ فقال العباس :
- يا رسول الله بأبي أنت وأُمى ٠٠ اجمع لنا الحجابة
والسقاية ٠٠

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أعطيكُم ما ترزؤون
فيه ولا ترزؤون به) . فقام صلى الله عليه وسلم بين
عضادتي باب الكعبة فقال :

(أَلَا إِنَّ كُلَّ دَمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ مَأْثَرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ٠٠ فَهِيَ
تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ إِلَّا سَقَايَةَ الْحَجَّاجِ وَسَدَانَةَ الْكَعْبَةِ ٠٠ فَإِنِّي قَدْ
أَمْضَيْتُهَا لِأَهْلِهَا عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ) .

وَأَمَّا الْقِيَادَةُ فَقَدْ وَلَّيْتُهَا مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَاظٍ عَبْدُ شَمْسٍ ثُمَّ وَلَّيْتُهَا
مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ أُمَيَّةٌ ، وَمِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ حَزْبٌ الَّذِي قَادَ النَّاسَ يَوْمَ
عَكَاظٍ فِي حَرْبٍ قَرِيْشٍ وَقَيْسِ عَيْلَانَ ، وَفِي الْفَجَارَيْنِ الْفَجَارِ الْأَوَّلِ ،

والفَجَارِ الثَّانِي "١" ٠٠ ثم جاءَ من بعده أَبُو سَفْيَانَ بْنِ أُمَيَّةَ فَقَادَ
بعد أبيه حتى كان يوم بدر فَقَادَ النَّاسَ عُنْتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ثُمَّ عادَ أَبُو
سَفْيَانَ فَقَادَ النَّاسَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ ، وَكَانَتْ آخِرَ واقِعَةٍ ٠٠ ثُمَّ جَاءَ
اللهُ بِالْإِسْلَامِ وَفَتَحَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ ٠

وَتَعْتَبَرُ حِجَابَةُ الْكَعْبَةِ مِنْ أَوَّلِ وَأَهَمِّ أَعْمَالِ السَّدَانَةِ ٠٠ أَوْ
هِيَ أَكْبَرُ الْوُضَائِفِ السَّدَانِيَةِ عَامَةً ، وَأَصَحَابُهَا هُمُ الَّذِينَ يُشْرَفُونَ
عَلَى قَتْحِ بَابِ الْكَعْبَةِ الْمُعْظَمَةِ وَدُخُولِ النَّاسِ إِلَيْهَا ٠

وَدُخُولِ الْكَعْبَةِ الْمُعْظَمَةِ مِنْ قَضَائِلِ الْأَعْمَالِ وَالسَّنَنِ
الْمُسْتَحْبَةِ ٠٠ فَقَدْ دَخَلَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٠٠ وَكَانَ
الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ وَالْعُظَمَاءُ وَكِبَارُ الْقَادَةِ فِي الرَّأْيِ وَالْفِكْرِ وَالْعِلْمِ -
كَانُوا وَلَا يَزَالُونَ يَتَهَاوَنُونَ عَلَى دُخُولِ الْكَعْبَةِ وَالصَّلَاةِ فِيهَا
وَيَعْتَبِرُونَ ذَلِكَ شَرْفًا مَا بَعْدَهُ شَرَفٌ ٠

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من دخل البيت وصلى فيه دخل في حسنة وخرج من سيئة
مغفوراً له) ٠

(١) « والفجار الثاني » سميت بالفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم ، فقالوا : قد
فجرنا - وفي مجمع الأمثال (ج ١ ص ٢٦) . أيام الفجار أربعة أفجرة ٠ الأول بين كنان
وهوازن . والثاني بين قريش وكنانة ، والثالث بين كنانة وبنو نصر بن معاوية ، والرابع -
وهو الأكبر - بين قريش وهوازن - وبينه وبين مبعث الرسول ست وعشرون سنة ، وشهده
الرسول وله أربع عشرة سنة ١٠ هـ ٠

وروى الفاكهي عن الحسن أنه قال :

— الصلاة في الكعبة تعدل مائة ألف صلاة

وروى الفاسي عن الحسن البصري في رسالته المشهورة

قال :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من دخل الكعبة

دخل في رحمة الله عز وجل وفي حمى الله تعالى وفي آمن الله عز وجل

ومن خرج خرج مغفوراً له) •

وقال الفاسي :

— اتفق الأئمة الأربعة على استحباب دخول البيت •

واستحسن مالك كثرة الدخول •

وقد روى النسائي في سننه عن أسامة بن زيد أنه دخل مع

النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة فمضى الرسول الكريم حتى

إذا كان بين الأسطوانتين اللتين تليان باب الكعبة جلس فحمد الله

وأثنى عليه واستغفره ثم قام حتى أتى ما استقبل من دبر البيت

فوضع وجهه وخده عليه فحمد الله وشكره وسأله واستغفره ثم

انصرف إلى كل ركن من أركان الكعبة فاستقبله بالتكبير والتهليل

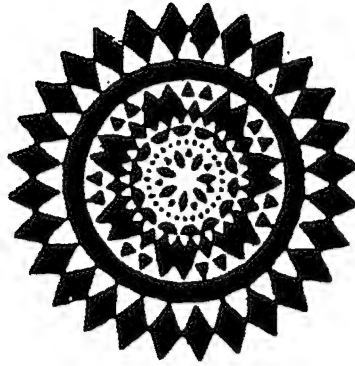
والثناء على الله والمسألة والاستغفار ثم خرج " ١ " •

(١) ، ثم خرج ، كان ذلك في فتح مكة ، وكان مع أسامة بلال ، وعثمان بن طلحة —

ولا أحد معهم ، واغلقوا الباب ، وثبَّتوا حيناً ، وصلى رسول الله في داخل الكعبة — كما في

كتب السنة ١٠ هـ •

ويلى سدنة الكعبة طبقة من الخدم - العبيد والأغوات -
وهؤلاء قد أعتقوا وعاشوا لخدمة الكعبة وتنظيف البيت ولهم
مرتبات شهرية ولهم رتب وظيفية وعليهم حفظ مفاتيح الغرف التى
تحتوى أدوات التنظيف والأدوات الصحية وغيرها ٠٠ ومهمة
هؤلاء ٠٠ هى كنس مدار المطاف وحجر إسماعيل وتنظيم
صقوف المصلين وملاحظة تصرفات الواقدين على الحرم من
الأطفال والصبيان وغيرهم ٠



التَصَرُّقُ فِي أَمْوَالِ الْكُفَّةِ وَكُوزِهَا

تعرضت الكعبة وما فيها من كنوز وأموال وما عليها من كسوة وحلى عبر القرون والعصور للكثير من حوادث السرقة والنهب . . . كما تعرضت للكثير من التصرفات الأخرى . . . وقد نتحدثنا في فصول سابقة عن بعض هذه السرقات . . . وسوف نتحدث هنا عن التصرفات الأخرى السليمة منها وغير السليمة :

روى الأزرقي في كتابه (أخبار مكة) أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد في الجُبِّ « ١ » الذي بالكعبة سبعين أوقية من ذهب مما كان يهدى إليها وأن علياً كرم الله وجهه قال (يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حريك) فلم يحركه الرسول الكريم .

وروى عن الحسين بن علي أن عمر رضى الله عنه قال لعلي كرم الله وجهه : (لقد هممت أن أقسم هذا المال) فقال له علي (إن استطعت ذلك) فقال عمر (وما لي لا أستطيع ذلك ؟ أو لا تعينني على ذلك ؟) فقال علي : (إن استطعت ذلك) فريدها عمر ثلاثاً ، فقال علي كرم الله وجهه : (ليس ذلك إليك) فقال عمر (صدقت) .

(١) « في الجُبِّ » هو البئر التي كانت بالكعبة ، يطرح فيها ما يهدى لها ١٠ هـ

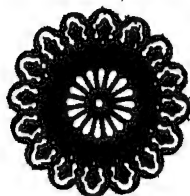
وقال الحافظ بن حجر : إن الفاكهي روى عن طريق علقمة ابن أبي علقمة - أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت (دخل عليّ شبيبة الحَجَبِيّ فقال - يا أم المؤمنين إن ثياب الكعبة تجتمع عندنا فتكثر فننزعها ونحفر آباراً نَعْمَقُهَا وندفنها لكيلا تلبسها الحائض والجنب - قالت (بئسما صنعت ولكن بعها فاجعل ثمنها في سبيل الله وفي المساكين فإنها إذا نزعْتَ عنها لم يضر من لبسها من حائض أو جنب) • فكان شبيبة يبعث بها إلى اليمن فتباع له فيضعها حيث أمرته •

وروى نجم الدين بن فهد القرشي في (إتحاف الوري) عند تعرضه لذكر حوادث عام ٢٠٠ هجرية أن الحسين بن الحسن الأقطس أخذ ما في خزانة الكعبة وكان مالا عظيماً وقال (ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعاً لا ينتفع به • نحن أحق به نستعين به) ثم قسمه على نفسه وأصحابه وقسم الكسوة أيضاً • وذكر ابن فهد في حوادث سنة ٢٦٦ هجرية : أنه في يوم التروية قدم محمد بن أبي السَّاجِ مكة فحاربه المخزومي ولكن محمداً هزمه واستباح ماله ثم وثب أصحابه على كسوة الكعبة وانتهبوها •

كذلك فقد ذكر ابن فهد : أن أمير مكة أبو هاشم محمد بن جعفر المعروف بابن أبي هاشم الحَسَنِيّ أخذ قناديل الكعبة

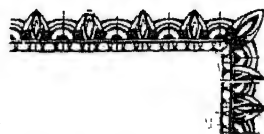
وستورها والصقائح التى كانت تغطى الباب سنة ٤٦٢ هجرية .
 وذكر التَّقَى الْقَاسِيَّ فى كتابه (شفاء الغرام فى حوادث ٤٠٢ هجرية) : أَنَّ الوزير أَبَا القاسم المغربي لما قتل الحاكم أَبَاه هرب
 إِلَى آلِ الجَرَّاح واستجار بهم فبعث إِلَيْهم الحاكم من حارِبهم فكان
 النصر لآلِ الجَرَّاح - فحسَّن لهم الوزير المغربي عزل الحاكم
 ومبايعة أَبِي الفتوح بمكة وحسَّن له طلب الخلافة - فاعتذرله بقلَّة
 المال فنصحه بأخذ مال الكعبة . ولم يزل به حتى أَخَذ مال الكعبة
 وَأَمْوَالًا أُخْرَى لتجار من جُدة .

ويذكر التاريخ عدا ذلك الكثير من الحوادث التى تعرضت
 فيها الكعبة بِأَمْوَالها وكنوزها للسرقة والنهب ومختلف أَلْوَان
 الاعتداءِ . . ولكننا نكتفى بما تقدم لأهميته وإِجماع المصادر
 والمراجع كلها على صحته .





حجّة الوداع



لا ينبغي لنا أن نفرغ من هذه الدراسة قبل أن نستعرض
حجة الوداع التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم . . . وأن
نعيش معه تلك الأيام العشرة الأوائل من شهر ذي الحجة التي
فضلها الله سبحانه وتعالى فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ
إِذَا يَسَّرُ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ٨٩ : ١ - ٥)
(صبق الله العظيم)
والتي أنزل فيها عز وجل الآيات البيّنات . . .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ * فَلَا تَحْشَوْهُمْ
وَاحْشَوْنِ * الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ * وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي * وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ٣ : ٥ » . (صبق الله العظيم)
والتي قال عنها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :
« ما من أيام العمل الصالح فيها أحبَّ إلى الله من هذه
الأيام » .

ويقول عليه أزكى السلام عن أحدها وهو يوم عرفة :

« ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيبَاهي بِأَهْلِ الْأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ فيقول :

انظروا إلى عبادي شُعْتًا غُبْرًا ضَا حِينَ جَاءُوا مِنْ كُلِّ قَبْجٍ عميق يرجون رحمتي ولم يروني ويتعوّثون من عذابي ولم يروه أشهدكم ياملائكتي أَنِّي قد غفرت لهم » .

هذه الأيام العشرة الحافلة بالذكريات الخالدة العزيزة على كل نفس . . . والتي يلتقى فيها الحجاج بربهم في بيته وينزلون ضيوفاً عليه سبحانه . . . عند زمزم والمقام والمشاعر العظام . . . يطوفون ويركعون ويسجدون ويسبحون على اختلاف ألوانهم ومذاهبهم ولغاتهم وجنسياتهم . . . فيجتمعون في مكان واحد أُلُوفًا مؤلّفة مجردين لافرق بين غنى وفقير . . . عظيم وحقير . . . يدعون رباً واحداً ويهتفون هُتافاً واحداً . . . (لبيك اللهم لبيك . . . لبيك لا شريك لك لبيك . . . إن الحمد والنعمة لك والملك . . . لا شريك لك) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(إذا كان يوم عرفة لم يبق أحد في قلبه مثقال نَرَّةٍ من إيمان إلا غفر له) .

فقيل : (اَللَّمْعَرَفِ » ١) أَمَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا يَارَسُولَ
 اللَّهُ (٩٠٠) .

فَقَالَ عَلَيْهِ أَزْكَى السَّلَامِ :

(بَلِ النَّاسُ عَامَةٌ) .

وَالْحَجَّ رَكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةِ وَفَرِيضَةً وَعِبَادَةً .

وَالْحَجَّ تَطْهِيرًا وَتَوْبَةً وَغُفْرَانًا .

وَالْحَجَّ تَضْحِيَةً وَإِيْثَارًا وَمَسَاوَاةً .

وَالْحَجَّ بَسْتُورًا لِلْحَيَاةِ وَإِقْرَارًا لِحَقُوقِ الْإِنْسَانِ .

وَالْحَجَّ وَحْدَةً وَتَعَاوُنَ وَقُوَّةً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

» ٩٧:٣ .

(صدق الله العظيم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وَأَنْتَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ

مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧:٢٢ » (صدق الله العظيم)

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ فَحُجُّوا »

(١) ، اللّمعرف ، المعروف : من أتى عرفة محرماً ١٠ هـ

فقال رجل : (آكَلَّ عام يارسول الله ٠٠)
 فسكت صلى الله عليه وسلم حتى كثرها الرجل ثلاثاً ٠٠
 ثم قال : (لو قلت نعم لوجِبَ ولما استطعتم)
 وفي يوم عرفة نكرى من أحب الزكريات وأعزها على النفس
 المسلمة ٠٠ نكرى خالدة مجيدة هى نكرى حجة الوداع
 عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : (إن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ٠٠ ثم أتى في الناس
 في العاشرة : آياها الناس ٠٠ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حاج ٠

فما كاد النبأ ينتشر بين الناس حتى توافدت الجموع المؤلفة
 إلى المدينة لنيل شرف الصحبة الكريمة في هذه الحجة العظيمة ٠٠
 وخرج وفد الحجيج بقيادة النبى صلى الله عليه وسلم لِسِتِّ بَقَيْنَ من
 ذى القعدة ٠٠ ومضى الرسول الكريم بهذا الوفد حتى نزل بذي
 الحليفة فصلى فيها العصر ركعتين ويات بها ليلة الجمعة ثم أحرم
 منها بعد صلاة الظهر ٠٠ ثم رفع صوته ملبياً عندما انبعثت
 رَاجِلَتَه والناس من خلفه يريدون :
 (لبيك اللهم لبيك ٠٠ لبيك لا شريك لك لبيك ٠ إن الحمد
 والنعمة لك والملك لا شريك لك) ٠٠

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل مكة وقد

انضم إليه ألوف الناس ثم دخل البيت الحرام من باب عبد مناف —
باب بنى شَيْبَةَ الآن — فلما اكْتَحَلَتْ عيناه الكريمتان بنور الكعبة
المشرقة رفع يديه الكريمتين وكبر ٠٠ ثم قال :

(اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ربنا ذا الجلال
والإكرام ٠٠ اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتكريماً ٠٠ وزد من شرفه
وكرمه تشريفاً وتكريماً) ٠

وقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود
فاستلمه ولم يزاحم عليه ٠٠ واندفع عمر بن الخطاب يزاحم لتقبيل
الحجر الأسود ٠٠ فقال له صلى الله عليه وسلم :

(يا عمر إِنَّكَ رَجُلٌ قَوِيٌّ ٠٠ لَا تَزَاحِمُ عَلَى الْحَجَرِ تُؤْذِي
الضَّعِيفَ ٠٠ إِنْ وَجَدْتَ خُلُوةً فَاسْتَلِمْهُ ٠٠ وَإِلَّا فَاسْتَقْبَلْهُ وَهَلَلْ
وَكَبِّرْ) ٠

فَنَقَذَ عمر بن الخطاب أَمَرَ رسول الله وصَاحَ : (بِسْمِ اللَّهِ
اللَّهُ أَكْبَرُ) ٠

ثم بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الطَّوْفَ من عند الحجر
الأسود جاعلاً الكعبة على يساره ٠٠ وطاف سبعة أشواط مَهْرُولاً
في الثَّلَاثَةِ الْأَوَّلِ وَمَاشِياً في الْأَرْبَعَةِ الْآخِرَةِ ٠٠ يستلم الحجر في كل
مرة ثم اتجه إلى مقام إبراهيم عليه السلام فصلى ركعتين قرأ فيهما

مع أم القرآن « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ١٠٩: ٦١ » و « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١١٢: ١٦١ » و « قُلْ قَبْلَ ذَلِكَ ٠٠ » وقرأ قبل ذلك « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى ١٢٥: ٢ » ٠ ثم رجع إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم أتجه إلى الصفا وهو يقول :

« إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ١٥٨: ٢ » أَبْدَعُوا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ ٠٠

ثم استقبل البيت بوجهه الكريم من فوق الصفا وقال عليه
أزكى السلام ٠

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ٠٠ اللَّهُ أَكْبَرُ ٠٠ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ٠٠
أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ) ٠

وسعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة سبعة أشواط
مُبْتَدِئًا بِالصَّفَا وَمُنْتَهِيًا بِالمَرْوَةِ ، ٠٠

ثم أمر صلى الله عليه وسلم من لاهدى معه بالإحلال ولم يكن
ساق الهدى معه من أصحابه إلا طلحة بن عبيد الله ، وأبو بكر ،
وعمر ، والزبير ٠٠ وأمر من معه الهدى أَنْ يَبْقَى عَلَى إِحْرَامِهِ ٠
وضاق جمع من الصحابه بهذا الأمر ، فقد أَهْلَوْا بِالْحَجِّ

فكَيْفَ يَحْوِلُونَهَا إِلَى عُمْرَةٍ ؟

— فدخل صلى الله عليه وسلم على عائشة وهو غَضَبَان
فَقَالَتْ :

(من آغَضَبَكَ يارسول الله ادْخَلَهُ اللهُ النار)

فقال صلى الله عليه وسلم :

(أَوْ مَا شَعَرْتِ أَنْى أَمَرْتُ النَّاسَ بِأَمْرٍ فَإِذَا هُمْ

يَتَرَلَّثُونَ ؟)

كان صلى الله عليه وسلم يُرِيدُ أَنْ يَخَفِّفَ عَلَى أَصْحَابِهِ
فَالْإِحْرَامَ بِالْحَجِّ أَشَقُّ عَلَيْهِمُ وَالْمُتَمَتُّعُ بِالْعُمْرَةِ يَجِلُّ لَهُ كُلُّ مَا حَرَّمَ

عَلَى الْمُحْرِمِ وَيَبْقَى هَذَا حَالَهُ إِلَى يَوْمِ التَّرْوِيَةِ فَيُحْرِمُ بِالْحَجِّ .

وخرج صلى الله عليه وسلم إِلَى النَّاسِ وَقَامَ فِيهِمْ خُطْبِيًّا .

فحمد الله تعالى وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ :

(أَمَّا بَعْدُ : فَتَعْلَمُونَ أَيُّهَا النَّاسُ لَأَنَا وَاللَّهِ أَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ

وَأَتَقَاكُمْ لَهُ . وَلَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِى مَا اسْتَنْبَرْتُ مَا سَقَتْ هَدِيًّا

وَلَا خَلَلْتُ) . وَسَأَلَهُ سُرَاقَةُ الْعَامِنَا هَذَا ؟

فقال عليه السلام : دخلت العمرة في الحج لأبَدَ الأَبَدِ .

فلما كان يوم التَّرْوِيَةِ - وهو اليوم الثَّامِنُ مِنْ ذِي

الْحِجَةِ . . . أَهَلَّ النَّاسُ جَمِيعًا بِالْحَجِّ وَأَحْرَمَ كُلُّ مَنْ كَانَ قَدْ

أَحَلَّ . . . وَسَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَجَّاجِ إِلَى مَنَى فَبَاتَ لَيْلَةَ

التَّاسِعِ مِنْ ذِي الْحِجَةِ وَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ . . .

ثُمَّ بَاتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ - وَكَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ ، وَصَلَّى بِهَا الصُّبْحَ . . .

ثم انطلق بعد طلوع الشمس إلى عرفة ٠ وهناك نزل في مكان أعد له بموضع يقال له : نَمْرَةَ وَأَمْرَبَانْ تضرب له قُبَّةٌ مِنْ شَعْرِ حَتَّى إِذَا زالت الشمس أمر بناقته القَصْوَاءُ ثم ركبها وسار حتى أتى بطن الوادى فخطب وهو على القصواء وأمر ربيعة بن أمية بن خلف أن يردد للناس مايقوله هو ذلك أن صوت ربيعة كان قوياَ جَهَوْرِيًّا بعيد المدى "١" والناس في عرفة كانوا أُلُوفًا مؤلفة ٠

وقد بدأ صلى الله عليه وسلم بحمد الله والثناء عليه ثم قال :

(أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي ٠٠ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا آَلِقَاكُمْ بعد عامى هذا بهذا الموقف أَبَدًا ٠٠ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّ دَمَائَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رِيَكُمْ كَحَرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا وَكَحَرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَأَنْكُمْ سَتَلْقَوْنَ رِيَكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ - وَقَدْ بَلَغْتُ - فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤْدهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا ٠ وَإِنْ كُلُّ رَبٍّ مَوْضُوعٌ وَلَكِنْ لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ قَضَى اللَّهُ أَنَّهُ لَا رِبَا ، وَأَنَّ رِبَا عَبَّاسٍ بَيْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ وَأَنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ - وَأَنَّ أَوَّلَ دِمَائِكُمْ أَضْعَ دُمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ - وَكَانَ

مسترضعاً في يَئسَى سعد فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من نداء
الجاهلية .

أما بعد أيها الناس فإن الشيطان قد يئس من أن يُعبد
بأرضكم هذه أبداً ولكنه يطمع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما
تَحْقِرُونَ من أَعْمَالِكُمْ فاحذروه على دينكم .

أيها الناس . . . إن النسيءَ زيادةٌ في الكفر يضل به الذين
كفروا يحلُّونهُ عاماً ويحرمونه عاماً ليؤاْطئوا عدة ما حرم الله
وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض
وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حُرُمٌ - ثلاثة
متوالية ورجب مُضَر الذي بين جُمادى وشعبان .

أما بعد . . . أيها الناس فإن لكم على نساءكم حقاً . . . ولهن
عليكم حقاً لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تَكَرَّهُونه ،
وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مُبَيَّنَةٍ . . . فإن فعلن فإن الله قد أنن لكم
أن تهْجُرُوهُنَّ في المضاجع وتضريوهن ضرباً غير مبرِّحٍ فإن انتهين
فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن
عندكم عوانٍ لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما آخنتموهن
بإمارة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس
قولي فإنني قد بلغتُ . . . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به قلن
تَضِلُّوا أبداً . . . أمراً بيناً : كتاب الله وسنة نبيه .

أيها الناس ٠٠ اسمعوا قولي واعقلوه تَعْلَمَنَّ أَنَّ كل مسلم
 آخ للمسلم وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ فَلَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا
 أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ فَلَا تَظْلُمَنَّ أَنْفُسَكُمْ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ ؟
 وهنا ارتفعت أصوات المسلمين تَرَدَّد : اللهم نعم ٠٠ اللهم
 نعم ٠٠ اللهم نعم ٠٠ فعاد صلى الله عليه وسلم يقول :
 اللَّهُمَّ اشْهَدْ ٠٠ أيها الناس ، ٠٠ إِنَّ اللَّهَ قَدْ آدَى إِلَى كُلِّ ذِي
 حَقِّ حَقَّهُ ٠٠ وَأَنَّهُ لَا تَجُوزُ وَصِيَّةُ لُؤَارِثَ ، وَالْوَلَدُ لِلْقَرَّاشِ وَلِلْعَاهِرِ
 الْحَجَرُ ٠٠ وَمَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ
 اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ٠ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ٠
 اللهم هل بلغت ؟

ومرة أخرى ارتفعت الأصوات تهدير قائلة :

اللهم نعم ٠٠ اللهم نعم ٠٠ اللهم نعم ٠٠

فقال صلى الله عليه وسلم :

(اللَّهُمَّ اشْهَدْ)

فعادت الأصوات الهائلة تَرَدَّد :

نشهد أنك قد بلغت وأنتيت وَتَصَحُّتْ ٠

وَيَعْتَدُ إِلَيْهِ أُمُّ الْفَضْلِ زَوْجَةُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِبَنَاءٍ فِي

قَدَحٍ شَرِيهِ أَمَامَ النَّاسِ فَعَلِمُوا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ

صائماً تلك اليوم - يوم عرفة - وأمر عليه أن يركب الصلابة بلاً بأن
يؤذن للصلاة ثم أقام فضلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل
بينهما شيئاً ، فصلاهما مَجْمُوعَتَيْنِ فى وقت الظهر بأذانٍ واحدٍ
وإقامتين .

ثم ركب صلى الله عليه وسلم القَصُوءَ وسار حتى أتى
الموقف فاستقبل القبلة وأخذ يدعو من الزوال إلى الغروب مُرَبِّدًا :
(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحده ٠٠ لاشريك له ٠٠ له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير ٠٠)

وتقدم منه - وهو فى وقفته هذه - بعض أهل نجد فقالوا :
- كيف الحج يا رسول الله ؟

فأمر مناديه ربيعة بن أمية أن ينادى فى الناس قائلاً :
- الحج عرفة ٠٠ من جاء ليلة جَمَعَ قبل طلوع الفجر فقد
أدرك الحج ٠٠ أيام منى ثلاثة فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه
ومن تأخر فلا إثم عليه .
ثم قال صلى الله عليه وسلم :

وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف) .

قال ذلك وهو يقف على صخرات فى ساق الجبل والناس من
حوله يتزاحمون تزاحماً ٠٠ ونزل عليه صلى الله عليه وسلم وهو
على ناقته ٠٠ قوله تعالى

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت

لكم الإسلامَ ديناً ٣:٥ » .

ثم أمرهم الرسول صلوات الله عليه وأزكى سلامه بعد
الغروب بالاتجاه إلى طريق المزدلفة فانطلقوا جميعاً نحوه وخلفه
أسامة بن زيد . . فلما وصل الشعب الأيسر نزل عن راحلته
فتوضأ ثم ركب ثانية حتى وصل المزدلفة . وهناك صلى المغرب
والعشاء وجمع بينهما جمع تأخير ثم أنزل للنساء والصبيات أن
يتقدموا إلى منى . . فانطلقوا إليها ليلاً .

ولما تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر قام
صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس الصبح مُتَغَلِّساً ثم أتى المشعر
الحرام فوقف به وهو على القَصْوَاءِ واستقبل القبلة ودعا الله وكبر
وَهَلَّلَ وَوَحَّدَ وهنا جاءته امرأة وقالت :

— يارسول الله إن فريضة الله على عباده الحج قد أدركت

أبى وهو شيخ كبير لا يقوى عليه . . فهل أحج عنه ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : (نعم) .

. وَسَارَ صلى الله عليه وسلم حتى رمى جمرة العقبة سبع
حَصَيَاتٍ وقطع عليه الصلاة والسلام التلبية عند الرمي وصار
يكبر عند رمي كل حصاة . . ثم خطب في الناس بمنى وقال :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ۝ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟)

فَقَالُوا :

- يَوْمٌ حَرَامٌ

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟)

قَالُوا :

- بَلَدٌ حَرَامٌ

فَسَأَلَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟)

قَالُوا :

- شَهْرٌ حَرَامٌ

فَقَالَ عَلَيْهِ أَزْكَى السَّلَامِ : (فَإِنَّ بِلَادَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ
وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بِلَادِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ
هَذَا)

ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ الْكَرِيمَ وَقَالَ : (اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتَ ؟ اللَّهُمَّ
فَاشْهَدْ ۝ ۝ فَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ ۝ ۝ لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا
يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)

وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ
رَأَى ضَالِحًا فَقِيلَ لَهُ :

- مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ أَضْحَكَكَ اللَّهُ سَنَكَ ، وَقَدْ
عَهْدْنَاكَ لَا تَضْحَكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ ؟

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنْ اللَّهُ لَمَّا اسْتَجَابَ دَعَائِي
وَعَفَرَ لِلْحَاجِّ ذُنُوبَهُمْ أَخَذَ إِبْلِيسُ يَحْتُوُ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ وَيَدْعُو
بِالْوَيْلِ وَالتَّوْبِ) .

ثُمَّ اتَّجَهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَنْجَرِ يَمِينِي فَنَحَرَ بِعَدَدِ
سِنِّي عَمْرِهِ ثُمَّ أَمَرَ عَلِيًّا بِنَحْرِ مَا بَقِيَ مِنَ الْمِائَةِ بَدَنَةِ الَّتِي جَاءَ
بِبَعْضِهَا مَعَهُ وَجَلَبَ لَهُ بَعْضُهَا عَلَى مِنْ طَرِيقِ الْيَمَنِ
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَلِّي : (أَقْسَمُ لِحُومِهَا
وَجُلُودِهَا وَجَلَالِهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَا تَعْطِ جَزَاءً مِنْهَا شَيْئًا ٠٠ وَخَذْنَا
مِنْ كُلِّ بَعْزٍ جَنْبَةً مِنْ لَحْمٍ ٠٠ وَاجْعَلْهَا فِي قَدَرٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى نَأْكُلَ مِنْ
لَحْمِهَا وَنَحْسُوَ مِنْ مَرَقِهَا) .

وَضَحَّى أَيْضًا بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ ، وَضَحَّى عَنْ نِسَائِهِ
بِالْبَقَرِ .

ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (نَحَرْتُ هَاهُنَا ٠٠ وَمَنْتَى
كُلَّهَا مَنَحَرٍ ٠٠ وَفَجَّاجُ مَكَّةَ طَرِيقٍ وَمَنَحَرٍ ٠٠ فَانْحَرُوا فِي رِحَابِ
لَكُمْ) .

وَأَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَلَّاقِ فَجَاءَ مَعْمَرُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ^(١) فَحَلَّقَ لَهُ رَأْسَهُ وَقَسَمَ شَعْرَةَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ٠٠ أَعْطَى
مِنْ نِصْفِهِ النَّاسَ شَعْرَةَ وَشَعْرَتَيْنِ وَأَعْطَى نِصْفَهُ الثَّانِي كُلَّهُ أَبَا

(١) « معمر بن عبد الله » معمر بن عبد الله العبدي القرشي ، مهاجر الهجرتين ، مات في

خِلاَفَةِ عُمَرَ ١٠ هـ .

طلحة الأنصاري ٠٠ وتبعه الصحابة وبقية الرجال فحلّقوا وقصّروا بعضهم ٠ وقد دعا صلى الله عليه وسلم للمحلّقين بالمغفرة ثلاثاً وللمقصّرين مرة واحدة ٠٠ ثم تطيّب بطيب فيه مسك قبل أن يطوف طواف الإفاضة ٠٠ ثم ركب إلى مكة فطاف في نفس اليوم وشرب من ماء زمزم ٠٠ ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى منى وبقي فيها حتى اليوم الثالث الذي هو يوم النفر الآخر ونفر معه المسلمون بعد الزوال ٠ وأستانذه عمّه العباس في عدم المبيت بمنى في الليالي الثلاث من أجل السّقاية فرخّص له في ذلك ثم نزل صلى الله عليه وسلم في قبة بالأبطح^(١) وضعها له أبو رافع^(٢) ٠٠ وكان عليه السلام قال لأسامة : (غداً نزل بالمحصب) - وهو المكان الذي تحالفت فيه قريش وكنانة على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب ٠٠ حتى يسلموا إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، وكان ذلك سبباً في تسطير صحيفة المقاطعة - فلما نزل صلى الله عليه وسلم بالمحصب

قالت له عائشة رضى الله عنها

- (١) « بالأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى ، وهو المحصب ، وهو خيف بنى كنانة ، وحده : ما بين شعب عامر إلى شعب بنى كنانة من الحجون ، وانت ذاهب إلى منى ٠ هـ ٠
- (٢) « أبو رافع » مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم - اختلف في اسمه ، فقيل : اسلم ، وقيل : إبراهيم ، وقيل : صالح ٠ هـ ٠

(يارسول الله أرجع بحجة ليس معها عمرة ؟) •

فطلب عبد الرحمن بن أبي بكر وقال له :

(أَخْرَجَ بِأَخْتِكَ مِنَ الْحَرَمِ ثُمَّ أَفْرَغًا مِنْ طَوَافِكُمَا حَتَّى

تَلْتَمِسَانِي هَاهُنَا بِالْحَصْبِ) • فاعتمرا من التمتع وذهبا إلى البيت

ولما فَرَّغَا مِنْ طَوَاقِهِمَا عَادَا إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ

فَأَمَرَ بَأَنْ يُؤْذَنَ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ لَا يَنْصَرِفُوا إِلَى

بِلَادِهِمْ حَتَّى يَكُونَ آخِرَ عَهْدِهِمُ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ •

وبخل صلى الله عليه وسلم مكة في تلك الليلة وطاف طواف

الوداع سَحَرًا قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ •• ثُمَّ وَقَفَ فِي الْمَلْتَزِمِ بَيْنَ رُكْنِ

الْحَجَرِ وَبَابِ الْكَعْبَةِ فَدَعَا اللَّهَ وَأَلْصَقَ جَسَدَهُ وَوَجْهَهُ بِالْمَلْتَزِمِ ••

وَطَافَ سَبْعًا •• ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى •

وواصل صلى الله عليه وسلم سَيْرَهُ حَتَّى وَصَلَ ذَا

الْخَلِيفَةِ «١» فَبَاتَ بِهَا لِأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ لَيْلًا •• وَفِي

الصُّبْحِ اسْتَأْنَفَ سِيرَهُ فَلَمَّا طَالَعَتِ الْمَدِينَةَ عَزَّ بَعْدَ كِبَرِ ثَلَاثًا وَقَالَ

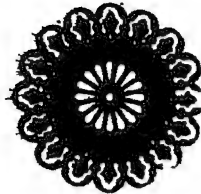
(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ •• لَا شَرِيكَ لَهُ •• لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ

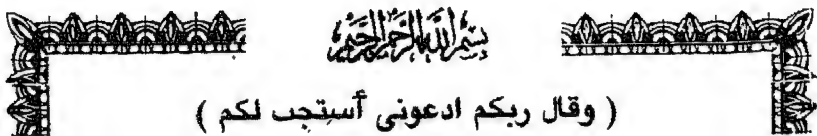
الْحَمْدُ • وهو على كل شيء قدير •• أَكْبَرُونَ •• تَائِبُونَ ••

عَابِدُونَ •• سَاجِدُونَ لِرَبِّكَ حَامِدُونَ • صدق الله وَعْدَهُ •• وَنَصَرَ

عَبْدَهُ •• وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ) •

ثم دخل المدينة نهاراً فقابلته أم سينان الأتصارية وكانت قد
طمعت في الحج معه ومنعها المرَضُ ٠٠ فقال لها :
(ما منعك أن تكوني حججت مَعَنَا ؟)
فاعتذرت بالمرَضِ ٠٠ فقال صلى الله عليه وسلم :
(عَمْرَءٌ في رمضان تَعْدِلُ حَجَّةً مَعِيَ)





(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)

(٤٠ : ٦٠) « (صدق الله العظيم)

تِيَّةُ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ

□ اللهم إني أريد الحج فيسره لي وتقبله مني . .
 أو . . اللهم إني أريد العُمْرَةَ فيسرها لي وتقبلها مِنِّي . لبيك
 اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا
 شريك لك ، اللهم أَحْرَمَ لَكَ شَعْرِي وبِشْرِي وجَسَدِي وجميع
 جوارحي من الطيب والنساء وكل شيءٍ حرَّمته على المحرم أبتغى
 بذلك وجهك الكريم يا رب العالمين .

أَدْعِيَةُ الْحَجِّ

عندما يُشْرِفُ الْحَاجُّ عَلَى مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ يَقُولُ :
 اللهم اجْعَلْ لِي بِهَا قَرَارًا ، وارزقني فيها رِزْقًا حَلَالًا .

وعند دخولها يقول :

□ اللهم إن هذا الحرم حرمك ، والبلد بلدك ، والأمن أَمَنُكَ ،

والعبد عبدك ، جنتك من بلاد بعيدة بذنوب كثيرة وأعمال سيئة .
 أسألك مسألة المضطرين إليك ، المشفقين من عذابك ، أن
 تستقبلني بمحض عفوك وأن تدخلني فسيح جنتك ، جنة
 النعيم .

اللهم إن هذا حرمك وحرم رسولك فحرم لحمي ودمي وعظمي
 على النار . اللهم آمين من عذابك يوم تبعث عبادك أسألك بأنك
 أنت الله الذي لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم أن تصلي وتسلم على
 سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وعند الدخول من باب السلام يقول :

اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام ،
 وأدخلنا الجنة دار السلام ، تباركت ربنا وتعاليت يا ذا الجلال
 والإكرام .

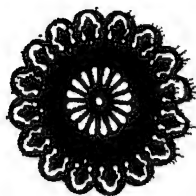
اللهم افتح لي أبواب رحمتك ومغفرتك وأدخلني فيها .
 باسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ،
 صلى الله عليه وسلم .

فإذا عاين البيت الشريف هلل ثلاثاً وكبر ثلاثاً ، ثم يقول :
 لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على
 كل شيء قدير ، أعوذ برب البيت من الكفر والفقر ، ومن عذاب

القبر ، وَضِيقِ الصَّدْرِ ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

اللَّهُمَّ زِدْ بَيْتَكَ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا وَتَعْظِيمًا وَمَهَابَةً وَرِفْعَةً وَبِرًّا ،
وَزِدْ يَا رَبِّ مَنْ شَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ وَعَظَّمَهُ مِنْ حَجَّةٍ أَوْ اعْتَمَرَهُ تَشْرِيفًا
وَتَكْرِيمًا وَتَعْظِيمًا وَمَهَابَةً وَرِفْعَةً وَبِرًّا .
وَإِذَا وَصَلَ بَابَ بَنِي شَيْبَةَ يَقُولُ :

رَبِّ أَنْخُلْنِي مَدْخَلَ صَدَقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي
مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ، وَقُلْ : جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ
الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ، وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا .





نِيَّةُ الطَّوَافِ



□ اللهم إني أريد طواف بيتك الحرام فيسره لي وتقبله مني
سبعة أشواطٍ (طواف الحج ، أو العُمْرة ، أو التَّحِيَّة ، أو
الوداع) .

ثم يَقْبَلُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ . . ويرفعُ يدهُ ويقول :
باسم الله الله أكبر والله الحمد .

دُعَاءُ الشُّوَطِّ الْأَوَّلِ

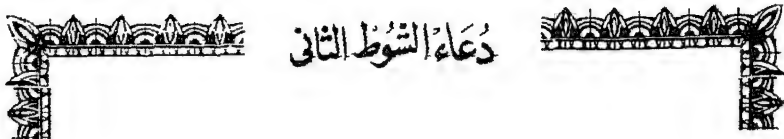
□ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي العظيم والصلاة والسلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم .

اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاءً بعهدك واتباعاً لسنة
نبيك وحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم .

اللهم إني أَسْأَلُكَ العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين
والدنيا والآخرة ، والفوز بالجنة والنجاة من النار .

ويقول بين الرُّكْنَيْنِ في كل شَوَّطٍ :

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب
النار ، وأدخلنا الجنة مع الأبرار يا عزيز يا غفار يارب العالمين .



□ اللهم إِنْ هَذَا الْبَيْتُ بَيْتُكَ ، وَالْحَرَمُ حَرَمُكَ وَالْأَمْنُ أَمْنُكَ
وَالْعَبْدُ عَبْدُكَ وَأَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ ، وَهَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ النَّارِ
فَحَرِّمْ لِحُومَنَا وَبِشْرَتَنَا عَلَى النَّارِ .

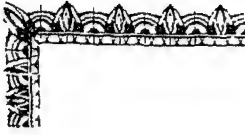
اللهم حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكِّرْهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ
وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ .

اللهم قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعُثُ عِبَادَكَ .
اللهم ارزقني الجنة بغير حساب .

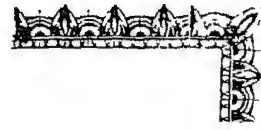
دُعَاءُ الشُّوْطِ الثَّالِثِ

□ اللهم إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِنَ الشُّكِّ وَالشَّرْكِ وَالشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ وَسُوءِ
الْأَخْلَاقِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ وَالْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ .

اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ
وَالنَّارِ . اللهم إِنِّي أَعُوْذُ بِكَ مِنْ قَتْنَةِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ
الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ .



دُعَاءُ الشُّوْطِ الرَّابِعِ



□ اللهم اجعله حَجًّا مَبْرُورًا ، وَسَعْيًا مَشْكُورًا وَذَنْبًا مَغْفُورًا
وَعَمَلًا صَالِحًا مَقْبُولًا ، وَتِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ، يَا عَالِمَ مَا فِي
الصُّدُورِ . . أَخْرِجْنِي يَا اللَّهُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .
اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ مَوْجِبَاتِ رَحْمَتِكَ ، وَعِزَّائِمِ مَغْفِرَتِكَ ،
وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ يَدٍّ ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ
وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ رَبِّ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا آعَظَيْتَنِي
وَآخِلِفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي مِنْكَ بِخَيْرٍ .

دُعَاءُ الشُّوْطِ الْخَامِسِ

□ اللهم أَظِلَّنِي تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ ، وَلَا بَاقِيَ
إِلَّا وَجْهَكَ وَاسْقِنِي مِنْ حَوْضِ نَبِيِّكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ شَرِيَّةً هَنِئِيَّةً لَا نَظْمًا بَعْدَهَا أَبَدًا .
اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَنَعِيمَهَا وَمَا يَقْرِيْنِي إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ

فَعَلْ أَوْ عَمَلْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا يَقْرِبُنِي إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ
أَوْ عَمَلٍ .

دُعَاءُ الشُّوْطِ السَّادِسِ

□ اللَّهُمَّ إِنْ لَكَ عَلَى حَقَّقَا كَثِيرَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَحَقَّقَا كَثِيرَةٌ
فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ خَلْقِكَ .

اللَّهُمَّ مَا كَانَ لَكَ مِنْهَا فَاعْفُ عَنْهُ لِي وَمَا كَانَ لَخَلْقِكَ فَتَحَمَّلْهُ عَنِّي
وَأَعْنُنِي بِحِلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ وَبِفَضْلِكَ عَنْ
سِوَاكَ يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ .

اللَّهُمَّ إِنْ بَيْتَكَ عَظِيمٌ وَوَجْهَكَ كَرِيمٌ ، وَأَنْتَ يَا اللَّهُ حَلِيمٌ عَظِيمٌ
تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي .

دُعَاءُ الشُّوْطِ السَّابِعِ

□ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا كَامِلًا وَبِقِينًا صَادِقًا وَرِزْقًا وَاسِعًا ،
وَقَلْبًا خَاشِعًا وَلِسَانًا ذَاكِرًا وَحَلَالًا طَيِّبًا ، وَتَوْبَةً نَصُوحًا ، وَتَوْبَةً

قبل الموت ، وراحة عند الموت ، ومغفرة ورحمة بعد الموت ، والعفو
عند الحساب ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، بِرَحْمَتِكَ
يا عزيز يا غفار ، رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ .

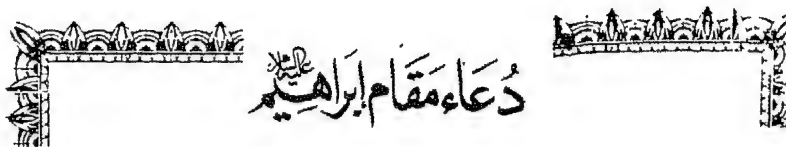
دُعَاءُ الْمَلْتَمِ

□ اللهم ياربَّ البيت العتيق ، اَعْتَقْ رِقَابَنَا وَرِقَابَ آبَائِنَا
وَأُمَّهَاتِنَا وَإِخْوَانِنَا وَأَوْلَادِنَا مِنَ النَّارِ يَا ذَا الْجُودِ وَالْكَرَمِ وَالْفَضْلِ
وَالْمَنِّ وَالْعَطَاءِ وَالْإِحْسَانِ .

اللهم أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ
الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ .

اللهم إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَأَقِفْ تَحْتَ بَابِكَ مَلْتَمِزٌ بِأَعْتَابِكَ
مُتَمَلِّلٌ بَيْنَ يَدَيْكَ أَرْجُو رَحْمَتَكَ وَأَخْشَى عَذَابَكَ يَا قَدِيمَ الْإِحْسَانِ .

اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ ذِكْرِي وَتَضَعِ وَزْرِي وَتُصَلِّحَ
أَمْرِي وَتُطَهِّرَ قَلْبِي ، وَتَنْوِّرَ لِي فِي قَبْرِي وَتَغْفِرَ لِي نَنْبِي ، وَأَسْأَلُكَ
الدرجات الْعُلَا مِنْ الْجَنَّةِ آمِينَ .



□ اللهم إني أعوذ بك من أن أكون من الغافلين ، وأنت أعلم
فأعطني سؤالي ، وتعلم ما في نفسي ، فأغفر لي ذنوبي

اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ، ويقيناً صادقاً حتى أعلم
أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي رضا منك بما قسمت لي ، أنت وليي
في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين .

اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته ، ولا همّاً إلا
فرجته ، ولا حاجة إلا قضيتها ويسرتها ، فيسر أمورنا واشرح
صدورنا ونور قلوبنا ، واختم بالصالحات أعمالنا ، اللهم توفنا
مسلمين ، وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا
مفتونين .

دُعَاءُ حَجَرِ إسماعيل

□ اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وعلى عهدك
ووعده ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك
عليّ وأبوء بنسبي فأغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

اللهم إني أسألك من خير ما سألك به عبادك الصالحون .
 وآعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبادك الصالحون
 اللهم بأسمائك الحسنی وصفاتك العلیا طهر قلوبنا من كل
 وصف يباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك ، وأَمْتِنَّا على السَّنَةِ
 والجماعة والشوق إلى لقائك يا ذا الجلال والإكرام
 اللهم نور بالعلم قلبي واستعمل بطاعتك بدني وخلص من
 الفتن سرى واشغل بالاعتبار فكري ، وَقِنِي شَرَّ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ
 وَآجِرْنِي مِنْهُ يَا رَحْمَنُ حَتَّى لَا يَكُونَ لِي عَلَى سُلْطَانٍ ، رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا
 بِفَآغَرٍ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .

دُعَاءُ يَقْرَأُ عِنْدَ شَرْبِ مَاءٍ زَمَزَمَ

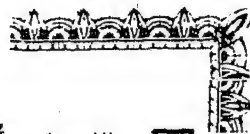
□ اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كلِّ داءٍ
 وسنقم برحمتك يا أرحم الراحمين .

دُعَاءُ الصَّفَا

□ أبدأ بما بدأ الله ورسوله « إن الصفا والمروة من شعائر الله
 فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ
 خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ۚ ١٥٨ : ٢ » .



نَبِيَّ السَّعَى



□ اللهم إني أريد أن أسعى بين الصِّفَا والمروة سبعة أشواط

سَعَى الْحَجِّ أو القُمْرَةِ لله عز وجل ..

ثم يَرْتَفِعُ على درج الصِّفَا وَيَقُولُ:

الله أكبر الله أكبر ، والله الصمد

دُعَاءُ السَّعَى

□ الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله العظيم

وِيَحْمَدُهُ الْكَرِيمَ بِكْرَةً وَأَصِيلًا .. ومن الليل فاستجد له وسبحه ليلاً

طويلاً .. لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب

وحده ، لا شيء قبله ولا بعده ، يحيى ويميت ، وهو حي دائم لا

يموت ، بيده الخير واليه المصير ، وهو على كل شيء قدير ، ربِّ

اغفر وارحم واعف وتكرم وتجاوز عما تعلم ، إنك تعلم ما لا نعلم ،

إنك أنت الله الأعزُّ الأكرم ، ربِّ نجنا من النار سائلين غانمين ،

فريحين مستبشرين ، مع عبادة الصالحين ، مع الذين أنعم الله

عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك

رفيقاً ، تلك الفضل من الله ، وكفى بالله عليماً ، لا إله إلا الله حقاً
حقاً ، لا إله إلا الله تعبداً ورفقاً ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه
مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، لا إله إلا الله الواحد الأحد ،
الفرّد الصمد ، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له شريك في
الملك ، ولم يكن له وليٌّ من النُّلِّ وكبره تكبيراً .

اللهم إني ألتجئ إليك في كتابك المنزل : ادعوني أستجب لكم ،
دعوتك ربنا فاغفر لنا كما أمرتنا ، إني لا تخلف الميعاد ، ربنا إنا
سمعنا منايها ينادي بالإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ، ربنا فاغفر لنا
بنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا
على رُسلك ، ولا تخزننا يوم القيامة إني لا تخلف الميعاد ، ربنا عليك
توكلنا وإليك أنبأ وإليك المصير ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين
سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إني
رءوف رحيم ، ربنا آتمم لنا نورنا واغفر لنا نؤمن أنك على كل شيء
قدير .

اللهم إني أسألك الخير كله عاجله وآجله ، وأعوذ بك من
الشر كله عاجله وآجله ، أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك .
اللهم رب زيني علماً ، ولا تزع قلبي بعد إذ هديتني وهب لي
من لدنك رحمة إني أنت الوهاب .

اللهم عافني في سمعي وبصري ، لا إله إلا أنت .

اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت سبحانك

إنى كنت من الظالمين ، اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر

كنت من الظالمين ، اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر .

اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوباتك

وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ،

فلك الحمد حتى ترضى .

اللهم إنى أسألك من خير ما تعلم ، وأستغفرك من كل ما

تعلم إنك أنت علام الغيوب ، لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، محمد

رسول الله الصادق الوعد الأمين .

اللهم إنى أسألك كما هديتنى للإسلام ألا تنزعه منى حتى

تتوفانى عليه وأنا مسلم .

اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى سمعى نوراً ، وفى بصري

نوراً .

اللهم رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى ، وأعوذ بك من شر

وساوس الصدر وشتات الأمر وقنينة القبر .

اللهم إنى أعوذ بك من شر ما يلج فى النهار ، ومن شر ما تهب

به الرياح يا أرحم الراحمين ، سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك يا

الله ، سبحانه ما نذكرناك حق نذكرك يا الله ، سبحانه ما
شكرناك حق شكرناك يا الله ، سبحانه ما قصدناك حق قصدك يا
الله .

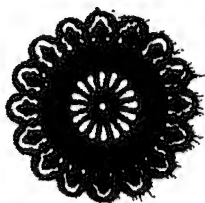
اللهم حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكِّرْهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ
وَالْعَصِيَانَ ، واجعلنا من الراشدين .

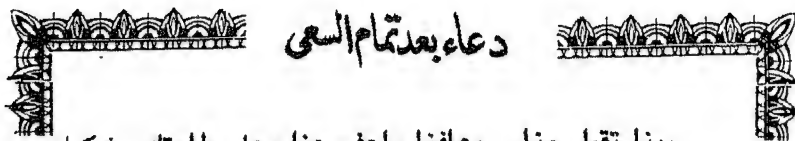
اللهم قننى عذابك يوم تبعث عبادك .

اللهم اهدنى بالهدى ونقنى بالتقوى ، واغفر لى فى الآخرة
والأولى . اللهم أبسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلِك ورزقك .
اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول
أبداً ...

اللهم إني عايدُك من شرِّ ما أعطيتنا ومن شرِّ ما منعتنا :

اللهم توفنا مسلمين ، وألحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ ، غَيْر خزايا ولا
مقتونين ، رَبِّ يَسِّرْ وَلَا تَعَسِّرْ رَبِّ تَمِّمْ بِالْخَيْرِ « إن الصفا والمروة من
شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما
ومن تطوع خيراً فإن الله شاكِرٌ عليمٌ ٢ : ١٥٨ ، .





ربنا تقبل منا ، وعافنا واعف عنا وعلى طاعتك وشكرك
 أعنا ، وعلى غيرك لا تكلنا وعلى الإيمان والإسلام الكامل توفنا
 وأنت راض عنا .

اللهم أرزقني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني ، وارحمني أن
 أتكلف ما لا يعنيني وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني يا
 أرحم الراحمين .

عَرَفَات

□ يقول الحاج عند دخوله إليها :

اللهم إليك توجهت وبك اعتصمت وعليك توكلت . اللهم
 اجعلني ممن تباهى به اليوم ملائكتك ، إنك على كل شيء قدير .

دَعَاءُ عَرَفَات

يقول الحاج بعد زوال الشمس ،
 وبعد صلاة الظهر والعصر وهو يقف أسفل جبل الرحمة عند
 الصخرات الكبار موقف النبي صلى الله عليه وسلم وعرفة كلها

مَوْقِف ، ويدعو ويكثر من قول : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وهو على كل شيء قدير .

اللهم إِنَّكَ وَفَّقْتَنِي وَحَمَلْتَنِي عَلَى مَا سَخَّرْتَ لِي ، حتى بلغتنى بإِحْسَانِكَ إِلَى زِيَارَةِ بَيْتِكَ ، والوقوف عند هذا الشَّعَرِ الْعَظِيمِ ، اقْتِدَاءً بِسُنَّةِ خَلِيكَ ، واقتفاءً بِأَثَارِ خَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّ لَكَ خُصِيْفَ قَرَرِي ، وَلِكُلِّ وَفْدٍ جَائِزَةٍ وَلِكُلِّ زَائِرٍ كَرَامَةٍ ، وَلِكُلِّ سَائِلٍ عَطِيَّةً ، وَلِكُلِّ مُلْتَمِسٍ لِمَا عِنْدَكَ جَزَاءً ، وَلِكُلِّ رَاغِبٍ إِلَيْكَ رُفْعَةً ، وَلِكُلِّ مُتَوَجِّهِ إِلَيْكَ إِحْسَانًا ، وقد وقفنا بهذا الشَّعَرِ الْعَظِيمِ رَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فَلَا تَخِيبِ إِلَهَنَا رَجَاءَنَا ، يَا سَيِّدِنَا يَا مُوَلَانَا يَا مَنْ خَضَعْتَ كُلَّ الْأَشْيَاءِ لِعِزَّتِهِ ، وَعَنْتَ الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ .

اللهم إِلَيْكَ خَرَجْنَا وَبِقِنَائِكَ أَنْخُنَا ، وَإِيَّاكَ أَمَلْنَا ، وَمَا عِنْدَكَ طَلَبْنَا وَإِلِحْسَانِكَ تَعَرَّضْنَا ، وَلِرَحْمَتِكَ رَجَوْنَا ، وَمِنْ عَذَابِكَ أَسْفَقْنَا ، وَلِبَيْتِكَ الْحَرَامِ حَجَجْنَا يَا مَنْ يَمْلِكُ حَوَائِجَ السَّائِلِينَ وَيَعْلَمُ ضَمَائِرَ الصَّامِتِينَ ، يَا مَنْ لَيْسَ مَعَهُ رَبٌّ يَدْعُو وَلَا إِلَهٌ يُرْجَى ، وَلَا فَوْقَهُ خَالِقٌ يَخْشَى ، وَلَا وَزِيرٌ يُؤْتَى ، وَلَا حَاجِبٌ يَرْشَى ، يَا مَنْ لَا يَزِيدُكَ عَلَى السُّؤَالِ إِلَّا كَرَمًا وَجُودًا ، وَعَلَى كَثْرَةِ الْحَوَائِجِ إِلَّا تَفَضُّلاً وَإِحْسَانًا ، يَا مَنْ صَجَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأَصْوَاتُ بِلُغَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ ، يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْحَاجَاتِ ، وَسُكِبَتِ الشُّمُوعُ بِالْعِبَرَاتِ

وَالزَّفَرَاتِ مُلْحِظِينَ بِالِدَعَوَاتِ ، فَحَاجَتِي إِلَيْكَ يَا رَبِّ مَغْفِرَتِكَ وَرِضَاءِ
مِنْكَ عَلَيَّ لَا سَخَطَ بَعْدَهُ وَهُدًى لَا ضَلَالَ بَعْدَهُ ، وَعِلْمٌ لَا جَهْلَ بَعْدَهُ ،
وَحُسْنُ الْخَاتِمَةِ وَالْعَتَقُ مِنَ النَّارِ وَالْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ ، وَأَنْ تَذَكَّرْتَنِي عِنْدَ
الْبَلَاءِ إِذْ نَسِيتَنِي أَهْلُ الدُّنْيَا ، وَوَارَانِي التُّرَابُ ، وَانْقَطَعَ عَنِّي
الْأَحْبَابُ وَتَقَطَّعَتْ بِي الْأَشْيَابُ يَا عَزِيزُ يَا وَهَّابُ ، يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَرَى مَكَانِي وَتَسْمَعُ كَلَامِي ، وَتَعْلَمُ سِرِّي
وَعَلَانِيَتِي لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ ،
الْمُسْتَغِيثُ الْوَجِلُ ، الْمُسْتَغِيثُ الْمُقَرُّ ، الْمُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ
الْمُسْكِينِ ، وَآبِتُهُلَّ إِلَيْكَ ابْتِهَالُ الْمُنْذِبِ الذَّلِيلِ وَادْعُوكَ دَعَاءَ الْخَائِفِ
الضَّرِيرِ ، دَعَاءَ مَنْ خَضَعَ لَكَ عُنُقَهُ وَذَلَّ لَكَ جَسَدَهُ ، وَفَاضَتْ لَكَ
عَيْنَاهُ ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ ، لَا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيئًا ، وَكُنْ بِي
رَحِيمًا رَحِيمًا ، يَا خَيْرَ الْمُسْتَوَلِينَ ، وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ ، رَبِّ اهْدِنَا
بِالْهُدَى ، وَزَيِّنَا بِالتَّقْوَى ، وَاعْفِرْ لَنَا فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى .

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي
نُورًا ، وَفِي لِسَانِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ،
وَمِنْ فَوْقِي نُورًا ، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا ، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا ، وَمِنْ خَلْفِي
نُورًا ، وَاجْعَلْ لِي فِي نَفْسِي نُورًا وَأَعْظِمْ لِي نُورًا ، رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي
وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي .

اللهم إني أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى والعِفَافَ والغِنَى .

اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيراً مما نقول .

اللهم إني أَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخِطِكَ

وَالنَّارِ وَمَا قَرَّبَ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ عَمَلٍ .

اللهم اجعله حَجًّا مَبْرُورًا وَذَنْبًا مَغْفُورًا وَعَمَلًا صَالِحًا

مَقْبُولًا ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ

النَّارِ ، إِلَهِي لَا قُوَّةَ لِي عَلَى سَخِطِكَ ، وَلَا صَبْرَ لِي عَلَى عَذَابِكَ وَلَا غِنَى

لِي عَنْ رَحْمَتِكَ ، وَلَا قُوَّةَ لِي عَلَى الْبَلَاءِ ، وَلَا طَاقَةَ لِي عَلَى الْجَهْدِ ،

أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخِطِكَ ، وَمِنْ قُبْحَةِ نِقْمَتِكَ ، يَا أَمَلِي وَيَا رَجَائِي

يَا خَيْرَ مُسْتَعَاثٍ يَا أَجودَ الْمُعْطِينَ ، يَا مَنْ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ ، يَا

سَيِّدِي وَمَوْلَايَ يَا يَتَقَى وَرَجَائِي وَمُعْتَمِدِي .

اللهم يامن لا يشغله سمع ولا تشتهه عليه الأصوات ، يامن

لَا تُغْلِظُهُ الْمَسَائِلُ وَلَا تُخْتَلِفُ عَلَيْهِ اللُّغَاتِ ، يامن لَا يُبِيرِمُهُ الْإِحَاحُ

الْمَلْحِينِ ، وَلَا تُعْجِزُهُ مَسْأَلَةُ السَّائِلِينَ ، أَنْقِنا بِرُزْدِ عَفْوِكَ وَحَلَاوَةِ

مَغْفِرَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللهم إني قد وَفَدْتُ إِلَيْكَ وَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ

الشَّرِيفِ ، رَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فَلَا تَجْعَلْنِي الْيَوْمَ خَائِبًا وَأَكْرِمْنِي بِالْجَنَّةِ

وَمَنْ عَلَى الْمَغْفِرَةِ وَالْعَافِيَةِ ، وَأَجِرْنِي مِنَ النَّارِ ، وَأَلْزِمْنِي شَرِّ

خَلْقِكَ ، انْقَطِعْ الرَّجَاءُ إِلَّا مِنْكَ وَأُغْلِقِ الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَكَ فَلَا تَكِلْنِي

إِلَى أَحَدِ سِقَاكِ فِي أُمُورِ دِينِي وَدُنْيَايَ طَرَفَةً عَيْنٍ وَلَا أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ ،
وَأَنْقَلْنِي مِنْ نَدَى الْمَعْصِيَةِ إِلَى عِزِّ الطَّاعَةِ ، وَنُورِ قَلْبِي وَقَبْرِى وَأَعِزَّنِي
مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ ، وَاجْمَعْ لِي الْخَيْرَ كُلَّهُ يَا أَكْرَمَ مَنْ سَأَلَ وَأَجُودَ مَنْ
أَعْطَى .

اللَّهُمَّ بِنُورِكَ اهْتَدَيْنَا ، وَبِفَضْلِكَ اسْتَغْنَيْنَا ، وَفِي كُنْفِكَ
وِإِنْعَامِكَ وَعِطَاكَ وَإِحْسَانِكَ أَصْبَحْنَا وَأَمْسَيْنَا . أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَا
شَيْءَ قَبْلَكَ وَالْآخِرُ فَلَا شَيْءَ بَعْدَكَ وَالظَّاهِرُ فَلَا شَيْءَ فَوْقَكَ ، وَالْبَاطِنُ
فَلَا شَيْءَ دُونَكَ ، نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَلَسِ وَالْكَسَلِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ
الْغِنَى ، أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعِزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ
وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ .

اللَّهُمَّ يَا عَالِمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ ، وَيَا بَاعِثَ
الْأَمْوَاتِ يَا مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ ، يَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ ، يَا خَالِقَ الْأَرْضِ
وَالسَّمَوَاتِ .

أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ
الْوَهَّابُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ ، لَا رَادَّ لِأَمْرِكَ ، وَلَا
مُعَقَّبَ لِحُكْمِكَ رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَوْلِيكَ كُلِّ شَيْءٍ وَمُقَدِّرُ كُلِّ شَيْءٍ .
أَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَنِي عِلْمًا نَافِعًا ، وَرِزْقًا وَاسِعًا ، وَقَلْبًا
خَاشِعًا ، وَلِسَانًا ذَاكِرًا ، وَعَمَلًا زَكِيًّا ، وَإِيمَانًا خَالصًا ، وَهَبْ لَنَا
إِثَابَةَ الْمُخْلِصِينَ ، وَخُشُوعَ الْمُخْبِتِينَ ، وَأَعْمَالَ الصَّالِحِينَ ، وَيَقِينَ

الصائقين ، وسُعَادَ المتقين ، وَرَجَاءَ الفائزين ، يا أَفْضَلَ مَنْ
قُصِدَ ، وَأَكْرَمَ مَنْ سُئِلَ ، وَأَحْلَمَ مَنْ أَغْضِبَ ، مَا أَحْلَمَكَ عَلَى مَنْ
عَصَاكَ ، وَأَقْرَبَكَ إِلَى مَنْ دَعَاكَ ، وَأَعْطَفَكَ عَلَى مَنْ سَأَلَكَ ، لَمْ يَهْدِي
إِلَّا مَنْ هَدَيْتَ ، وَلَا ضَالَّ إِلَّا مَنْ أَضَلَلْتَ ، وَلَا غَنَى إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتَ وَلَا
فَقِيرَ إِلَّا مَنْ أَفْقَرْتَ ، وَلَا مَعْصُومَ إِلَّا مَنْ عَصَمْتَ وَلَا مُسْتَوْرَ إِلَّا
مَنْ سَتَرْتَ * *

أَسْأَلُكَ أَنْ تَهَبَ لَنَا جَزِيلَ عَطَاكَ وَالسَّعَادَةَ بِنِعْمَتِكَ ، لِمَزِيدٍ مِنْ
نِعْمِكَ وَأَلَّا تَكْ ، وَأَنْ تَجْعَلَ لَنَا نُورًا فِي حَيَاتِنَا ، وَنُورًا فِي مَمَاتِنَا ،
وَنُورًا فِي قُبُورِنَا ، وَنُورًا فِي حُشْرِنَا ، وَنُورًا نَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَيْكَ ،
وَنُورًا نَفُوزُ بِهِ إِلَيْكَ فَإِنَّا بِبَابِكَ سَائِلُونَ وَيَتَوَالِكَ مُعْتَرِفُونَ ،
وَلِلْقَائِكَ رَاجِعُونَ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمْرِي آخِرَهُ ، وَخَيْرَ عَمَلِي
خَوَاتِمَهُ ، وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ لِقَائِكَ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي بِأَمْرِكَ ، وَآيِدْنِي بِنَصْرِكَ ، وَارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ ،
وَنَجِّنِي مِنْ عَذَابِكَ ، يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ، فَقَدْ آتَيْتَكَ لِرَحْمَتِكَ رَاجِعًا ،
وَعَنْ وَطْنِي نَائِيًا ، وَلِنَسْكِ مُؤَدِّيًا ، وَلِفِرَاطِكَ قَاضِيًا ، وَلِكِتَابِكَ
تَالِيًا وَلَكَ دَاعِيًا ، وَلِقِسْوَةِ قَلْبِي شَاكِيًا ، وَمَنْ نَنْبِي خَاشِيًا ،
وَلِنَفْسِي ظَالِمًا ، وَبِجُرْمِي عَالِمًا ، دُعَاءَ مَنْ جَمَعَتْ عُيُوبُهُ ، وَكَثُرَتْ
نُؤُوبُهُ ، وَتَصَرَّمَتْ أَمَالُهُ ، وَبَقِيَتْ آثَامُهُ ، وَانْسَلَبَتْ نَمْعَتُهُ ،
وَانْقَطَعَتْ مُدَّتُهُ ، دُعَاءَ مَنْ لَا يَجِدُ لِنَبِّهِ غَافِرًا غَيْرَكَ ، وَلَا لِمَقُولِهِ مِنْ

الخيرات مُعْطِيَا سِوَاكَ ، وَلَا لِكِسْرِهِ جَلْبَرًا إِلَّا أَنْتَ ، يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . اللهم
 لَا تَقْدِمْنِي لِعَذَابِكَ ، وَلَا تُؤَخِّرْنِي لِشَيْءٍ مِنَ الْفِتَنِ .
 مَوْلَايَ فَمَا أَنَا أَدْعُوكَ رَاغِبًا ، وَأَنْصِبُ إِلَيْكَ وَجْهِي طَالِبًا ،
 وَأَضَعُ لَكَ خَدْيَ مَهِينًا رَاهِبًا ، فَتَقْبَلْ دُعَائِي ، وَأَصْلَحْ فَاْسَادَ مِنْ
 أَمْرِي وَأَقْطَعْ مِنَ الدُّنْيَا هَمِّي وَحَاجَتِي ، وَاجْعَلْ قِيَمًا عِنْدَكَ
 رَغْبَتِي ، وَأَقْلِبْنِي مُنْقَلَبَ الْمَذْكُورِينَ عِنْدَكَ ، لِتَقْبَلَ دُعَاؤَهُمْ ، الْقَائِمَةَ
 حُجَّتَهُمْ ، الْمَغْفُورَ ذَنْبَهُمْ ، الْمَبْرُورَ حُجَّتَهُمُ الْمَحْطُوطَةَ خَطَايَاهُمْ ،
 الْمَتَّحُوَّةَ سَيِّئَاتِهِمْ ، الرَّاشِدَ أَمْرَهُمْ ، مُنْقَلَبَ مَنْ لَا يَعْصِي لَكَ أَمْرًا ،
 وَلَا يَأْتِي بَعْدَهُ مَأْتِمًا وَلَا يَحْمِلُ بَعْدَهُ وِزْرًا ، مُنْقَلَبَ مَنْ عَزَّزْتَ بِذِكْرِكَ
 لِسَانَهُ ، وَظَهَّرْتَ مِنَ الْإِنْسَانِ بَيِّنَتَهُ ، وَاسْتَوْدَعْتَ الْهُدَى قَلْبَهُ ،
 وَشَرَحْتَ بِالإِسْلَامِ صَدْرَهُ ، وَأَقَرَّرْتَ بِرِضَاكَ وَعَفْوِكَ قَبْلَ الْمَمَاتِ
 عَيْنَهُ ، وَغَضَضْتَ عَنِ الْمَأْثِمِ بَصَرَهُ ، وَاسْتَعْمَلْتَ فِي سَبِيلِكَ نَفْسَهُ .
 وَأَسْأَلُكَ أَلَّا تَجْعَلَنِي أَشْقَى خَلْقِكَ الْمَذْنُونِ عِنْدَكَ ، وَلَا أَخْيَبَ
 الرَّاجِينَ لِمَعْدِكَ ، وَلَا أَحْرَمَ الْأَمَلِينَ لِرَحْمَتِكَ ، وَلَا أَخْسَرَ الْمُنْقَلِبِينَ مِنْ

هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ ، مَوْلَايَ رَبِّ الْعَالَمِينَ .
 اللَّهُمَّ وَقَدْ عَوَيْتُكَ بِالدُّعَاءِ الَّذِي عَلَّمْتَنِيهِ فَلَا تَحْرِمْنِي الرَّجَاءَ
 الَّذِي عَرَفْتَنِيهِ ، يَا مَنْ لَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ ، وَلَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ ، وَمَا
 أَعْطَيْتَنِي مِمَّا أَحْبَبْتُ فَلَجْعَلُهُ لِي عَوْنًا فِيمَا تُحِبُّ ، وَاجْعَلْهُ لِي خَيْرًا ،
 ٢٩٩

وَحَبَّبْ طَاعَتَكَ لِي ، وَالْعَمَلُ بِهَا ، كَمَا حَبَّبْتَهَا إِلَى أَوْلِيَاكَ حَتَّى رَأَوْا
تَوَابَهَا ، وَكَمَا هَدَيْتَنِي لِلْإِسْلَامِ فَلَا تَنْزِعْهُ مِنِّي حَتَّى تَقْبِضَنِي إِلَيْكَ
وَأَنَا عَلَيْهِ .

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ الْإِيمَانَ وَزِينَهُ فِي قَلْبِي ، وَكَرَّهُ إِلَيَّ الْكُفْرَ
وَالْفُسُوقَ وَالْعَصِيَانَ ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الرَّاشِدِينَ .
اللَّهُمَّ اخْتِم بِالْخَيْرَاتِ آجَالَنَا ، وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا ،
وَسَهِّلْ لِبُلُوغِ رِضَاكَ سَبِيلَنَا ، وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا ،
يَا مُنْقِذَ الْغُرَقَى ، يَا مُنْجِيَ الْهَلَكَى ، يَا شَاهِدَ كُلِّ نَجْوَى ، يَا
مُنْتَهَى كُلِّ شَكْوَى ، يَا قَدِيمَ الْإِحْسَانِ ، يَا دَائِمَ الْمَعْرُوفِ ، يَا مَنْ لَا
غِنَى لَشَيْءٍ عَنْهُ ، وَلَا بَدْلَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْهُ ، يَا مَنْ رِزْقُ كُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ ،
وَمَصِيرُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهِ ، إِلَيْكَ رُفِعَتْ أَيْدَى السَّائِلِينَ ، وَامْتَدَّتْ أَعْنَاقُ
الْعَابِدِينَ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَنَا فِي كَنْفِكَ وَجُودِكَ ، وَحِرْزِكَ وَعِيَانِكَ ،
وَسِتْرِكَ وَأَمَانِكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ ، وَثَرَكِ الشَّقَاءِ ، وَشِمَاتَةِ
الْأَعْدَاءِ ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ وَالْمَنْقَلَبِ ، فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ .
اللَّهُمَّ لَا تَدْعُ فِي مَقَامِنَا هَذَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ ، وَلَا هَمًّا إِلَّا
فَرَّجْتَهُ ، وَلَا غَائِبًا إِلَّا رَدَدْتَهُ ، وَلَا كَرْبًا إِلَّا كَشَفْتَهُ ، وَلَا دَيْنًا إِلَّا
قَضَيْتَهُ ، وَلَا عَدُوًّا إِلَّا كَبَبْتَهُ ، وَلَا فُسَادًا إِلَّا أَصْلَحْتَهُ ، وَلَا مَرِيضًا
إِلَّا عَافَيْتَهُ وَلَا خَلَّةً إِلَّا سَدَدْتَهَا ، وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةَ لَكَ فِيهَا رِضًا ، وَلِنَا فِيهَا صِلَاحٌ إِلَّا قِضِيَّتَهَا ، فَإِنَّكَ تَهْدِي
السَّبِيلَ ، وَتَجْبِرُ الْكَسِيرَ ، وَتُغْنِي الْفَقِيرَ .

اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا بَدَ لَنَا مِنْ لِقَائِكَ ، فَاجْعَلْ عِنْدَكَ عَذْرَانَا مُقْبُولًا ،
وَنَبْنَانَا مَغْفُورًا ، وَعِلْمَنَا مُوَفَّورًا ، وَسَعِينَا مُشْكُورًا ، أَصْبَحَ
وَجْهِي الْفَانِي مُسْتَجِيرًا بِوَجْهِكَ الْبَاقِي الْقَيُومِ ، ذِي الْعِزَّةِ
وَالْجَبَرُوتِ .

اللَّهُمَّ لَا يَمْنَعُنِي مِنْكَ أَحَدٌ إِذَا أَرَيْتَنِي ، وَلَا يَعْطِينِي أَحَدٌ إِذَا
حَرَمْتَنِي ، فَلَا تَحْرِمْنِي بِقِلَّةِ شُكْرِي ، وَلَا تَخْلُنْنِي بِقِلَّةِ صَبْرِي .
اللَّهُمَّ اجْعَلِ الْمَوْتَ خَيْرَ غَائِبٍ تَنْتَظِرُهُ ، وَالْقَبْرَ خَيْرَ بَيْتٍ
نَعْمَرُهُ ، وَاجْعَلْ مَا بَعْدَهُ خَيْرًا لَنَا مِنْهُ ، رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَلِوَالِدِي ،
وَلِابْنَانِي ، وَلِإِخْوَانِي ، وَاهْلِ بَيْتِي ، وَنَزَيْتِي ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا يَبَاشِرُ قَلْبِي ، وَيَقِينًا صَادِقًا ، حَتَّى
أَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَصِيبُنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي ، وَرَضْنِي بِقَضَائِكَ ، وَأَعِنِّي
عَلَى الدُّنْيَا بِالْعِفَّةِ وَالْقَنَاعَةِ ، وَعَلَى الْبَيْنِ بِالطَّاعَةِ ، وَطَهِّرْ لِسَانِي
مِنَ الْكُذْبِ ، وَقَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ ، وَعَمَلِي مِنَ الرِّيَاءِ ، وَبَصَرِي مِنَ
الْخِيَانَةِ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ .
اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرَبَاتِي فِي الدُّنْيَا ، وَمُصْرَعِي عِنْدَ الْمَوْتِ ،

وَوَحْشَتِي فِي قَبْرِى وَمَقَامِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ
٣٠١

السلام ، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام .
 اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، وأنا عبدك ظلمت نفسي ،
 واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ،
 واهدني لأحسن الأخلاق ، فلا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف
 عني سيئتها ، فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت ٠٠ لبيك وسعديك
 والخير بيدك ، وآتوب إليك .

اللهم آحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني ما علمت
 الوفاة خيراً لي ، واهدني لأرشد أمرى وآجرني من شر نفسي .
 اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي
 الدنيا وعذاب الآخرة ، وارحم غريبتى في الدنيا والآخرة ، وتضرعني
 عند الموت ، ووحدتي في القبر ، ومقامي بين يديك .
 اللهم إني أسألك باسمك الطيب الطاهر المبارك الأحب
 إليك ، الذي إذا دعيت به أجبت ، وإذا استرحمت به رحمت ، وإذا
 استفرجت به فرجت ، أن تعيذني من الكفر والفقر ، والقلّة والنلّة
 والعلّة ، وكافة الأمراض والأعراض ، وسائر الأسقام والآلام ،
 وأسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه ، وأوله وآخره ، وظاهر
 وباطنه ، والدرجات العلاء .

اللهم إني أسألك فرجاً قريباً ، ونصراً عزيزاً ، وصبراً
 جميلاً ، وفتحاً مبيناً ، وعلماً كثيراً نافعا ، ورزقاً واسعاً مباركاً في

عافية يلاً بلاء ، وأسألك تمام العافية والشكر على العافية .
 اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيني وبين
 معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغني به جنتك ، ومن اليقين ما تهون
 به علي مصائب الدنيا ، ومتعني اللهم بسمعي ، وبصري .
 وبيني ، واجعلها الوارث مني ، واجعل ثاري على من ظلمني ،
 وأنصرني على من عاداني ، ولا تجعل الدنيا أكبر همي ، ولا مبلغ
 علمي ، ولا إلى الناس مصيري .

اللهم إني أسألك بنور وجهك الكريم ، وسلطانك القديم ،
 توبة صادقة وأوبة خالصة ، وإنابة كاملة ومحبة غالية ، وشوقاً
 إليك ، ورغبة فيما لديك ، وفرجاً عاجلاً ، ورزقاً واسعاً ، ولساناً
 رطباً بذكرك ، وقلباً مضمعاً بشكرك ، وبدناً هيناً ليناً بطاعتك ،
 وأعطنا ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .
 اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، ومن
 الخوف إلا منك ، وأعوذ بك أن أقول زوراً ، أو أغشى فجوراً ، أو
 أكون بك مغروراً ، ونعوذ بك من شماتة الأعداء ، وعضال الداء
 وخيبة الرجاء ، وزوال النعم ، وفجأة النقم ، يامن فتح بابهِ
 للطالبيين ، وأظهر غناه للراغبين ، وأطلق ألسنة القاصرين .
 اللهم ما ألهمت عبادك الصالحين ، وأيقظنا من رقة الغافلين ،
 إنك منعم وأعز معين .

اللهم إِنْ عَيَّوْنَا لَا يَسْتَرْهَا إِلَّا مُحَاسِنُ عَطْفِكَ ، وَذُنُوبُنَا
يَغْفِرُهَا إِلَّا وَاسِعُ إِحْسَانِكَ وَعَفْوِكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ
وَاسْأَلْكَ بِنَا سَبِيلَ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ ، وَالْهَمْنَا رُشْدَنَا ، وَاجْزِلْ مَوْ
رِضَوَانِكَ حَقَّنَا ، وَلَا تَحْرِمْنا بِذُنُوبِنَا ، وَلَا تَطْرُقْنَا بِعُيُوبِنَا ، وَلَا
تَقْطَعْنا مِنْ بَرِّكَ ، وَلَا تُنْسِبْنَا ذِكْرَكَ ، وَلَا تَهْتِكْ عَنَّا سِتْرَكَ ، وَاعْفُ
لَنَا مَا اقْتَرَفْنَاهُ مِنْ ذُنُوبِنَا ، وَاعْفُ عَن تَقْصِيرِنَا فِي طَاعَتِكَ
وَشُكْرِكَ ، وَادِّمْ لَنَا لُزُومَ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ ، وَهَبْ لَنَا نُورًا نَهْتَدِي بِهِ
إِلَيْكَ ، وَارْزُقْنَا حُلَاوَةَ مُنَاجَاةِكَ وَاسْأَلْكَ سَبِيلَ مَرْضَاتِكَ وَأَقْطَعْ عَنَّا
كُلَّ مَا يَبْعِدُنَا عَنْ خِدْمَتِكَ وَطَاعَتِكَ ، وَانْقِذْنَا مِنْ بَرَكَاتِنَا وَغَفْلَاتِنَا
وَالْهَمْنَا رُشْدَنَا ، وَحَقِّقْ فِيكَ قَصْدَنَا ، وَاسْتُرْنَا فِي دُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا
وَاحْشُرْنَا فِي زَمَرَةِ الْمُتَّقِينَ ، وَالْحَقْنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ .

اللهم اجْعَلْنَا مِنَ الْأَبْتَةِ الْأَبْرَارِ ، وَأَسْكِنَّا مَعَهُمْ فِي دَارِ
الْقَرَارِ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْخَالِفِينَ الْفُجَّارِ ، وَوَفِّقْنَا لِحَسَنِ الْإِقْبَالِ
عَلَيْكَ ، وَالِإِصْغَاءِ إِلَيْكَ ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى خِدْمَتِكَ ، وَحَسَنِ الْأَدَبِ
مَعَامَلَتِكَ ، وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِكَ وَالرَّضَا بِقَضَائِكَ ، وَالصَّبْرِ عَمَّا
بِلَايَتِكَ ، وَالشُّكْرِ عَلَى نِعْمَاتِكَ ، وَاعْذُنَا مِنْ أَحْوَالِ الشَّقَاءِ ، وَوَفِّقْنَا
لِأَعْمَالِ أَهْلِ التَّقَى ، وَارْزُقْنَا الْإِسْتِعْدَادَ لِيَوْمِ الْلِقَاءِ ، يَدُ مِنْ عِلْمِ
الْإِعْتِمَادِ ، وَالْمَتَّكِلِ .
اللهم اَنْهَجِ بِنَا مِنْ أَمَاجِجِ الْمُفْلِحِينَ ، وَابْسُتِنَا خِلْعَ الْإِيمَانِ

واليقين ، وَحُصِّنَا مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ ، وَوَقَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ
 وَاتَّبَاعِهِ ، وَخَلَصْنَا مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ ، وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا ، وَلَا
 تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا ، وَاجْعَلْ لَنَا عَيْشًا رَغَدًا ، وَلَا تُشْمِثْ بِنَا
 عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا ، وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا ، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا ، وَفَهُمَا
 نِكِيًّا ، وَطَبِيعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ .

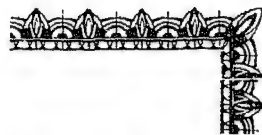
اللهم بَعَامِلُنَا بِغَفْرَانِكَ ، وَآمِنُنْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَإِحْسَانِكَ ،
 وَنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ، وَعَاقِفَنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْثَوَارِ ، وَأَدْخِلْنَا بِفَضْلِكَ
 الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ ، وَاجْعَلْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ فِي دَارِ
 رِضْوَانِكَ ، يَا مَنْ ظَهَرَتْ مَعْرِفَتُهُ لِلْقُلُوبِ فَلَا يَخْفَى وَجُودُهُ ، وَعَمَّ
 جَمِيعَ خَلْقِهِ كَرَمُهُ وَجُودُهُ .

اللهم لَا تَجْعَلْ هَذَا آخِرَ عَهْدِي مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ ،
 وَارْزُقْنِي الرِّجُوعَ إِلَيْهِ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً بِلُطْفِكَ الْعَمِيمِ ، وَاجْعَلْنِي فِيهِ
 مُفْلِحًا مَرْحُومًا مُسْتَجَابَ الدَّعَاءِ فَائِزًا بِالْقَبُولِ وَالرِّضْوَانِ ،
 وَالتَّجَاوُزِ وَالْغُفْرَانِ ، وَالرِّزْقِ الْحَلَالِ الْوَاسِعِ ، وَبَارِكْ لِي فِي جَمِيعِ
 أُمُورِي ، وَمَا أَرْجِعُ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ وَأَوْلَادِي . رَبَّنَا آتِنَا فِي
 الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . وَاعْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَوَالِدِ الدِّينِ وَنُرِّيَّاتِنَا وَإِخْوَانِنَا وَأَهْلِينَا وَالْحَاضِرِينَ
 وَالْغَائِبِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ،
 وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .



دُعَاءُ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ

بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ



يَرْقُبُ عَلَيْهِ إِنْ أَمَكَنَ أَوْ يَقِفُ عِنْدَهُ فَيَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى وَيَهْلُلُ
وَيُكَبِّرُ وَيَدْعُو فَيَقُولُ :

اللهم ، كما أَوْفَقْتَنَا فِيهِ وَأَرَيْتَنَا إِيَّاهُ فَوْقَقْنَا لَذِكْرِكَ كَمَا
هَدَيْتَنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا كَمَا وَعَدْتَنَا بِقَوْلِكَ الْحَقَّ « فَإِذَا أَقْصَيْتُمْ
مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ
وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لِنَ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »

• (٢ : ١٩٨ ، ١٩٩)

اللهم ، إنا نسألك يا غفور يا رحيم أَنْ تَفْتَحَ لَادْعِيَتِنَا أَبْوَابَ
الْإِجَابَةِ يَا مَنْ إِذَا سَأَلَهُ الْمُضْطَرُّ أَجَابَهُ ، يَا مَنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ : كُنْ
فَيَكُونُ .

اللهم إنا جنناك بجمعنا مُتَشَفِّعِينَ إِلَيْكَ فِي غَفْرَانِ ذُنُوبِنَا ،
فَلَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ ، وَأَتَيْنَا أَفْضَلَ مَا تُؤْتِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ ، وَلَا
تَصْرِفْنَا مِنْ هَذَا الْمَشْعَرِ الْعَظِيمِ إِلَّا فَائِزِينَ مُفْلِحِينَ ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا
نَادِمِينَ وَلَا ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .
اللهم وَفِّقْنَا لِلْهُدَى وَاعْصِمْنَا مِنْ أَسْبَابِ الْجَهْلِ وَالرَّدَى ،

وَسَلَّمْنَا مِنْ آفَاتِ النَّفُوسِ فَإِنَّهَا شَرُّ الْعِدَا ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ أَقْبَلَتْ
عَلَيْهِ ، فَأَعْرِضْ عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَخُذْ بِيَدَيْنَا إِلَيْكَ ، وَارْحَمْ تَضَرُّعَنَا
مِنْ يَدِكَ . .

إِلَهَنَا قَوْمَنَا إِذَا اغْوَجَجْنَا وَاعِنَّا إِذَا اسْتَقَمَّمْنَا ، وَكُنْ لَنَا وَلَا
مَكُنْ عَلَيْنَا ، وَآخِيزْنَا فِي الدُّنْيَا طَائِعِينَ مُؤْمِنِينَ وَتَوَقُّفًا ثَابِتِينَ ،
وَاجْعَلْنَا عِنْدَ السُّؤَالِ ثَابِتِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِالْيَمِينِ ،
وَاجْعَلْنَا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ مِنَ الْأَمْنِ ، وَمَتَّعْنَا اللَّهُمَّ بِالنَّظَرِ إِلَى
وَجْهِكَ الْكَرِيمِ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

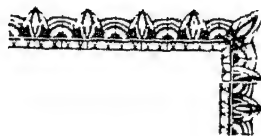
وَيُكْثَرُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الذِّكْرِ ، وَمِنْ قَوْلٍ :
«رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ ٢ : ٢٠١ » .

دُخُولُهُنَّ

○ اللَّهُمَّ هَذَا مِنِّي ، هَذَا مَا لَلَّيْتُنَا عَلَيْهِ مِنَ الْمُنَاسِكِ ، فَمَنْ عَلَيْنَا
بِجَوَامِعِ الْخَيْرَاتِ ، وَيَمَا مَنَنْتَ بِهِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ وَمُحَمَّدٍ حَبِيبِكَ
وَيَمَا مَنَنْتَ بِهِ عَلَى أَهْلِ طَاعَتِكَ ، فَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، جِئْتُ
طَالِبًا مَرْضَاتِكَ ، فَأَرْضَ عَنِّي وَارْحَمْنِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .



رمى الجمار



○ تقول بعد أن ترمى كلَّ جَمْرَةٍ - ما عَدَا الْعَقَبَةَ - وَأَنْتَ بَعِيدٌ
عَنِ الرَّحْمَةِ :

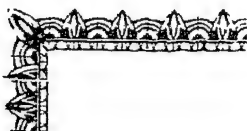
الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسُبْحَانَ
الله بُكْرَةً وَأَصِيلًا ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ ، مُخْلِصِينَ لَهُ
الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وَعْدُهُ وَنَصَرَ
عَبْدَهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ .

اللهم اهْدِنِي بِالْهَدَى ، وَقِنِّعْنِي بِالتَّقْوَى وَاعْفِرْ لِي فِي الْآخِرَةِ
وَالْأُولَى .

اللهم اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا وَنَبَأًا مَغْفُورًا وَعَمَلًا مَشْكُورًا .
اللهم آتِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ :

عند الذبح

○ بِسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ » إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ » .
اللَّهُمَّ هَذَا مِنْكَ وَإِلَيْكَ . اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا عَنِّي ، أَوْ عَنْ فُلَانٍ
فَتَقَبَّلْهُ قَبُولًا حَسَنًا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .



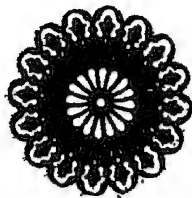
الدَّعَاءُ عِنْدَ الْحَلْقِ

○ اسْتَحَبَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنْ يُمْسِكَ نَاصِيَتَهُ بِيَدِهِ حَالَةَ الْحَلْقِ وَيَكْبُرُ ثَلَاثًا ثُمَّ يَقُولُ :

- الحمد لله على ما هدانا ، الحمد لله على ما أنعم به علينا
- اللهم هَذِهِ نَاصِيَتِي فَتَقَبَّلْ مِنِّي وَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي
- اللهم اغْفِرْ لِي وَلِلْمَخْلُوقِينَ وَالْمَقْصُرِينَ يَا وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ .
- آمِينَ

فَإِذَا قَرَعَ مِنَ الْحَلْقِ قَالَ :

- اللَّهُ أَكْبَرُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَضَى عَنَّا نُسُكَنَا
- اللهم زَيْنَا إِيْمَانًا وَيَقِينًا وَتَوْفِيقًا وَعَوْنًا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِأَبَائِنَا
- وَأُمَّهَاتِنَا وَلِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ



طواف الوداع

□ « إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَاكَ إِلَى مَعَادٍ » يَا مُعِيزُ
 أَعِزَّنِي ، وَيَا سَمِيعُ أَسْمِعْنِي ، وَيَا جَبَّارُ اجْبُرْنِي ، وَيَا سَتَّارُ
 اسْتُرْنِي ، وَيَا رَحْمَنُ ارْحَمْنِي وَارْبُدْنِي إِلَى بَيْتِكَ هَذَا ، وَارْزُقْنِي
 إِلَيْهِ الْعَوْدَ ثُمَّ الْعَوْدَ كَرَاتٍ بَعْدَ مَرَاتٍ ، تَائِبِينَ عَابِدِينَ سَائِحِينَ لِرَبَّنَا
 حَامِدِينَ ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ
 وَجَدَّه .
 اللَّهُمَّ اكْتُبْ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ وَالْغَنِيمَةَ لَنَا وَلِعَبِيدِكَ الْحَجَّاجِ
 وَذَوَارِ بَيْتِكَ وَالْعُرَاةِ وَالْمَسَافِرِينَ وَالْمُقِيمِينَ فِي بَرِّكَ وَبِحَرِّكَ مِنْ أُمَّةٍ
 مُحَمَّدٍ أَجْمَعِينَ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنِي عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي وَمِنْ قُدَامِي وَمِنْ وَرَائِي
 ظَهْرِي وَمِنْ فَوْقِي وَمِنْ تَحْتِي حَتَّى تُوصِّلَنِي إِلَى أَهْلِي وَبِلَدِي ،
 أَسْأَلُكَ إِلَّا تُخْلِنِي مِنْ رَحْمَتِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ .
 اللَّهُمَّ كُنْ لَنَا صَاحِبًا فِي سَفَرِنَا ، وَخَلِيفَةً فِي أَهْلِنَا ، وَاطْمَئِنِّ
 عَلَى وُجُوهِ أَعْدَائِنَا وَامْسَحْهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْمَضَى وَلَا
 الْمَجِيءَ إِلَيْنَا .

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ بَيْتِكَ هَذَا ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِتَرْكِ
 الْمَعَاصِي أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنِي ، وَارْحَمْنِي أَنْ أَتَكَلَّفَ مَا لَا يَغْنِينِي ،

وَارْزُقْنِي حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي .

اللهم مَتَّعْنِي بِبَصَرِي وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنِّي وَأَرِنِي مِنَ الْعَدُوِّ
تَأْرِي ، وَانصُرْنِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي .

اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ
وَالْكَسَلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبَخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ
وَقَهْرِ الرِّجَالِ .

اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالنَّقْوَى وَمِنَ الْعَمَلِ مَا
تَرْضَى .

اللهم هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ .
اللهم أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ
اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمُنْظَرِ وَسُوءِ
الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ .

اللهم اصْحَبْنَا بِعَفْوِكَ وَأَقِلْنَا بِعَافِيَتِكَ .
اللهم اطْوِلْنَا الْأَرْضَ وَهَوِّنْ عَلَيْنَا السَّفَرَ وَسَلِّمْنَا مِنْ كَأَبَةِ
الْمُنْقَلَبِ .

اللهم بَلَاغًا يَبْلُغُ خَيْرًا ، وَسِتْرًا مِنْكَ وَرِضْوَانًا ، بَيْنَكَ الْخَيْرُ
إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللهم هَوِّنْ عَلَيْنَا السَّفَرَ ، وَاطْوِلْنَا الْأَرْضَ .
اللهم اصْحَبْنَا فِي سَفَرِنَا وَاخْلُقْنَا فِي أَهْلِنَا .

اللهم احفظنى من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن
شمالى ومن فوقى ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى يا أرحم
الراحمين ٠٠
يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ٠

دُعَاءُ الْمَائِمْ بِعَاطِئِ الْوَلَدِ

□ إِذَا أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنْ مَكَّةَ يَقِفُ بِالْمَلْتَزِمِ ، وَيُلِصِقُ بِهِ جَمِيعَ
بَيْنِهِ ٠٠ ويقول :

اللهم هذا بَيْتُكَ وَأَنَا عَبْدُكَ وَابْنُ أُمَّتِكَ ، حَمَلْتَنِي عَلَى مَا
سَخَّرْتَ لِي مِنْ خَلْقِكَ ، وَسَيَّرْتَنِي فِي بِلَادِكَ ، حَتَّى بَلَغْتَنِي بِنِعْمَتِكَ إِلَى
بَيْتِكَ ، وَأَهْنَيْتَنِي عَلَى آدَاءِ نُسُكِي ، فَإِنْ كُنْتُ رَضِيتُ عَنْي فَارْتَدَّ
عَنِّي رِضًا ، وَإِلَّا فَمَنْ عَلَى الْآنَ قَبْلَ أَنْ تَنْتَازِعَ عَنِّي بَيْتَكَ دَارِي ، وَهَذَا
أَوَانُ أَنْصِرَافِي إِنْ أَنْتَ لِي غَيْرَ مُسْتَتِيلٍ بِكَ وَلَا بَيْتِكَ ، وَلَا رَاغِبٍ عَنْكَ
وَلَا عَنْ بَيْتِكَ ٠

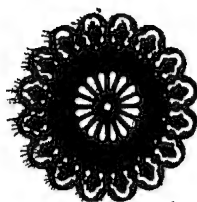
اللهم فَاصْحَبْنِي الْعَافِيَةَ فِي بَدَنِي وَالصِّحَّةَ فِي جِسْمِي ،
وَالْعِصْمَةَ فِي بَيْتِي وَأَحْسِنِ مُنْقَلَبِي وَارْزُقْنِي طَاعَتَكَ مَا أَبْقَيْتَنِي ،
وَأَجْمَعْ لِي بَيْنَ خَيْرِي الْكَشَا وَالْآخِرَةِ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ ٠

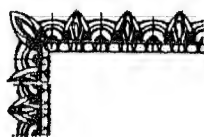
الدُّعَاءُ عِنْدَ دُخُولِ الْمَدِينَةِ النُّزُولِ

اللَّهُمَّ، إِنَّ هَذَا هُوَ الْحَرَمُ الَّذِي حَرَّمْتَهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِكَ
فَحَرِّمْ جَسَدِي عَلَى النَّارِ، وَأَمْنِي مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْهُثُ عِبَادَكَ،
وَأَلْقِنِي مَا رَزَقْتَ أَوْلِيَاءَكَ، وَوَقِّفْنِي لِحُسْنِ الْآتِبِ وَفِعْلِ الْخَيْرِ
يَفْضُلِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَعَزِيمَةَ الرَّأْيِ وَشُكْرَ
النِّعْمَةِ .

وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا وَقَلْبًا سَلِيمًا .
وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ
عَلَامُ الْغُيُوبِ .





مَا يُقَالُ عِنْدَ زِيَارَةِ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ



□ إذا وصل الحاجُّ الْمَسْجِدَ الشَّرِيفَ عَلَيْهِ أَنْ يُصَلِّيَ زَكَتَيْنِ
تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ ٠٠ ثُمَّ يَقِفُ أَمَامَ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ ٠٠ ويقولُ :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ٠

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ٠

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ ٠

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صَفْوَةَ اللَّهِ ٠

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَيَا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وَقَائِدَ الْغُرَّةِ

الْمَحْجَلِينَ ٠

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ٠

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَزْوَاجِكَ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ٠

السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ أَجْمَعِينَ ، وَعَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ

وَالْمُرْسَلِينَ ، وَعِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، جَزَاكَ اللَّهُ أَفْضَلَ مَا جَزَايَ

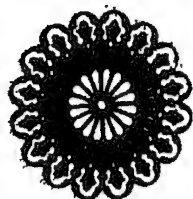
نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،

وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ ، وَخَيْرَ خَلْقِهِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الرُّسَالََةَ

وَأَتَيْتَ الْأَمَانَةَ ، وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ وَجَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ٠

اللَّهُمَّ آتِهِ الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالذَّرَجَةَ الْعَالِيَةَ الرَّفِيعَةَ وَابْعَثْهُ

المَقَامَ المَحْمُودِ الَّذِي وَعَدْتَهُ ، إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ .
 اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ
 وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى
 إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .
 ○ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٠٠ فَيَقُولُ :
 السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ
 الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا .
 اللهم ارْضَ عَنْهُ .
 ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى قَبْرِ عُمَرَيْنِ الْخَطَّابِ ٠٠ فَيَقُولُ :
 ○ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، جَزَاكَ
 اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا .
 اللهم ارْضَ عَنْهُ .
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .



المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الأحاديث النبوية الشريفة
- ٣ - صحيح البخارى .
- ٤ - تفسير الطبرى .
- ٥ - تفسير البغوى .
- ٦ - تفسير ابن كثير .
- ٧ - تفسير الفخر الرازى .
- ٨ - مسند الإمام أحمد بن حنبل .
- ٩ - فتح البارى لابن حجر العسقلانى .
- ١٠ - الإصابة لابن حجر العسقلانى .
- ١١ - الاستيعاب لابن عبد البر الأندلسى .
- ١٢ - مناسك الحج لابن تيمية .
- ١٣ - الجامع الصغير للسيوطى .
- ١٤ - الأوائل للسيوطى .
- ١٥ - مروج الذهب للمسعودى-تاريخ .
- ١٦ - العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى .
- ١٧ - العقد الثمين للفاسى-تاريخ .

- ١٨- شفاء الغرام للفاسى .
- ١٩- معجم البلدان لياقوت الحموى .
- ٢٠- النهاية - فى تفسير غريب الحديث - لابن الأثير .
- ٢١- نهاية الأرب فى أنساب العرب للقلقشندي .
- ٢٢- تاريخ الكعبة المعظمة لحسين باسلامة .
- ٢٣- أخبار مكة لأبى الوليد الأزرقى
- ٢٤- تاريخ مكة للسباعى .
- ٢٥- مع المصطفى فى عصر المبعث للدكتورة عائشة
عبد الرحمن .
- ٢٦- السيرة النبوية لغيد الحميد جودة السحار .
- ٢٧- السيرة النبوية لابن هشام .
- ٢٨- تاج العروس للزبيدي .
- ٢٩- قاموس الكتاب المقدس لجورج بوست .
- ٣٠- قصص الانبياء لابن كثير .
- ٣١- كتاب الاصنام لابن الكلبي .
- ٣٢- القاموس المحيط للفيروز أبادى .
- ٣٣- إمتاع الأسماع للمقريزى .
- ٣٤- تاريخ الطبرى .
- ٣٥- معجم القبائل لعمر رضا كحالة .

- ٣٦- جمهرة الأنساب لابن حزم الأندلسي
- ٣٧- بلوغ الأرب للآلوسي
- ٣٨- البداية والنهاية لابن كثير
- ٣٩- تاريخ ابن خلدون
- ٤٠- تاريخ القطبي
- ٤١- التعريف والاعلام للسهيلى
- ٤٢- تاريخ جدة للانصارى
- ٤٣- القصد والأهم لابن عبد البر الأندلسي
- ٤٤- تاريخ الحضارة
- ٤٥- التبر المسبوك للمقريزى
- ٤٦- الكامل فى التاريخ لابن الأثير
- ٤٧- عيون الأثر فى السيرة لابن سيد الناس اليعمرى
- ٤٨- رحلة ابن جبير
- ٤٩- رحلة البتتوني
- ٥٠- رحلة ابن بطوطه
- ٥١- مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت
- ٥٢- سنن أبى داود
- ٥٣- دلائل النبوة لأبى نعيم
- ٥٤- الروض الأنف للسهيلى

- ٥٥- لسان العرب لابن منظور .
- ٥٦- الاعلام للزركلي .
- ٥٧- تاريخ الاسلام للذهبي .
- ٥٨- المحبر لابن حبيب .
- ٥٩- دائرة المعارف .
- ٦٠- مجمع الامثال للميداني .
- ٦١- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية .
- ٦٢- مرادف العامي والدخيل لرشيد عطية .



كتاب اليوم الطبي
عدد ١٥ مايو

الأمراض الصدرية أسبابها وعلاجها



للدكتور : محمد عوض تاج الدين

استاذ الأمراض الصدرية

بكلية طب جامعة عين شمس

• كتاب اليوم .. القادم •
أول يونيو



الحب أيضا يموت

قصة طويلة



بقلم
موسى صبرى

• ترقب صدوره •

